

افتراق الأمة الإسلامية

د. يوسف الشبيلي

(مذكرة تم تفريغها من الدروس التي ألقيت في مسجد المؤسسة الإسلامية بأمريكا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

إن مما كتبه الله تعالى على الأمة الإسلامية أنها ستفترق وتختلف كما اختلفت الأمم من قبلها، وهذا الافتراق هو حكم كوني كتبه الله تعالى على هذه الأمة. وقد دلت نصوص القرآن الكريم أن الأمة ستختلف وتفترق إلى فرق وأحزاب شتى ، فمن تلك النصوص :

1-قوله تعالى:"ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم...."[1].

وقد اختلف المفسرون إل أي شيء يعود اسم الإشارة في قوله : (ولذلك خلقهم)، فمنهم من قال : إنه يعود إلى الاختلاف أي : خلقهم ليختلفوا وذهب إلى هذا الحسن البصري، وذهب بعض المفسرين (ومنهم عطاء) إلى أن اسم الإشارة يعود إلى الرحمة أي خلقهم ليرحمهم، وبعضهم قال : اسم الإشارة يعود إلى الاثنين معاً ، أي خلقهم ليختلفوا وليرحم من سلك الصراط المستقيم وممن ذهب إلى هذا القول ابن جرير الطبري وابن كثير والشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله.

يقول ابن سعدي: يُخبر الله تعالى أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة على الدين الإسلامي فإن مشيئته غير قاصرة ولا يمتنع عليه شيء ولكنه اقتضت حكمته ألا يزالوا مختلفين مخالفين للصراط المستقيم متّبعين للسبل الموصلة إلى النار كلٌ يرى الحق فيما قاله والضلالة في قول غيره، وقوله سبحانه: "إلا من رحم ربك"، فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم سابقة السعادة وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي وأما من عداهم فهم مخذولون موكلون إلى أنفسهم، وقوله سبحانه:"ولذلك خلقهم" قال أي اقتضت حكمته أنه خلقهم ليكون منهم السعداء والأشقياء والمتفقون والمختلفون والفريق الذي هدى الله و الفريق الذي حقت عليهم الضلالة ليتبين للعباد عدله وحكمته وليظهر ما كمن من

[1] هود 811-911.

Modifier avec WPS Office

الطباع البشرية من الخير والشر ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء.
2-قوله تعالى :"وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا"[1] أي لننظر أيها المؤمنون أتصبرون على هذا الابتلاء أم أنكم تفتنون في دينكم.
دليل آخر، قوله تعالى:"ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض"[2]
ومن نصوص السنة الدالة على وقوع الاختلاف في هذه الأمة :
1- ما ثبت في الصحيحين عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال: سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته ألا يُهلك أُمتي بسنه (القحط) فأعطانيها وسألته ألا يُهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم شديدا فمنعنيها.
2-حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها وأُعطيت الكنزين الأحمر والأسود، وإني سألت ربي لأمتي ألا يُهلكهم بسنة عامة وألا يُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد وإني أعطيتك لأ ُمتك ألا أُهلكهم بسنة عامة وألا أُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يُهلك بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا، ثم قال عليه الصلاة والسلام وإنه سيكون بعدي كذابون ثلاثون وإنه لا نبي بعدي وإنما أخاف على أُمتي الأئمة المُضلين وإذا وقع فيهم السيف لن يُرفع إلى يوم القيامة[3].
3- حديث افتراق الأمة على بضع وسبعين فرقة وصفات الفرقة الناجية
جاء عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم أنهم رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:"افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة"
وقد روى هذا الحديث أكثر من خمسة عشر صحابياً ولهذا عد بعض أهل العلم هذا الحديث من الأحاديث المتواترة وبعض طرق هذا الحديث صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف، فلذلك بمجموع طرقه يكون صحيحاً.
روايات الحديث :
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم:"افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أُمتي على ثلاث وسبعين فرقة"[4].
- وعن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن أهل الكتابين

[1] الفرقان 02.
[2] محمد 4.
[3] البخاري.
[4] رواه أبو داود في سننه والترمذي وابن ماجة والإمام أحمد وصححه ابن حبان والحاكم والترمذي والشاطبي والسيوطي وغيرهم

Modifier avec WPS Office

افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله"[1] .

- **وعوف بن مالك** رضي الله عنه قال، قال صلى الله عليه وسلم:" افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وإحدى وسبعون فرقة في النار و الذي نفسي بيده لتفترقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل من هم يا رسول الله، قال الجماعة"[2]

- **وعن عوف بن مالك** قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ستفترق أُمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أُمتي قومٌ يقيسون الأمور برأيهم يحرمون الحلال ويُحلون الحرام"[3]

- **وعن عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ليأتين على أُمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أُمتي من يفعل ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أُمتي على ثلاثٍ وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا من هي يا رسول الله قال: ما أنا عليه وأصحابي"[4]

- **وعن أنس** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة وإن أُمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة".

- وعن أبي أمامة قال صلى الله عليه وسلم:"افترقت بني إسرائيل على إحدى وسبعين أو اثنتين فرقة وتزيد أُمتي فرقة واحدة كلها في النار إلا السواد الأعظم"[5]

- **وعن كثير بن عبد الله بن عوف عن أبيه عن جده** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لتسلكن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل ولتأخذن مثل أخذهم إن شبراً فشبرا وإن ذراعا فذراعا وإن باعا فباعا حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وستفترق أُمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة الإسلام وجماعته"[6]

- **وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أُمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فقال عمر من هم يا رسول الله قال: السواد الأعظم"

- والشيعة في مصنفاتهم يذكرون رواية لا أصل لها في كتب السنة، يقولون:

---

[1] رواه أبو داوود والدارمي وأحمد والآجوري في كتابه "الشريعة"
[2] رواه ابن ماجة وابن أبي عاصم في كتاب السنة.
[3] رواه البزار والبيهقي والحاكم وضعفه يحيى ابن معين والبيهقي وغيرهم.
[4] رواه الدارمي والآجوري والمروزي واللالكائي.
[5] رواه ابن أبي عاصم والطبراني واللالكائي صاحب كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.
[6] رواه الحاكم.

Modifier avec WPS Office

"ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة"، ويؤلونها على أن الثنتين والسبعين فرقة التي في الجنة من فرق الشيعة ، والفرقة التي قي النار هي أهل السنة .

الفوائد من هذا الحديث:

1) عدد الفرق التي ستختلف عليها أمة الإسلام:

جاء في بعض الروايات أنها إحدى وسبعون وفي بعضها أنها اثنتان وسبعون وفي بعضها أنها ثلاث وسبعون وفي بعضها أنها بضع وسبعون، والصحيح أنها ثلاث وسبعون فرقة، أما رواية إحدى وسبعين فهي ضعيفة ورواية بضع وسبعين لا تتعارض مع رواية الثلاث والسبعين لأن البضع من ثلاثة إلى تسعة .

وأماروابة الثنتين والسبعين فتحمل على الفرق التي حُكم عليها بأنها من أهل النار أما الواحدة فلم تدخل في هذا العدد.

2) عدُ هذه الفرق:

حاول بعض المتقدمين عد هذه الفرق وتسميتها بأسمائها ، وأول من نقل عنه تسمية هذه الفرق، يُوسف ابن أسباط وعبد الله ابن المبارك ، فقد روي عنهما أنهما قالا: أُصول البدع أربعة الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة، فقيل لابن المبارك والجهمية؟ فقال أولئك ليسوا من أُمة محمد.

وزاد بعضهم فرقتين فأضاف الجهمية والجبرية.

وأضاف بعضهم المعتزلة والمُشبهة والنجارية.

وممن حاول عد هذه الفرق عدّاً كاملا ً: البغدادي في كتابه :" الفرق بين الفرق " والشهرستاني في كتابه " الملل والنحل " وابن حزم في كتابه " الفصل في الملل والأهواء والنحل " والملطي في كتابه " التنبيه والرد" ، حيث قسم كل منهم الفرق الإسلامية إلى ثلاث وسبعين فرقة .

وهذا التقسيم غير مسلم به ، ويرد على هذا العد اعتراضات عديدة ، منها:

1- أن فيه تكلفاً ظاهراً من أجل موافقة العدد الوارد ، وقد يجعلون من الفرقة الواحدة فرقاً عديدة ، بحسب اختلافها في بعض الجزئيات ، مع أن الأصول العامة لهذه الفرق واحدة ، وقد يقتصرون في بعض الفرق على بعض فئاتها ، مع أنها متباينة في منهجها .

2- أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدد فترة زمنية لظهور هذه الفرق فلربما تكون بعض هذه الفرق لم تظهر بعد ومما يؤكد هذا، أن هناك فرق مُخالفة لمنهج أهل السنة ظهرت في العصور المتأخرة مثل الأحمدية و البهائية وغيرهم.

وعليه فنقول إن الكلام بتحديد الفرق أو عدها لا دليل عليه والأصح أن نقول إنها موصوفة بالوصف فمن خالف منهج أهل السنة والجماعة فهو من إحدى الفرق الإثنتي وسبعين.

3- عمق فقه الصحابة رضوان الله عليهم:

نقول إن المتأمل في هذا الحديث يلحظ الفارق بين فقه الصحابة وفقه من بعدهم، فالصحابة

Modifier avec WPS Office

رضوان الله عليهم كانت عنايتهم بمعرفة الفرقة الناجية وصفاتها للتشبه بها ، ولهذا سألوا النبي عن صفة تلك الفرقة ، وكان السائل عمر بن الخطاب كما حاء مصرحاً به في رواية جابر ، أما من بعدهم فقد شغلوا بالفرق الهالكة.
والعلم بالفرق المنحرفة أمر مطلوب شرعاً ، ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه.
ويقول الشاعر:
عرفت الشر لا للشر ولكن لأتقيه ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه.
إلان الواجب على المسلم أن يعرف من طرق أهل الضلال الأصول التي ينطلقون منها والمناهج التي يسلكونها ومعرفة أسباب زيغها وانحرافها والرد عليها وبيان فسادها أما التعمق في أقاويلها وتفصيلاتها والفروق الدقيقة بينها فلم يُكلفنا الله به.
4- هل هذه الفرق المذكورة في الحديث كافرة أم لا؟
للإجابة عن هذا السؤال لابد من بيان عدة نقاط :
أولا ً: قوله عليه الصلاة والسلام:"وستفترق هذه الأمة" هل المراد هنا أمة الدعوة أم أمة ا لإجابة؟
أمة الدعوة :كل من كٌلف باتباع النبي صلى الله عليه وسلم من الثقلين سواء آمن به أولم يؤمن به، فكل من كان موجوداً من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فهو مكلف باتباعه.
وأمة الإجابة: كل من انتسب إلى الإسلام وإن كان مرتكباً للبدعة (وإن كانت مكفرة).
فالمراد بقوله "وستفترق هذه الأمة" أمة الإجابة، ففِرق النصارى واليهود لا تدخل في هذه الفرق .
ثانياً: قوله عليه الصلاة والسلام:" كلها في النار إلا واحدة"، هذه الجملة دليل على أن هذه الفرق ضالة مجانبة للحق ومستحقة للوعيد بالنار وهذا لا خلاف فيه بين أمر العلم.
ثالثاً: نقول إن الحديث لا دلالة فيه على التكفير أو أن هذه الفرق مخلدة في النار لأن الوعيد بالنار لا يقتضي الخلود فيها، فالكلام في البدع كالكلام في الكبائر وقد توعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنار على كثير من الذنوب التي لا يختلف أهل الحق على عدم التكفير بمجردها كالقتل وإباق العبد من مواليه وقتال المسلم والرغبة عن الآباء.
ومما يؤيد ذلك : أنه عليه الصلاة والسلام جعل هذه الفرق من الأمة حيث قال:" ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" فجعل الاثنتين وسبعين فرقة من أمة محمد عليه الصلاة و السلام، وهذا يعني أنهم مسلمون في الجملة والأصل أن المسلم باقٍ على إسلامه فلا يخرج منه إلا بيقين.
يقول ابن تيميه: وكذلك سائر الاثنتين وسبعين فرقة من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن ومن لم يكن منافقاً بل كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافراً في الباطن وإن أخطأ في التأويل كائناً ما كان خطأه وقد يكون في بعضهم شعبة من شُعب النفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ومن قال إن الاثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يُكفر كفراً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة فليس منهم من كفر كل واحد من الاثنتين وسبعين فرقة وإنما يكفر بعضهم بعضا ببعض المقالات.

Modifier avec WPS Office

صفات الفرقة الناجية
والفرق بينها وبين الطائفة المنصورة

صفات الفرقة الناجية :

حين ننظر في حديث الافتراق نجد أنه قد ورد فيه وصف الفرقة الناجية بعدد من الصفات :

1- أنها الجماعة ، كما في حديث معاوية وعوف بن مالك وأنس .
2- ما أنا عليه وأصحابي ، كما في حديث عبدالله بن عمرو
3- أنها السواد الأعظم كما في حديث جابر وأبي أمامة .

فهذه الصفات الثلاث ثابتة مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

والجماعة تطلق على الاجتماع على الشيء ، وتطلق أيضاً على القوم المجتمعين ، وفي معنى الجماعة الواردة في الحديث وغيره أقوال :

1- فقيل هم الصحابة ، وهذا يوافق قوله في الحديث الآخر " ما أنا عليه وأصحابي "
2- وقيل : هم أهل العلم ، وقد فسرها بذلك الترمذي .
3- وقيل : الجماعة ما وافق الحق
4- وقيل : هم السواد الأعظم المجتمعون على إمام يحكم بالكتاب والسنة ويجانب الهوى والبدعة وينصر الحق وأهله .

وهذه الأقوال لا تعارض بينها فإن الجماعة مأخوذة من الاجتماع أي أن هذه الفرقة مجتمعة على الحق ، وهو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وقد تجتمع هذه الأقوال في حال من الأحوال بحيث تصبح الجماعة المبايعة لإمام متفقة عليه ملتزمة بالإسلام التزاما صحيحا ، كما كان عليه النبي وأصحابه . ، فهنا يجتمع معنى الجماعة مع معنى " ما أنا عليه وأصحابي " ، فقد كان صلى الله عليه وسلم هم الجماعة بالمعنى الشامل الكامل من الناحيتين النظرية والعملية .

وإذا كان الصحابة قد حققوا هذه الصورة العظيمة التي كان فيها الحق هو المهيمن الحاكم ، وبه يدين المؤمنون جميعا ، فإن الأجيال التي جاءت وتجيء بعدهم قد تحقق صورة شبيهة بلك الصورة المثالية ، فيوجد السلطان والقرآن والأتباع في جماعة شرعية واحدة يحكمها إمام شرعي يحكم بالكتاب والسنة .

وقد تتحقق أجزاء من تلك الصورة ، فقد يوجد إمام مسلم منحرف ، لكن يوجد من أهل العلم من ينابذون هذا الانحراف ويدعون الناس إلى الكتاب والسنة ، وحديث ا لافتراق يلزم المسلم أن يحقق من صفات الفرقة الناجية في نفسه ما يستطيع ، فإن وجد الجماعة والإمام لزمهم وإن وجد الإمام المخالف للسنة لزمه طاعته في طاعة الله وخالفه في انحرافه وبدعته و وإن وجد جماعة من أهل العلم لزمهم واتبعهم ، وإن لم يجد هذا ولا ذاك لزمه أن يدعو إلى الحق بنفسه فإن لم يطق اعتزل الفرق الضالة المنحرفة .

ولا يعني انتشار الفرق الضالة والانحرافات أن تكون هي السواد الأعظم الذي

Modifier avec WPS Office

يجب اتباعه ، بل إن الحق يعرف بمنهجه لا بعدد رجاله ، ولهذا سمى الله تعالى إبراهيم أمة ، مع أنه واحد ، لأنه كان على الحق ، فقال سبحانه : إن إيراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا ولم يك من المشركين "

يدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال :نعم

قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟

قال : نعم وفيه دخن

قلت :وما دخنه ؟

قال : قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر

قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟

قال : نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها

قلت : يا رسول الله صفهم لنا

فقال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا

قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟

قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم

قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام

قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

صفات (خصائص) الفرقة الناجية الواردة في نصوص القرآن والسنة :

1- الوسطية:

فالفرقة الناجية وسط في أمور الدين كلها، ولا وكس ولا شطط، فكما أن هذه الأمة وسط بين الأمم كما قال تعالى:" وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس..."، فكذلك الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة) وسط بين الفرق الضالة كلها، فهم وسط بين المُفرط والمفرّط في أبواب الدين كلها.

والوسط في اللغة: العدل، والخيار، كما قال الشاعر:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي عظم.

يقول رشيد رضا:" قالوا: إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزيادة على الأمر في المطلوب إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، فالخيار هو الوسط بين طرفي ا لأمر، أي المتوسط بينهما" انتهى كلامه.

ويقول د. زيد الزيد في كتابه الوسطية في الإسلام: "الوسط من كل شيء أعدله، ف الوسط إذن ليس مجرد كونه نقطة بين طرفين أو وسطية جزئية، كما يقال: فلان وسط في كرمه أو وسط في دراسته ويُراد أنه الوسط بين الجيد والرويء، فهذا المفهوم وإن درج عند كثير من الناس فهو فهم ناقص، أدى إلى إساءة فهم معنى الوسطية المقصودة.

Modifier avec WPS Office

وعلى هذا فالوسط المراد والمقصود هنا هو العدل والخيار والأفضل. إلى أن قال: وبالتالي لم يبق معنى الوسطية مجرد التجاور بين الشيئين فقط، بل أصبح ذا مدلول أعظم، ألا وهو البحث عن الحقيقة وتحصيلها والاستفادة منها. إلى أن قال: وهو معنى يتسع ليشمل كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان" انتهى كلامه.
وتظهر وسطية الفرقة الناجية في أبواب الدين كلها، فمن ذلك:

مظاهر وسطية الفرقة الناجية

1- وسطية الفرقة الناجية في باب أسماء الله وصفاته:

الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة) وسط في باب أسماء الله والصفات بين المعطلة والمشبهة.

فالمعطلة: نفوا أسماء الله وصفاته، أو بعضاً منها، بحجة أن إثباتها يستلزم تشبيه الله بخلقه، وهذا باطل.

والمشبهة: بالغوا في إثبات الصفات لله، حتى شبهوا صفات الله بصفات خلقه، ومنهم من شبه الخلق ببعض صفات الله.

أما الفرقة الناجية، فاختارت طريق الوسط، فهي تثبت لله أسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، عملا ً بقوله تعالى:"ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"، فالشق الأول من الآية وهو قوله: "ليس كمثله شيء" فيه رد على المشبهة، والشق الثاني وهو قوله:" وهو السميع البصير" فيه رد على المعطلة.

2- وسطية الفرقة الناجية في القدر:

والفرقة الناجية وسط في باب القدر بين القدرية والجبيرة.

فالقدرية: من أمثال المعتزلة وغيرهم، ينفون القدر ويقولون لأن العبد يخلق أفعال نفسه وليس الله، تعالى الله عن قولهم.

والجبرية: من أمثال الجهمية وغيرهم، يقولون أن العبد مجبور على أفعاله وليس له أي إرادة أو اختيار، بل هو كالريشة في مهب الريح وكالميت بين يدي مغسله.

وأما أهل السنة والجماعة: فإنهم اختاروا طريق الوسط، فأفعال العباد-عندهم- مخلوقة لله تعالى، وإرادة العبد لها تأثير في تلك الأفعال كسائر تأثير الأسباب بمسبباتها، والعبد له إرادة واختيار فيما يفعله.

3- وسطية الفرقة الناجية في الأسماء والأحكام (مرتكب الكبيرة):

والفرقة الناجية في باب الأسماء والأحكام بين الوعيدية والمرجئة.

فالوعيدية: كالخوارج والمعتزلة، يرون أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، وهو في الدنيا إما كافر (كما يقول الخوارج) أو في منزلة بين الإسلام والكفر كما تقول المعتزلة.

والمرجئة: فيقولون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فإيمان المسلم الفاسق كإيمان أبو بكر وعمر.

أما الفرقة الناجية: فيرون أن مرتكب الكبيرة مسلم فاسق، أو مسلم ناقص الإيمان وهو مستحق للوعيد، ولا يُخلد في النار لأنه لا يخلد في النار إلا الكافر، كما قال

Modifier avec WPS Office

تعالى:"إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما قال تعالى:"ويزداد الذين آمنوا إيمانا".

4- وسطية الفرقة الناجية في باب الصحابة:

والفرقة الناجية وسط في باب الصحابة بين الرافضة والناصبة.

فالرافضة: غلوا في آل البيت وكفروا من عداهم من الصحابة.

والناصبة: كالخوارج، كفروا علياً وغيره من الصحابة.

والفرقة الناجية وسط في ذلك، فهم يحبون الصحابة ومنهم آل البيت، ويترضون عنهم أجمعين، ويشهدون لمن صحب النبي صلى الله عليه وسلم ومات على ذلك بأنه من أهل الحسنة، كما قال تعالى:"والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم...."[1].

ويرون أن من الإيمان محبة الصحابة كما قال عليه الصلاة والسلام:"لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا يضيفه" رواه البخاري.

5- وسطية الفرقة الناجية في محبة النبي صلى الله عليه وسلم:

والفرقة الناجية وسط في محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الغالين فيه و الجافين عنه.

فأهل الغلو فيه: ككثير من المتصوفة، بالغوا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حتى أعطوه بعض خصائص الألوهية، ومنهم من يصرف شيئاً من العبادة له، فنجد منهم من يستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو يتوجه بالدعاء إليه لا إلى الله، أو يسأله الشفاعة أو يطوف بقبره أو ينذر له، وكل هذا من الشرك، فالله تعالى يقول لنبيه:"قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغاً من رسالاته" ويقول الله تعالى:"قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله".

وهذا صاحب البردة التي تقرأ في الموالد يقول:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند نزول الحادث العمم

ويقول كذلك:

فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم.

فجعل الدنيا وضرتها وهي الآخرة بعض جود النبي صلى الله عليه وسلم، فماذا بقي لله؟ وجعل من علوم النبي علم اللوح والقلم مع أن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه:"قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسني السوء.

وأما الجفاة عنه عليه الصلاة والسلام فإنهم لم يعطوه حق قدره، بل نكبوا عن سنته وجانبوا هديه، ومنهم من ينكر أن تكون السنة مصدراً للتشريع، أو ينكر شيئاً من خصائصه عليه الصلاة والسلام مثل كونه مبعوثاً لعامة الخلق، أو أن رسالته خاتمة الرسالات أو أنه أفضل الخلق، أو أنه لم يبلغ القرآن كما يجب عليه –كما

---

[1] التوبة.

Modifier avec WPS Office

يقول الرافضة- أو نحو ذلك، أو ينكرون شيئاً من آياته التي أيده الله تعالى بها كما يقول كثير من العقلانيين مثل انشقاق القمر أو نبوع الماء من تحت يديه أو سلام الشجر والحجر عليه، ونحو ذلك.

أما الفرقة الناجية: فإنهم يحبون النبي صلى الله عليه وسلم، ويرون أن محبته من الإيمان، بل لا يؤمن العبد إيماناً كاملاً حتى يُقدم محبته على محبه نفسه وولده ووالده، كما قال عليه الصلاة والسلام:"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" متفق عليه.

ومن صدق محبته أن يتبعه العبد ويطيعه فيما أمر ويجتنب ما نهى عنه وزجر، كما قال تعالى:"قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم..."، ويثبتون له الخصائص والآيات الواردة في القرآن والسنة الصحيحة ويرون أن طاعته من طاعة الله وأنه أفضل خلق الله وأنه الشافع المشفع في المحشر وأنه صاحب لواء الحمد والمقام المحمود.

ومع محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فإنهم لا يغلون فيه ولا يرفعونه إلى مقام الألوهية بل يقولون كما قال عليه الصلاة والسلام:" لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله"، فقوله: عبد الله، فيه رد على الغلا ة فيه، الذين أعطوه خصائص الألوهية، وقوله: رسوله، فيه رد على الجفاة عنه الذين لم يعملوا بمقتضى رسالته.

ويؤمنون بأنه عليه الصلاة والسلام كان يحذر أمته أشد التحذير من الغلو فيه حتى كان عليه الصلاة والسلام يقول وهو في النزع الأخير:"لعنة الله على اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، متفق عليه. وكان يقول:"اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" رواه البخاري. ولما جاءه قوم فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا ولبن خيرنا، فخشي عليه الصلاة والسلام أن يستجرهم الشيطان إلى أبعد من ذلك، فقال:"يا أيها الناس، قولوا بقولكم أو ببعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان".

6- وسطية الفرقة الناجية في باب العبادات:

والفرقة الناجية وسط في باب العبادات بين أهل الغلو والتفريط.

فأهل الغلو: يزيدون في العبادة عن الحد المشروع.

والغلو في اللغة: مجاوزة الحد.

وفي الشرع: مجاوزة الحد في الأمر المشروع.

وقد جاءت آيتان في القرآن الكريم فيهما النهي عن الغلو بلفظه الصريح:

- الآية الأولى :قوله تعالى :" يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إ لا الحق".

قال ابن كثير :ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه . بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا أو ضلالا أو رشادا أو صحيحا أو كذبا

Modifier avec WPS Office

ولهذا قال اللّه تعالى " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون اللّه " الآية.

- الآية الثانية قوله تعالى:"قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق".

قال ابن كثير: أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتهم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون اللّه وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما (وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) أي وخرجوا عن طريق الاستقامة والإعتدال إلى طريق الغواية والضلال .

وقد وردت بعض الأحاديث التي تنهى عن الغلو، فمن ذلك:

1) **عن ابن عباس** رضي اللّه عنه قال، قال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم غداة العقبة – أي في حجة الوداع - وهو على راحلته هات القط لي فلقطت له حصيات هن حصى الخذف فلما وضعتهن في يده قال بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" رواه النسائي وابن ماجه.

2) **وعن عبد اللّه بن مسعود** قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم:" هلك المتنطعون قالها ثلاثا" رواه مسلم. قال النووي: "المتنطعون أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"

3) **وعن أبي هريرة** عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال:" إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" رواه البخاري.

4) ويلحظ أيضاً التحذير من الغلو في تطبيق الأحكام الشرعية، ففي الصيام مثلا ً نهى النبي صلى اللّه عليه وسلم عن صيام يوم الشك حتى لا يزيد الناس في أيام رمضان ما ليس منها، وكذلك شرع لأمته تعجيل الفطور وتأخير السحور حتى لا يزيدوا في مدة الصيام، وفي الوضوء نهى عليه الصلاة والسلام عن الاعتداء في الطهور بأن يتجاوز العبد الحد المشروع، ولما بين صفة الوضوء قال:"فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم".

ومن خلال النصوص الواردة في الغلو يتبين ما يلي:[1]

<u>**أولا ً: أن منشأ الغلو بحسب متعلقة ينقسم إلى ما يلي:**</u>

1) إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه اللّه عز وجل عبادة وترهباً، ومقياس ذلك الطاقة الذاتية، حيث إن تجاوز الطاقة في أمر مشروع يعتبر غلواً.

ويدل على ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال، دخل النبي صلى اللّه عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ما هذا الحبل قالوا هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم: لا حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد . متفق عليه.

2) تحريم الطيبات التي أباحها اللّه على وجه التعبد.

ومن ذلك قصة النفر الثلاثة، حيث روى أنس بن مالك رضي اللّه عنه، يقول جاء ثلا

[1] الغلو في الدين/ عبد الرحمن اللويحق.

Modifier avec WPS Office

اثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني .متفق عليه.

ج) **وقد يكون الغلو متعلقاً بالحكم على الآخرين**: حيث يقف من بعض الناس موقف المادح الغالي، ويقف من آخرين موقف الذام الجافي ويصفهم بما لا يلزمهم شرعاً، كالفسق أو المروق من الدين.

<u>ثانياً: أن الغلو في حقيقته حركة في اتجاه الأحكام الشرعية:</u>

ولكن هذه الحركة في الحقيقة تتجاوز في مداها في الحدود التي شرعها الله، فهو مبالغة في الالتزام بالدين، وليس مروقاً عنه في الحقيقة.

<u>ثالثاً: أن الغلو ليس هو الفعل فقط، بل قد يكون تركاً:</u>

فترك الحلال، كالنوم والأكل ونحوه، من أنواع الغلو إذا كان على سبيل العبادة و التقرب إلى الله.

فعن ابن عباس قال، بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه. رواه البخاري.

والمقصود أن الفرقة الناجية وسط في باب العبادة بين أهل الغلو وأهل التقصير، وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده باتباعه، فكما أن الغلو مذموم فكذلك التفريط مذموم، يقول تعالى:"فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا".

7- وسطية الفرقة الناجية في باب الأخلاق بين الشهوانية المادية والرهبانية السلبية:

ذلك أن منهج الفرقة الناجية مستمد من منهج القرآن الكريم في عرض الأخلاق الإ سلامية، وغرسها في النفس البشرية، فمن ذلك:

1) أن القرآن الكريم لم يفصل بين الدين والخلق، بل إن خلق المرء حقيقية هو دينه، يقول ابن القيم:" الخلق هو الدين"، فلذلك نجد أن القرآن يعرض الأخلاق ممزوجة بالعقائد والعبادات جميعها في سلك واحد، ينتظم منه عقد جميل يوضح لنا صفات المؤمن التقي، كما قال تعالى:"ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء

Modifier avec WPS Office

وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون"[1]

2) إن منهج القرآن في الأخلاق واقعي يراعي الطاقة المتوسطة المقدورة لجماهير الناس، فاعترف بالضعف البشري والغرائز الإنسانية نفسية أو مادية، ولم يوجب القرآن ولا السنة النبوية على من يريد الدخول في الإسلام أن يتخلى عن ثروته، كما يروي الإنجيل عن المسيح أنه قال لمن أراد اتباعه: بع مالك واتبعني، ولا قال القرآن ما قال الإنجيل:"إن الغني لا يدخل ملكوت السماوات حتى يدخل الجمل في سم الخياط"، بل القرآن راعى حاجة الفرد والمجتمع إلى المال، فاعتبره قواماً للحياة، وأمر بتنميته والمحافظة عليه، وأداء حق الله فيه، بل امتن الله على رسوله بنعمة الغنى، فقال سبحانه:" ووجدك عائلا ً فأغنى"، وقال عليه الصلاة و السلام:"نعم المال الصالح للعبد الصالح".

5) ويوضح ابن القيم منهج الوسطية في الأخلاق بقوله رحمه الله:"إن كل خلق محمود مكتنف بخلقين ذميمين، وهو وسط بينهما، كالجود الذي يكتنفه خلقا البخل والتبذير، والتواضع الذي يكتنفه خلقا الذل والمهانة، والكبر والعلو، والصبر بين الجزع والهلع وبين غلظة الكبر وقسوة القلب وتحجر الطبع، والحلم بين الطيش والمهانة والحقارة، والأناة والرفق وسط بين العجلة والتفريط والإضاعة، و الشجاعة وسط بين التهور والجبن،...الخ"

8) والقرآن يصور الإنسان على أنه مخلوق مركب فيه العقل وفيه الشهوة وفيه غريزة الحيوان وروحانية الملائكة، قد هُدي للنجدين وتهيأ بفطرته لسلوك السبيلين، كما قال تعالى:"ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها".

والقرآن وسط في نظرته إلى حقيقة الإنسان بين النحل والمذاهب المختلفة. فلا هو كالمذاهب الشهوانية المادية المنحلة التي تضع القوانين وتغيرها حسب رغبات الناس وشهواتهم حتى وصل الأمر إلى الانحلال الخلقي الكامل في المجتمعات الغربية المعاصرة، ولا هو كالمذاهب الرهبانية السلبية، كالصوفية المتشددة التي تأثرت بالديانات الهندية السابقة، فجاءت مصادمة للفطرة السليمة وهي في الحقيقة جاءت نتيجة فهم قاصر للكيان الإنساني، ذلك أن فريقاً من البشر نظروا إلى الحياة فوجدوها مليئة بالآلام والمتاعب، فأرجعوا ذلك إلى كثرة الانهماك في الملذات والشهوات، ورأوا أن خير وسيلة تستطيع الروح أن تنجو بها هي التخلص من مطالب الجسد المادية، فمثلا ً من تعاليم الديانة الهندوسية:" لا تفكر في الراحة البدنية، اجتنب سائر الملذات، ولا تقرب من زوجتك، نم على الأرض ولا تأنس بالمكان الذي أنت فيه".

ومن تعاليمهم:" أن طالب العلم يتجنب الحلوى واللحوم والروائح الطيبة والنساء، و لا يلبس حذاء ولا يتظلل بالشمس".

فجاء القرآن الكريم بالهدي الأكمل للنفس الإنسانية وشرع للإنسان الشرائع التي تتناسب مع فطرته.

الصفة الثانية من صفات الفرقة الناجية:

---

[1] البقرة 771.

Modifier avec WPS Office

2- الحرص على الجماعة والبعد عن الاختلاف:
وهذا من أهم ميزات أهل السنة، ولهذا سموا أهل السنة والجماعة، فهم مجتمعون على اتباع السنة، وهم أحرص الناس على توحيد صفوف الأمة ولم شعثها على الكتاب والسنة.
والاختلاف على نوعين:
النوع الأول: الاختلاف الممنوع، ويكون في حالات:
الحالة الأولى:الاختلاف في مسائل العقيدة، فهذا إختلاف مذموم لأن العقيدة ثابتة بنصوص قطعية في الكتاب والسنة وقد أجمع عليها الصحابة فلا يصح أن يكون فيها اختلاف بين المسلمين.
الحالة الثانية: الاختلاف في الأدلة القطعية، والمقصود بها المسائل التي تكون قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، مثل وجوب الصلاة والصيام والزكاة، وقطع يد السارق، ورجم الزاني، ووجوب الحجاب وتحريم الخمر، ونحو ذلك.
فالاختلاف في هذه المسائل غير سائغ لأنه لو قبل الخلاف فيها لما بقي شيء من مسائل الدين إلا وأصبح قابلا ً للأخذ والرد.
النوع الثاني: الاختلاف المقبول:
وهو الاختلاف في المسائل الظنية، مثل الاختلاف في وقوع طلاق الثلاث واحدة، والقنوت في صلاة الفجر، ورفع اليدين في الصلاة، وما يجب تغطيته من وجه المرأة، ونحو ذلك.
فمثل هذه المسائل يسوغ فيها الخلاف إذا لم يكن عن تعصب وهوى وإنما عن اجتهاد وتحرٍ لقوله عليه الصلاة والسلام:"إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحد".

الصفة الثالثة من صفات الفرقة الناجية :اتباع السنة ومجانبة البدعة :
ولهذا سميت هذه الفرقة بأهل السنة والجماعة ، لاجتماعهم على الأخذ بالسنة ، أي سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالسنة هنا ما يقابل البدعة ،.
ومن أصول أهل السنة والجماعة أن جميع الأعمال لاتقبل إلا بشرطين :
1- الإخلاص لله تعالى .
2- والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم .
والإخلاص يقابله الرياء والشرك ، والمتابعة يقابلها البدعة ، وفيما يلي بيان حقيقة البدعة ، ومظاهرها ، والنصوص الواردة في التحذير منها :
البـدع
من نعم الله تعالى أن جاءت هذه الشريعة كاملة لا تحتمل الزيادة ، ولهذا قال سبحانه : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا " ،فلما كانت بهذه المثابة من الشمول والكمال ، حذر الشارع من أن يتطرق إليها من البدع ما يشوه جمالها ، أو يدنس نصاعتها .
فمن النصوص والآثار الواردة في ذم البدع والتحذير منها :
1- قول الله تعالى : " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق

Modifier avec WPS Office

بكم عن سبيله "
فالله تعالى يأمر عباده في هذه الآية أن يسلكوا الصراط المستقيم ، وهو دينه الذي ارتضاه لنفسه ، ثم نهاهم أن يسلكوا طريقا سواه .
وقد فسر مجاهد رحمه الله السبل بأنها: البدع والشبهات .
ثم ذكر سبحانه علة النهي عن اتباع السبل وهي أنها تبعدهم عن دينه الذي ارتضاه لهم مما يؤدي بهم إلى الهلاك والدخول في النار .
ووجه الدلالة من الآية الكريمة أن الله أمر عبادهباتباع دينه القويم الذي هو صراطه المستقيم ونهى عن اتباع ما عداه من الملل والبد ،لأنها تنأى بالعبد عن الصراط السوي ، فالبدع من السبل التي حذرنا الله تعالى من سلوكها ، يدل على هذا ما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خط رسول الله خطا في الأ رض ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما وهذه السبل مام سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه ُثم قرأ : وأن هذا صراطي مستقيما-الآية .
وقال رجل لابن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟ فقال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد ، وثم رجال يدعون من مر بهم ، فمن أخذ تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ، ثم قرأ هذه الآية .
2- قوله تعالى : "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون "
ووجه الدلالة من الآية الكريمة :أن الله تعالى برأ رسوله من الذين اختلفوا في دينهم وهم أهل الملل والأهواء والبدع ، وهذا كاف في ذمهم .
3- ومنها قوله تعالى : " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم "
فقد فسر بعض السلف الآية : بأن المراد تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة .
4- وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد .متفق عليه وفي رواية " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "
يقول الإمام النووي رحمه الله : الرد هنا بمعنى المردود ، وهذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، والرواية الثانية فيها فائدة وهي أن الإنسان قد يعمل بدعة قد سبق إليها ويحتج بأنه لم يحدثها ، ففي هذه الرواية رد عليه .
5- وعن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة . رواه مسلم
6- وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : { وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب . فقال قائل :

Modifier avec WPS Office

يا رسول الله كأنها موعظة مودع فما تعهد إلينا . فقال : أوصيكم بتقوى الله و السمع والطاعة لولاة الأمر ، وإن كان عبدا حبشيا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور . فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة }رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه

ومن الآثار الواردة عن السلف في ذم البدع :

1- ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : " الاقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البدع " رواه الحاكم موقوفاً بإسناد صحيح .

2-وروى أحمد بإسناد جيد عن غضيف بن الحارث قال بعث إلي عبد الملك بن مروان قال يا أبا أسماء إنا جمعنا الناس على أمرين فقال وما هما قال رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة والقصص بعد الصبح والعصر ؟ فقال أما إنهما أفضل بدعتكم ولست بمجيبكم إلى شيء منها قال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال { ما أحدث قوم بدعة إلا رفع من السنة مثلها ، فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة }

3- وروى البيهقي عن مجاهد قال : دخلت مع عبد الله بن عمر مسجدا ، وقد أذن فيه ، ونحن نريد أن نصلي فيه ، فثوب المؤذن ، فخرج عبد الله بن عمر من المسجد ، وقال : " اخرج من عند هذا المبتدع .

4- وفي سنن الدارمي عن محمد بن أبي القاسم عن أبي البحتري قال : أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول : كبروا الله كذا وكذا ، وسبحوا الله كذا وكذا ، واحمدوا الله كذا وكذا ، قال عبد الله : فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم ، فأتاهم فجلس ، فلما سمع ما يقولون قام فأتى ابن مسعود فجاء - وكان رجلا حديدا - فقال أنا عبد الله بن مسعود ، والله الذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلما ، ولقد فضلتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما . فقال عمرو بن عتبة : أستغفر الله . فقال عليكم بـ الطريق فالزموه ، ولئن أخذتم يمينا وشمالا لتضلن ضلالا بعيدا .

والآثار في ذم البدع والتحذير منها لاتحصى كثرة ، وإنما المقصود الاستشهاد ببعضها .

ومن الأدلة العقلية على ذم البدع :

1- أنه ثبت أن الشريعة جاءت كاملة ، وأنه ما من شيء يحتاجه العباد إلا وبين لهم بيانا شافيا ، والمبتدع يطعن في في هذا الكمال:

فالله سبحانه يقول : { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا }

و عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه . ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه لم يكن قبلي نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هذه جعل

Modifier avec WPS Office

عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتن يرقق بعضها بعضا تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بـالله و اليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه " رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم : { ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ولا تركت من شيء يباعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به }رواه الطبراني

وقال أيضا :" تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك " رواه الترمذي من حديث العرباض بن سارية

فهذه النصوص ترد على من أراد الزيادة في الدين ، لأن الزيادة تعتبر استدراكا على الله سبحانه وتعالى . وتوحي بأن الشريعة ناقصة ، وهذا يخالف ما جاء في كتاب الله ، فالمبتدع بلسان حاله يقول :إن الشريعة لم تتم وإنه بقي أشياء يجب أو يستحب استدراكها .

2- أن المبتدع قد جعل نفسه مضاهياً للشارع في التشريع ، لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق بها ، وصار هو المنفرد بذلك ، وإلا فلو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع ، ولا احتيج إلى بعث الرسل ، والمبتدع قد صير نفسه للشارع نظيراً ومضاهياً ، ولهذا يقول سبحانه :" أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله " ، والمبتدع حقيقة قد شرع لنفسه ولأتباعه ما لم يأذن به الله .

ومما سبق يتبين أن البدع مذمومة كلها لأن النصوص الواردة في ذمها عامة لاتفرق بين نوع وآخر .

<u>تعريف البدعة :</u>

البدعة لغة : من بدع الشيء يبدعه بدعا ، وابتدعه : إذا أنشأه وبدأه . والبِدع : الشيء الذي يكون أولا ، ومنه قوله تعالى : { قل : ما كنت بدعا من الرسل } أي لست بأول رسول بعث إلى الناس ، بل قد جاءت الرسل من قبل .

<u>تعريف البدعة في الشرع :</u>

للعلماء اتجاهان في تعريف البدعة:

الاتجاه الأول :

مذهب من يتوسع في معناها فيحملها على ما أحذث بعد عهد النبوة أيا كان سواء كان راجعا إلى العبادات ، أم العادات أم المعاملات ، وسواء كان حسنا أم قبيحا .

وعلى هذا الاتجاه فإن المعنى الشرعي يتفق مع المعنى

ومن القائلين بهذا الإمام الشافعي ، ومن أتباعه العز بن عبد السلام ، والنووي ، وأبو شامة . ومن المالكية : القرافي ، والزرقاني .ومن الحنفية : ابن عابدين . ومن الحنابلة : ابن الجوزي . ومن الظاهرية : ابن حزم .

ويتمثل هذا الاتجاه في تعريف العز بن عبد السلام للبدعة وهو : أنها فعل ما لم يعهد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهي منقسمة إلى بدعة واجبة ، وبدعة محرمة ، وبدعة مندوبة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحة . وضربوا لذلك

Modifier avec WPS Office

أمثلة .
يقول الإمام القرافي : البدعة خمسة أقسام :
(قسم الأول) واجب، وهو ما تتناوله قواعد الوجوب وأدلته من الشرع كتدوين القرآن والشرائع إذا خيف عليها الضياع فإن التبليغ لمن بعدنا من القرون واجب إجماعا ، وإهمال ذلك حرام إجماعا فمثل هذا النوع لا ينبغي أن يختلف في وجوبه
(القسم الثاني) : ، وهو بدعة تناولتها قواعد التحريم وأدلته من الشريعة كالمكوس والمحدثات من المظالم المنافية لقواعد الشريعة كتقديم الجهال على العلماء وتولية المناصب الشرعية من لا يصلح لها بطريق التوارث وجعل المستند لذلك كون المنصب كان لأبيه ، وهو في نفسه ليس بأهل
(القسم الثالث) من البدع مندوب إليه ، وهو ما تناولته قواعد الندب وأدلته من الشريعة كصلاة التراويح ، وبناء القناطر والمدارس والرباط .
(القسم الرابع) بدع مكروهة ، وهي ما تناولته أدلة الكراهة من الشريعة وقواعدها كتخصيص الأيام الفاضلة أو غيرها بنوع من العبادات ، ومن هذا الباب الزيادة في المندوبات المحدودات كما ورد في التسبيح عقيب الصلوات ثلاثة وثلاثين فيفعل مائة وورد صاع في زكاة الفطر فيجعل عشرة آصع بسبب أن الزيادة فيها إظهار الاستظهار على الشارع ، وقلة أدب معه بل شأن العظماء إذا حددوا شيئا وقف عنده ، والخروج عنه قلة أدب والزيادة في الواجب أو عليه أشد في المنع ; لأنه يؤدي إلى أن يعتقد أن الواجب هو الأصل ، والمزيد عليه ; ولذلك نهى مالك عن إيصال ست من شوال لئلا يعتقد أنها من رمضان وخرج أبو داود في سننه { أن رجلا دخل إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه فصلى الفرض وقام ليصلي ركعتين ، فقال له عمر بن الخطاب : اجلس حتى تفصل بين فرضك ونفلك فبهذا هلك من كان قبلنا فقال له عليه السلام : أصاب الله بك يا ابن الخطاب } يريد عمر أن من قبلنا وصلوا النوافل بالفرائض فاعتقدوا الجميع واجبا ، وذلك تغيير للشرائع ، وهو حرام إجماعا
(القسم الخامس) البدع المباحة ، وهي ما تناولته أدلة الإباحة وقواعدها من الشريعة كاتخاذ المناخل للدقيق ففي الآثار أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ المناخل للدقيق ، لأن تليين العيش وإصلاحه من المباحات فوسائله مباحة فالبدعة إذا عرضت تعرض على قواعد الشريعة وأدلتها فأي شيء تناولها من الأدلة والقواعد ألحقت به من إيجاب أو تحريم أو غيرهما ، وإن نظر إليها من حيث الجملة بالنظر إلى كونها بدعة مع قطع النظر عما يتقاضاها كرهت فإن الخير كله في الاتباع ، والشر كله في الابتداع ولبعض السلف الصالح يسمى أبا العباس الأبياني من أهل الأندلس ثلاث لو كتبن في ظفر لوسعهن ، وفيهن خير الدنيا والآخرة اتبع ، ولا تبتدع اتضع ، ولا ترتفع من تورع لا يتسع .
ومن الواضح أن هؤلاء الأئمة عنوا بالبدعة : البدعة بمعناها اللغوي ، فدخل في ذلك الأمور المستحدثة في عادات الناس ، والمصالح المرسلة ، وغيرها ، ولم يقصدوا البدعة في أمور الدين بل إنهم جعلوا الابتداع في الدين مذموماً كله بلا استثناء ، وعلى هذا فلا يصح الاحتجاج بهذا القول على جواز إحداث بدع في

Modifier avec WPS Office

الدين لأنهم اعبروا ذلك مذموما كله .
ولهذا قال ابن الشاط معلقاً على ما ذكره القرافي :إن أمثلة البدع الواجبة والمندوبة والمباحة التي ذكرها القرافي وشيخه ابن عبد السلام لا تخرج عن كونها مما له أصل في الدين ، ومن المصالح المرسلة ، وعن كونها من العاديات ، وما كان مما له أصل في الدين ، ومن المصالح المرسلة لا يعد من البدع ; لأن خاصة البدعة أنها خارجة عما رسمه الشارع ; إذ هي طريقة في الدين ابتدعت على غير مثال تقدمها تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد فانفصلت بهذا القيد عن كل ما ظهر لبادئ الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين كعلم النحو والتصريف ومفردات اللغة وأصول الفقه وسائر العلوم الخادمة للشريعة فإنها . وإن لم توجد في الزمان الأول فأصولها موجودة في الشرع ، إذ الأمر بإعراب القرآن منقول ، وعلوم اللسان هادية للصواب في الكتاب والسنة فحقيقتها إذا أنها فقه التعبد بالألفاظ الشرعية الدالة على معانيها كيف تؤخذ وتؤدى ، وأصول الفقه إنما معناها استقراء كليات الأدلة حتى تكون عند المجتهد نصب عين ، وعند الطالب سهلة الملتمس ، وكذلك أصول الدين ، وهو علم الكلام إنما حاصله تقرير لأدلة القرآن و السنة أو ما ينشأ عنها في التوحيد وما يتعلق به كما كان الفقه تقرير الأدلة في الفروع العبادية ، وتصنيفها على ذلك الوجه ، وإن كان مخترعا إلا أن له أصلا في الشرع ففي الحديث ما يدل عليه ولو سلم أنه ليس في ذلك دليل على الخصوص فالشرع بجملته يدل على اعتباره ، وهو مستمد من قاعدة المصالح المرسلة . وقد تقدم بسطها فعلى القول بإثباتها أصلا شرعيا لا إشكال في أن كل علم خادم للشريعة داخل تحت أدلتها التي ليست بمأخوذة من جزء واحد فليست ببدعة ألبتة وعلى القول بنفيها لا بد أن تكون تلك العلوم مبتدعات ، وإذا دخلت في علم البدع كانت قبيحة ; لأن كل بدعة ضلالة من غير إشكال كما يأتي بيانه إن شاء الله - تعالى ، ويلزم من ذلك أن يكون كتب المصحف ، وجمع القرآن قبيحا ، وهو باطل بالإجماع ، فليس إذا ببدعة ويلزم أن يكون له دليل شرعي وليس إلا هذا النوع من الاستدلال ، وهو المأخوذ من جملة الشريعة ، وإذا ثبت جزء في المصالح المرسلة ثبت مطلق المصالح المرسلة فعلى هذا لا ينبغي أن يسمى علم النحو أو غيره من علوم اللسان ، أو علم الأصول أو ما أشبه ذلك من العلوم الخادمة للشريعة بدعة أصلا ومن سماه بدعة فإما على المجاز كما سمى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيام الناس في ليالي رمضان بدعة ، وإما جهلا بمواقع السنة والبدعة فلا يكون قول من قال ذلك معتداً به ، ولا معتمدا عليه
الاتجاه الثاني :
مذهب من يفسر البدعة بالزيادة في أمور الدين ، وعلى هذا تكون البدع مذمومة كلها . ومن القائلين بهذا الإمام مالك والشاطبي والطرطوشي . ومن الحنفية : الإمام الشمني ، والعيني . ومن الشافعية : البيهقي ، وابن حجر العسقلاني ، وابن حجر الهيتمي . ومن الحنابلة : ابن رجب ، وابن تيمية .
وأوضح تعريف يمثل هذا الاتجاه هو تعريف الشاطبي ، حيث عرف البدعة بأنها : طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة

Modifier avec WPS Office

الشرعية .
وبهذا التعريف تدخل العادات في البدع إذا ضاهت الطريقة الشرعية ، كالناذر للصيام قائما لا يقعد متعرضا للشمس لا يستظل ، والاقتصار في المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة .
وهذا التعريف هو المتوافق مع النصوص الشرعية ، لأن النصوص الواردة تنهى عن البدع كلها ، وعلى هذا تحمل تلك النصوص على البدع في الدين ، بخلاف الاتجاه ا لأول فإنه أقرب على المعنى اللغوي .
وعلى هذا فالتعريف المختار هو ما ذكره الشاطبي .
وبناء على هذا التعريف فإن فعل المباح إذا قصد منه التقرب فهو بدعة لأنه يضاهي الطريقة الشرعية .

إبطال تعلق المبتدعة ببعض المسائل :

أولا ً : استدلالهم بقوله صلى الله عليه وسلم :" من سن سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة ، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة } رواه مسلم
ووجه استدلالهم أنه يفهم من هذا الحديث أن البدع منها ما هو حسن ومنها ما هو سيء ، فالبدعة التي فيها ذكر وتقرب إلى الله تعالى تعتبر حسنة .

والجواب عن هذه الشبهة من أوجه :

1-ما ذكره الشاطبي من أن المراد بالحديث العمل بما ثبت في السنة النبوية ، أو إحياء سنة مهجورة ، لأن السبب الذي لأجله الحديث هو الصدقة المشروعة ، وذلك فيما رواه جرير بن عبدالله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة إلى آخر الآية إن الله كان عليكم رقيبا والآية التي في الحشر اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء رواه مسلم ومما يؤيدهذا المعنى ما جاء في سنن الترمذي عن كثير بن عبد الله هو ابن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث اعلم قال ما أعلم يا رسول الله قال اعلم يا بلال قال ما أعلم يا رسول الله قال إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان

Modifier avec WPS Office

عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا .وحسنه الترمذي
2-الوجه الثاني :أن قوله صلى الله عليه وسلم : "من سن سنة حسنة ...من سن سنة سيئة" لايمكن حمله على الاختراع من أصل لأن كونها حسنة أو سيئة لا يعرف إلا من جهة الشرع ، فلزم ان تكون السنة في الحديث إما حسنة في الشرع أو قبيحة في الشرع ، فمثال الحسنة في الشرع الصدقة المذكورة قبل الحديث ، ومثال السنة السيئة بالشرع القتل كقوله عليه الصلاة والسلام : " لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل " . متفق عليه
الشبهة الثانية :استدلالهم بقول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح جماعة في المسجد في رمضان نعمت البدعة هذه .
فقد روي عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط . فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم ، فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون . يريد آخر الليل . وكان الناس يقومون أوله .
والجواب عن هذه الشبهة من أوجه :
الوجه الأول :
ما ذكره ابن الشاط رحمه الله بقوله :" إنه إنما سماها بدعة باعتبار ما وإلا فقيام الإمام بالناس في المسجد في رمضان سنة عمل بها صاحب السنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما تركها خوفا من الافتراض فلما انقضى زمن الوحي زالت العلة فعاد العمل بها إلى نصابه إلا أن ذلك لم يتأت لأبي بكر رضي الله عنه زمان خلافته لمعارضة ما هو أولى بالنظر فيه ، وكذلك صدر خلافة عمر رضي الله عنه حتى تأنى النظر فوقع منه لكنه صار في ظاهر الأمر كأنه أمر لم يجر به عمل من تقدمه دائما فسماه بذلك الاسم ; لأنه أمر على خلاف ما ثبت من السنة كما في الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي قلت : وقد جرى على ما عمل عمر رضي الله تعالى عنه من صلاة التراويح بإمام واحد في المسجد عمل الأعصار إلى عصرنا في جميع الأمصار ما عدا مكة والمدينة فإنهما قد ابتدع فيهما شرفهما الله - تعالى - تعدد الجماعات في صلاة التراويح أسأل الله - تعالى - أن يوفق أهلها للعمل فيها بالسنة " . انتهى كلامه رحمه الله .
ومعنى كلامه رحمه الله أن اجتماع الناس على إمام واحد في التراويح ثابت بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الفعلية كما ذكر والقولية لأنه صلى الله عليه وسلم قال : " من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة " رواه البخاري وتسمية عمر لذلك بدعة إنما هو بحسب ظاهر الحال وإلا فإنها سنة مشروعة .
الوجه الثاني :
أن عمر رضي الله عنه له سنة متبعة ، يقول ابن تيمية : وعمر - رضي الله عنه - هو من الخلفاء الراشدين ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم { عليكم بسنتي وسنة

Modifier avec WPS Office

الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي . عضوا عليها بالنواجذ } يعني الأضراس ; لأ نها أعظم من القوة . وهذا الذي فعله هو سنة ، لكنه قال : نعمت البدعة هذه ، فإنها بدعة في اللغة ، لكونهم فعلوا ما لم يكونوا يفعلونه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من الاجتماع على مثل هذه ، وهي سنة من الشريعة ، وهكذا إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، وهي الحجاز واليمن واليمامة ، وكل البلاد الذي لم يبلغه ملك فارس والروم من جزيرة العرب ، ومصر الأمصار : كالكوفة و البصرة ، وجمع القرآن في مصحف واحد ، وفرض الديوان ، والآذان الأول يوم الجمعة ، واستنابة من يصلي بالناس يوم العيد خارج المصر ، ونحو ذلك مما سنه الخلفاء الراشدون ، لأنهم سنوه بأمر الله ورسوله ، فهو سنة . وإن كان في اللغة يسمى بدعة . انتهى كلامه رحمه الله

الشبهة الثالثة :**استدلالهم بإحداث عثمان رضي الله عنه الأذان الأول يوم الجمعة** :

والجواب عن هذه الشبهة من وجهين :

الوجه الأول : أن يقال بأن هذا العمل مشروع لأن عثمان رضي الله عنه من الخلفاء الذين أمرنا بالاستنان بسنتهم لقوله صلى الله عليه وسلم " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي "

الوجه الثاني :أنه أمر بهذا في وقت الصحابة وأقروه على هذا دون نكير فكان كالإجماع منهم على مشروعيته ، ومن المعلوم أن الإجماع هو أحد الأدلة المعتبرة شرعا .

الشبهة الرابعة :استدلالهم بحديث : " ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح"

والجواب عنه من أوجه :

الوجه الأول :أنه لا يصح مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل هو أثر موقوف على ابن مسعود فلا يصح الاحتجاج به .

الوجه الثاني :أن المراد بكلامه رضي الله عنه إجماع الأمة على أمر ما ، فاجتماعهم على حسن شيء يدل على حسنه شرعا لأنه إجماع والإجماع يتضمن دليلا ً شرعياً .

الشبهة الخامسة : استدلالهم بما روي عن النبي صلى الله عيه وسلم أنه أقر بعض الصحابة على بعض الأذكار التي استحدثوها من عند أنفسهم :

ومن ذلك :

1- ما روى أنس أن رجلا جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال أيكم المتكلم بالكلمات فأرم القوم فقال أيكم المتكلم بها فإنه لم يقل بأسا فقال رجل جئت وقد حفزني النفس فقلتها فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا يبتدرونها أيهم يرفعها . رواه مسلم .

2 - عن أنس بن مالك رضي الله عنه كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح ب قل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه

Modifier avec WPS Office

أصحابه فقالوا إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى فإما تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى فقال ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة فقال إني أحبها فقال حبك إياها أدخلك الجنة . رواه البخاري

3- ولما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة قال ما عملت عملا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورا في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي . رواه البخاري

ووجه استدلالهم بهذه النصوص أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر الصحابة هؤلاء على اجتهاداتهم ، فدل ذلك على جواز الاجتهاد في استحداث عبادة .

والجواب عن هذه الشبهة من أوجه :

1- أن إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لهم يعتبر تشريعاً لأن السنة هي كل ما أضيف إليه من قول أوفعل أو تقرير ، ومحل الخلاف في البدع التي يستحدثها الناس بعد وفاته عليه الصلاة والسلام .

2- ولايعني إقراره عليه الصلاة والسلام لهذه الاجتهادات جواز الاجتهاد في استحداث عبادات أو أذكار بعد وفاته ، لأن في هذه النصوص التي استدل بها هؤلا ء ما يفيد أن هذه الأذكار لم تكن مقبولة لو لم يقرها النبي صلى الله عليه وسلم ، يدل على ذلك ما يلي :

1. في حديث أنس المتقدم استنكر الصحابة على إمامهم تكراره للفاتحة ، فدل ذلك على أنه كان من المتقرر في أذهانهم عدم استحداث ذكر أو تلاوة إلا بإذن من النبي .
2. وفي حديث البراء بن عازب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به قال فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك قا ل لا ونبيك الذي أرسلت . متفق عليه ، ووجه الدلالة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالتقيد باللفظ الوارد ن ولم يقره على اجتهاده .
3. ولو صح ما ذكروا لكان قول النبي صلى الله عليه وسلم " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي " لا معنى له ، إذ يصح لكل أحد أن يستحدث طقوساً وأذكاراً وعبادات وفق ما يرى أنه قربة لله .
4. وأما استدلالهم بحديث بلال فهو في غير محله ، لأن سنة الوضوء مشروعة أصلا ً بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في حديث

Modifier avec WPS Office

عثمان وغيره في الصيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه . فيكون بلال قد سمع هذا الحديث أو غيره فواظب عليه ، ولذا استحق هذا الأجر .

الشبهة السادسة : الاستدلال بما ذكره بعض العلماء من تقسيم البدع إلى خمسة أقسام ، ومنها البدع الحسنة والبدع السيئة :

والجواب عن هذه الشبهة :

أن الاستشهاد بكلام هؤلاء الأئمة في غير محله لأن هؤلاء الأئمة لم يقصدوا البدع في الدين ، وإنما مرادهم البدعة بمعناها اللغوي ، ويتضح ذلك من الأمثلة التي ذكروها ، كبناء القناطر ، والمدارس ، وتعليم النحو ، ونحوذلك ، وهذه لا منازعة في جوازها ، وإنما محل الخلاف في الابتداع في الدين ، وقد أدرجها هؤلاء الأئمة في البدع المذمومة .

أقسام البدع :

تنقسم البدع إلى عدة أقسام :

1- فمن البدع ما هو إحداث في الدين غير مشروع من أصله ، كصلاة الرغائب في رجب ، وكبدعة الجاهليين التي نبه عليها القرآن الكريم في قوله تعالى : { ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام } وقوله تعالى : { وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء }

2- ومن البدع ما هو زيادة على الأمر المشروع ، كزيادة الشيعة في الأذان " أشهد أن علياً ولي الله " ، و كالتلفظ بالنية فإن النية محلها القلب ، وزيادة التلفظ بها غير مشروعة .

3- ومن البدع ما هو نقص عن المشروع ، كالذكر بقول : الله ، الله .

4-ومن البدع ما هو تحويل للمشروع عن موضعه ، كتقديم خطبة العيد على الصلا ة .

5- ومن البدع ما هو ترك للمأذون فيه على وجه التدين ، وتسمى البدعة التركية ، مثل ما جاء في الصحيحين: { جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له . لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " رواه البخاري ومسلم

ومثل ذلك :من يترك المندوب على سبيل التعبد لله فهذا مبتدع .

وكذلك من فعل المعصية تقرباً إلى الله تعالى فهذا جمع بين أمرين : إثم المعصية ، وإثم البدعة ، مثل من يستمع الغناء ليلة المولد ، أو ينذر لقبر ، ونحو ذلك .

6- ومن البدع ما هو تقييد للمشروع بوقت أو مكان أو حال لم يرد في الشرع .

Modifier avec WPS Office

ومن أمثلة ذلك :

1. الدعاء الجماعي في أدبار الصلوات ، فإن الدعاء في أدبار الصلوات مشروع من حيث الأصل ، لكن المواظبة على الاجتماع عليه لم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته الكرام ، فاستحداث هذه الهيئة يعد بدعة .
2. الاجتماع على قراءة القرآن عند العزاء وإهداء ثوابها للميت ، فإن قراءة القرآن في أصلها مشروعة ، لكن تخصيصه في حال وفاة الميت بدعة محدثة .
3. تخصيص ليلة من الليالي التي لم يرد فيها فضل بقيام ، أو تخصيص يوم بصيام ، أو تخصيص أي وقت بعبادة ، أو بذكر ، من غير دليل على ذلك ، حتى ولو كانت العبادة مشروعة في اصلها ، لأن التخصيص زيادة في العبادة من غير دليل ، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تخصيص يوم الجمعة بصلاة ، وعن تخصيص ليلتها بقيام ، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إ لا أن يكون في صوم يصومه أحدكم ، وإنما نص على هذا اليوم ، وتلك الليلة ، لكونهما أدعى إلى تخصيصهما من بين سائر الليالي والأيام ، لما لهما من الفضائل ، فيكون غيرهما من الأوقات أولى بالنهي .
4. ومن ذلك تخصيص ليلة الإسراء بعبادة أو اجتماع ، أو تخصيص شهر رجب بعمرة ، أو عاشوراء بغير الصيام .. ونحو ذلك
5. ومن ذلك شد الرحال إلى القبور :فإن زيارة القبور في أصلها مشروعة ، لكن شد الرحال إليها بمعنى السفر إليها ممنوع ، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى . متفق عليه

ومعنى الحديث : أي لايجوز أن يخصص مكان بشد الرحال إليه بقصد التعبد لله إلا لهذه الأماكن الثلاثة ، أما السفر تنزهاً أو لطلب العلم أو للتجارة فهو خارج عن النهي ، لأن المنهي أن يخصص مكان لشد الرحال إليه على وجه التقرب ، فيدخل في ذلك السفر لزيارة القبور .

6. ومن البدع الشائعة اتخاذ اليوم الذي يوافق مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيداً ، والمعروف أن أول من أحدث هذا هم العبيديون ، فهذه من البدع المذمومة لما يلي :

I. لأنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من السلف الاحتفال بها ، مع شدة حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولو حصل هذا لنقل إلينا لأنه أمر يتعلق بعموم الأمة .
II. ولأن هذا العيد داخل تحت المحدثات المذمومة في الدين ، فيشمله قوله عليه الصلاة والسلام : وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة "
III. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن أعيادنا أهل الإسلام هي يوم الفطر

Modifier avec WPS Office

والأضحى والجمعة ، فاتخاذ غيرها عيداً زيادة على المشروع واستدراك على المشرع .

IV. ولايمكن أن يعد الاحتفال من الأمور العادية وليست التعبدية لأن الاحتفال مرتبط بأمر ديني وهو المولد النبوي.

V. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن مقتضى محبته في اتباعه ، والصلاة عليه ، وإحياء سنته وغيرها من الأمور المشروعة ، لا بالاحتفالات والغناء و الرقص وغيرها من الأمور المنكرة .

VI. ولما يصاحب هذا الاحتفال من المنكرات والأمور المحرمة التي لا يقرها عقل ولا دين ، مثل إضاعة الأموال ، والمبالغة في إنارة المساجد والطرقات ، وإيقاد الشموع ،والاختلاط الواقع بين الرجال والنساء ، واستعمال المزامير والأغاني ، وإنشاد الأشعار التي فيها غلو في مقامه عليه الصلاة والسلام ...الخ .

وقد حاول البعض الدفاع عن هذه البدعة ، وذكروا بعض الحجج ، فمن حججهم :

I. أن في هذا الاحتفال مصالح شرعية ، من تلاوة للقرآن ، وإطعام للطعام ، وقراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتذكير الناس به .

II. ولما ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه .فحيث أقر النبي صلى الله عليه وسلم هذا العمل شكراً لله على فضله في إنجاء موسى فإنه يجوز أن يخص مولد النبي بالعبادة شكراً لله على تفضله بمحمد .

والرد على هاتين الشبهتين :

I. ما قيل من أن هذه البدعة سبب لحمل الناس عل الخير فهذا باطل ، لأن الوصول إلى الخير لا يكون بوسيلة محرمة ، لأن تلاوة القرآن وغيره من القربات جاءت في وقت غير مشروع لأنها عبادات والأصل في العبادات التوقيف ، والمسلم مطالب بفعل الخير وبقراءة الهدي النبوي في كل وقت وليس في مراسم معينة ، ولو صح ما ذكروا لكان زمن البعثة ، والهجرة ، وانتصاره في الغزوات أولى من ذلك اليوم ، ولو كان في هذا الاحتفال خيراً لبينه لنا عليه الصلاة والسلام ، فقد قال وهو الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى :"ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا دللتكم عليه " فالاجتهاد في هذه المسائل في غير محله لأنا قد كفينا المئونة .

II. وأما الاستدلال بصيام عاشوراء ، فلا دليل فيه لأن الصيام ثابت بإقراره عليه الصلاة والسلام وليس بالاستحسان أو الابتداع ، بخلاف بدعة المولد ، بل إن في هذا الحديث ما يرد على هؤلاء لأن الاحتفال بالمولد لو كان مشروعاً لأ

Modifier avec WPS Office

أرشد أمته إليه مع صيام عاشوراء أو بديلا ً عنه .

درجات البدع :

البدع متفاوتة على النحو التالي :

1- فمنها ما هو كفر صراح :

1. كبدعة الجاهلية التي نبه القرآن عليها كقوله تعالى : { وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا : هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا } الآية ، وقوله تعالى : { وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء } وقوله تعالى : { ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام } .
2. ومن هذه البدع طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله ، كما قال تعالى : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أراباً من دون الله " .
3. ومن ذلك الغلو في الأنبياء والصالحين ورفع درجتهم إلى مقام الأ لوهية ، أو صرف شيء من العبادة لهم ، لأن في هذا شركاً
4. ومن ذلك بدعة الحلول والاتحاد التي قال بها غلاة الصوقية كقول ابن عربي في تفسير قوله تعالى : " واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا" قال ما نصه : واذكر اسم ربك الذي هو أنت .

2- ومنها ما هو معصية وليس بكفر :

كبدعة التبتل والصيام قائما في الشمس ، والخصاء بقطع شهوة الجماع ، للأحاديث الواردة في النهي عن ذلك .

وتنقسم البدع غير المكفرة إلى كبيرة وصغيرة :

ذلك أن المعاصي منها صغائر ومنها كبائر ، ويعرف ذلك بكونها واقعة في الضروريات أو الحاجيات أو التحسينات ، فإن كانت في الضروريات فهي أعظم الكبائر ، وإن وقعت في التحسينات فهي أدنى رتبة بلا إشكال ، وإن وقعت في الحاجيات فمتوسطة بين الرتبتين ; لقوله تعالى : { الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش إلا اللمم } وقوله : { إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما } ، وإذا كانت ليست رتبة واحدة فالبدع من جملة المعاصي ، وقد ثبت التفاوت في المعاصي ، فكذلك يتصور مثله في البدع ، فمنها ما يقع في الضروريات ، ومنها ما يقع في رتبة الحاجيات ، ومنها ما يقع في رتبة التحسينات .

وهذا التقسيم من حيث اعتبار البدعة كبيرة أو صغيرة مشروط بشروط :

الأول : ألا يداوم عليها ، فإن الصغيرة من المعاصي لمن داوم عليها تكبر بالنسبة إليه ; لأن ذلك ناشئ عن الإصرار عليها ، والإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة ، ولذلك قالوا : لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع استغفار ، فكذلك البدعة من غير فرق .

الثاني : ألا يدعو إليها . فإذا ابتلي إنسان ببدعة فدعا إليها تحمل وزرها وأوزار الآخرين معه ، مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : { من سن سنة سيئة

Modifier avec WPS Office

فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة } .
الثالث : ألا يجاهر بها :كأن يفعلها في الأماكن العامة التي يجتمع فيها الناس ، أو المواضع التي تقام فيها السنن ، وتظهر فيها أعلام الشريعة ، وألا يكون ممن يقتدى به أو يحسن به الظن ، فإن العوام يقتدون - بغير نظر - بالموثوق بهم أو بمن يحسنون الظن به ، فتعم البلوى ويسهل على الناس ارتكابها .

الفرق بين البدعة والمصلحة المرسلة :

المصلحة المرسلة اصطلاحا : هي أن يناط الأمر باعتبار مناسب لم يدل الشرع على اعتباره ولا إلغائه إلا أنه ملائم لتصرفات الشرع .
فالفرق بين المصلحة المرسلة والبدعة أن المصلحة المرسلة لايقصد من استحداثها التعبد بها بذاتها بخلاف البدعة فإنه يقصد منها التعبد لله .

الفروق بين البدعة والمعصية :

1- المعصية سببها داء الشهوة ، أما البدعة فسببها داء الشبهة ،
2- ولهذا فإن مرتكب المعصية قصده نيل غرضه وشهوته وهو يؤمل رحمة الله وعفوه لأنه لايعتقد إباحتها ، أما المبتدع ففي ذهنه أن بدعته تلك من الشرع ، فهو مستحل لها.
ولهذا كانت البدعة أعظم من المعصية لما تشتمل عليه من المجاهرة لله في المعصية .

دواعي البدعة وأسبابها :

دواعي البدعة وأسبابها وبواعثها كثيرة ومتعددة ، يصعب حصرها ; لأنها تتجدد وتتنوع حسب الأحوال والأزمان والأمكنة والأشخاص ، وأحكام الدين وفروعه كثيرة ، والانحراف عنها واتباع سبل الشيطان في كل حكم متعدد الوجوه . وكل خروج إلى وسيلة من وسائل الباطل لا بد له من باعث . ومع ذلك فمن الممكن إرجاع الدواعي والأسباب إلى ما يأتي :

1- الجهل بالمقاصد :

ما ينبغي للإنسان أن يعلمه ولا يجهله من المقاصد أن الشريعة جاءت كاملة تامة لا نقص فيها ولا زيادة ، ويجب أن ينظر إليها بعين الكمال لا بعين النقص ، وأن يرتبط بها ارتباط ثقة وإذعان ، في عاداتها وعباداتها ومعاملاتها ، وألا يخرج عنها ألبتة . وهذا الأمر أغفله المبتدعة فاستدركوا على الشرع ، وكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل لهم في ذلك فقالوا : نحن لم نكذب على رسول الله وإنما كذبنا له . وحكي عن محمد بن سعيد ، المعروف بالأردني ، أنه قال : إذا كان الكلام حسنا لم أر فيه بأسا ، أجعل له إسنادا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

2- الجهل بالسنة :

من الأمور المؤدية إلى البدعة الجهل بالسنة . والجهل بالسنة يعني أمرين :
الأول ، جهل الناس بأصل السنة .
والثاني : جهلهم بالصحيح من غيره ، فيختلط عليهم الأمر .

3- تحسين الظن بالعقل :

عد العلماء من دواعي البدعة تحسين الظن بالعقل ، ويتأتى هذا من جهة أن

Modifier avec WPS Office

المبتدع يعتمد على عقله ، ولا يعتمد على الوحي وإخبار المعصوم صلى الله عليه وسلم فيجره عقله القاصر إلى أشياء بعيدة عن الطريق المستقيم ، فيقع بذلك في الخطأ والابتداع ، ويظن أن عقله موصله ، فإذا هو مهلكه . وهذا لأن الله جعل للعقول في إدراكها حدا تنتهي إليه لا تتعداه ، من ناحية الكم ومن ناحية الكيف . أما علم الله سبحانه فلا يتناهى ، والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى .

ويتخلص من ذلك :

1. أن العقل ما دام على هذه الصورة لا يجعل حاكما بإطلاق ، وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق ، وهو الشرع ، والواجب عليه أن يقدم ما حقه التقديم ، ويؤخر ما حقه التأخير .
2. إذا وجد الإنسان في الشرع أخبارا يقتضي ظاهرها خرق العادة المألوفة - التي لم يسبق له أن رآها - لا يجوز له أن يقدم بين يديه لأول وهلة الإ نكار بإطلاق ، بل عليه يصدق به ويكل العلم فيه للراسخين في العلم و المتخصصين فيه متمثلا بقوله تعالى : { والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا } وقوله : { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا } .

4- اتباع المتشابه :

قال أهل العلم : المتشابه هو ما تقابلت فيه الأدلة . وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اتباع المتشابه بقوله : { إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم } وقد ذكرهم القرآن في قوله تعالى : { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه } . فليس نظرهم في الدليل نظر المستبصر حتى يكون هواه تحت حكمه ، بل نظر من حكم بالهوى . ثم أتى بالدليل كالشاهد له .

5- اتباع الهوى :

يطلق الهوى على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء ، ثم غلب استعماله في الميل المذموم والانحراف السيئ . ونسبت البدع إلى الأهواء ، وسمي أصحابها بأهل الأ هواء ; لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها ، بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم ، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك .

مداخل هذه الأهواء :

أ - اتباع العادات والآباء وجعلها دينا . قال تعالى في شأن هؤلاء : { إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون } فقال الحق على لسان رسوله { قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم }

ب - رأي بعض المقلدين في أئمتهم والتعصب لهم ، فقد يؤدي هذا التغالي في التقليد إلى إنكار بعض النصوص والأدلة أو تأويلها ، وعد من يخالفهم مفارقا للجماعة .

Modifier avec WPS Office

ج - التصوف الفاسد وأخذ ما نقل عن المتصوفة من الأحوال الجارية عليهم ، أو الأ قوال الصادرة عنهم دينا وشريعة ، وإن كانت مخالفة للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة .

د - التحسين والتقبيح العقليان . فإن محصول هذا المذهب تحكيم عقول الرجال دون الشرع ، وهو أصل من الأصول التي بنى عليها أهل الابتداع في الدين ، بحيث إن الشرع إن وافق آراءهم قبلوه وإلا رد .

هـ - العمل بالأحلام . فإن الرؤيا قد تكون من الشيطان ، وقد تكون من حديث النفس ، وقد تكون من أخلاط مهتاجة . فمتى تتعين الرؤيا الصالحة النقية حتى يحكم بها ؟ ، .

مسائل للفائدة :

المسألة الأولى :القيام للقادم :

القيام على ثلاثة أنواع :

1- قيام إلى القادم: أي لأجل المصافحة ونحوه ، فهذا جائز ، لما في الصحيح في قصة كعب بن مالك وتخلفه عن تبوك وفيه :قال كعب حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة .متفق عليه ، وفي الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار : قوموا إلى سيدكم-يعني سعد بن معاذ –فأنزلوه.

2-قيام للقادم : تكريماً له وإجلالا ، لا لأجل تلقيه أو السلام عليه ، فهذا محرم ، فعن أبي مجلز قال خرج معاوية فقام عبد الله بن الزبير وابن صفوان حين رأوه فقال اجلسا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار .رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ، وعن أنس قال لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك " رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

قيام على االشخص :أي يكون الشخص قاعداً والناس قيام حوله تكريما ، فهذا لا يجوز إلا لنحو حراسة ، لما في الصحيح عن جابر قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يسمع الناس تكبيره فالتفت إلينا فرآنا قياما فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعودا فلما سلم قال إن كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم إن صلى قائما فصلوا قياما وإن صلى قاعدا فصلوا قعودا . رواه مسلم.

المسألة الثانية :تقبيل الأيدي والأرجل :

عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يلقى أخاه أو صديقه أينحني له ؟ قال : لا قيل : أفيلتزمه ويقبله ؟ قال : لا قيل : أفيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال : نعم } . أحمد والترمذي وابن ماجه

وعن بريدة أن أعرابيا قعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحسن كلامه فاستأذنه في أن يقبل وجهه ، فأذن له ، ثم استأذن أن يقبل يده ، فأذن له ، ثم

Modifier avec WPS Office

استأذن في أن يسجد له ، فلم يأذن له } . الحاكم
وعن صفوان بن عسال قال : { قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي ، الحديث وفيه : فقبلا يده ورجله ، وقالا : نشهد أنك نبي ، } رواه أصحاب السنن بإسناد قوي . وعن الزارع أنه كان في وفد عبد القيس ، قال . فجعلنا نتبادر من رواحلنا ، فنقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم ، } الحديث . رواه أبو داود
وفي حديث الإفك عن عائشة فقال لي أبو بكر : {قومي فقبلي رأسه } .
وفي السنن الثلاثة عن عائشة قالت : { ما رأيت أحدا كان أشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة ، وكان إذا دخلت عليه قام إليها ، فأخذ بيدها فقبلها ، وأجلسها في مجلسه ، وكانت إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته ، وأجلسته في مجلسها } .
فيستفاد من النصوص المتقدمة جواز تقبيل الرأس واليدين والرجلين للمحارم إذا كان بقصد التقدير والإكرام .
الصفة الرابعة من صفات الفرقة الناجية :
الاقتصار على الوحيين في التلقي ، على وفق فهم السلف :
فهذه من أهم صفات الفرقة الناجية وما يميزها عن سائر الفرق ، ولهذا قال تعالى : " هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين "
ويقول أهل العلم : إنه يجب أخذ الكتاب والسنة على وفق فهم السلف الصالح ، لأن كل الفرق يسمون أنفسهم أهل السنة ، لكن لم يأخذوا الكتاب والسنة على وفق فهم السلف الصالح ، بل عبثوا في تلك النصوص تحريفاً وتأويلا ً .
الصفة الخامسة : التسليم للنصوص وعدم معارضتها بالعقول :
فالنص هو الحاكم عند أهل السنة خلافاً لأهل الأهواء كالمعتزلة الذين يتقدمون بين يدي النصوص بأهوائهم وعقولهم ، والصوفية الذين يأخذون بالذوق والإلهام ، ولهذا يقول ابن تيمية : " العقل سلطان ولى الرسول ثم عزل نفسه " .
والله سبحانه وتعالى قد أوجب على كل مسلم أن يتبع ما ورد في القرآن والسنة وأ لا يعارض ذلك بمصلحة يظنها تعارض ذلك النص ، أو برأي يتوهم مصادمته له ، ق ال تعالى : " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قض الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ،.
الصفة السادسة : الإيمان والعمل بكل ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم :
فهم يأخذون الدين كله من غير أن يفرقوا بين أجزائه ، عملا ً بقوله تعالى : " يا أيها الذي آمنوا ادخلوا في السلم كافة " ، والمقصود بالسلم هنا أي الإسلام ، لأن الإ سلام هو دين الأمن والسلام ، وقد عاتب الله من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض كحال العلمانيين في هذا العصر الذين يعملون بأحكام الشرع في الأحوال الشخصية أما في الأمور السياسية أو القضايا الجنائية فيتحاكمون إلى القوانين الوضعية فقال تعالى : " أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب "

Modifier avec WPS Office

الصفة السابعة : الجمع بين العلم والعمل :
فهم يعلمون الحق ويعملون به ، كما قال تعالى : " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله " فالهدى هو العلم النافع ، ودين الحق هو العمل الصالح ، وهذا بخلاف من ضل من الفرق الإسلامية فاتبع طريق اليهود الذين كا نوا يعلمون الحق فلم يعملوا به ، فغضب الله عليهم ، ومنهم من اتبع طريقة النصارى الذين كا نوا يعملون بلا هدى ، فكانوا يترهبون لله ويتعبدون لله على ضلالة ، فلذا سماهم الله ب"الضالين " ، ولهذا حكي عن جمع من السلف قولهم : " من ضل من علمائنا ففيه شبه من اليهود – لأنه علم ولم يعمل – ومن ضل من عبادنا ففيه شبه من النصارى – لأنهم عبدوا الله على ضلالة .

دراسة لأهم الفرق المخافة لمنهج أهل السنة والجماعة

مذهب التعطيل

تعريف التعطيل

لغةً: بمعنى التفريغ والإخلاء.
وفي الاصطلاح العقدي: هو إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات
وهو على نوعين، كلي وجزئي:
تعطيل كلي: كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الأسماء والصفات.
تعطيل جزئي: كإنكار المعتزلة الذين نفوا الصفات وأثبتوا الأسماء، وتعطيل الأ شاعرة الذين أثبتوا الأسماء نفوا الصفات ما عدا سبع صفات.
أول من عُرف بالتعطيل في الأمة الإسلامية هو الجعد ابن درهم وقد أظهر مقالته بالتعطيل في نفي أسماء الله وصفاته على عهد الدولة الأموية واشتهرت مقالته في العراق وخراسان، ثم إنه قتل على يد أمير العراق خالد ابن عبد الله القسري وكان والياً على العراق من قبل هشام ابن عبد الملك ورُوي أنه خرج على الناس في عيد الأضحى، فخطب الناس ثم بعد الخطبة قال للناس: ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد ابن درهم فإنه يقول إن الله لم يتخذ موسى خليلا ولم يكلم موسى تكليما. فاعتبر قوله هذا ردة، فقتل الجعد وكان ذاك في سنة مائه وتسعة عشر للهجرة.
وأخذ تلك المقالة عن الجعد بن درهم الجهم ابن صفوان، وكان الأخير في بدايته متحنثاً متعبدا لكنه فيما يُروى أنه ناقش قوماً من السمنية وهؤلاء ينكرون الإله (من الفرق الدهرية)، فناقشهم في خراسان وتأثر بعقيدتهم ويُقال أنه جلس في بيته أياماً طويلة بعد هذه المناقشة يتأمل في مقالتهم ثم خرج على الناس ببدعته وهي بدعة التجهم بإنكار الأسماء والصفات، ونشر هذه البدعة في خراسان والعراق حتى قُتل على يد سلم ابن أحوز صاحب شرطة نصر ابن سيار وكان ذلك في مرو سنة مائة وثمانية وعشرون للهجرة.

Modifier avec WPS Office

ثم في نهاية المئه الثانية من الهجرة عُربت الكتب اليونانية وكتب الفلاسفة على عهد المأمون وتأثر بها كثير من فلاسفة المسلمين وظهرت البدع الكلامية في الأمة الإسلامية وانتشرت وأيدتها الدولة العباسية على عهد المأمون ثم المعتصم ثم المتوكل وألزم عامة العلماء على القول ببدعة التعطيل ومن ذلك القول بخلق القرآن.

وفي نهاية المئة الثانية كذلك ظهر بشر ابن غياث المريسي، وهذا يعتبره كثير من المؤلفين المؤسس لبدعة التعطيل في الأمة الإسلامية لأنه هو الذي نشرها وأيدها وألف فيها العديد من المؤلفات وكان لمؤلفاته صدى واسع فتأثر بها كثير من الناس .

ولذلك ألف جمع من العلماء عدد من المؤلفات في الرد على بدعته، ومن أشهر هذه المؤلفات، رد الإمام عثمان ابن سعيد الدارمي صاحب السنن. ثم بعد ذلك بقيت بدعة التعطيل في الأمة الإسلامية إلى الوقت الحاضر.

من الألفاظ ذات الصلة بالتعطيل ما يلي:

1- التحريف :

التحريف لغةً: التغيير

وفي الاصطلاح: تغيير النص لفظاً أو معنى،

ومن هذا يتبين أن التحريف على نوعين: تحريف لفظي وتحريف معنوي.

أما التحريف النصي فهو الزيادة أو النقص في آيات الله المنزلة كزيادة حرف أو نقص حرف منها مثل تحريف اليهود لكتاب الله تعالى المنزل عليهم ومثل تحريف الشيعة الذين يقولون أن القرآن ناقص. وأما التحريف المعنوي فهو تحريف أسماء الله وصفاته عن المعنى الحقيقي لها إلى معانٍ باطلة.

2- التأويل:

التأويل لغةً: مأخود من الأوْل أي الرجوع، يقال: آل الأمر إلى كذا أي رجع إلى كذا وصار مآله إليه.

وفي الاصطلاح الشرعي: التأويل يُطلق على عدة معاني، فمن معاني التأويل :

1- الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر هو عين المخبر به وتأويل الأمر هو نفس الفعل المأمور به مثل قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام:"هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا" أي هذا حقيقة ما أخبرتكم به. ومنه قول عائشة رضي الله عنها ، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اغفر لي يتأول القرآن. أي يمتثل أمر القرآن في قوله تعالى : "فسبح بحمد ربك واستغفره "

2- ومن معاني التأويل كذلك : التفسير، وعلى هذا حمل بعض أهل العلم قول النبي عليه الصلاة والسلام لابن عباس: اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل، أي التفسير.

3- صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، والمقصود بالمعنى

Modifier avec WPS Office

الراجح أي المعنى المتبادر للذهن أو الذي يؤيده الأصل إلى المعنى المرجوح وهو غير المتبادر للذهن أو المنقول عن الأصل

فإن كان التأويل بقرينة صحيحة فإنه يُسمى تأويلا ً صحيحاً مثل قوله تعالى:"فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" فظاهر الآية على أن الاستعاذة تكون بعد قراءة القرآن لأن الفاء في اللغة العربية تفيد الترتيب و التعقيب، لكن هذه الآية مؤولة فالمعنى الراجح المتبادر للذهن مصروف إلى المعنى المرجوح فيكون المعنى: فإذا أردت قراءة القرآن. وإن لم يكن هناك قرينة على التأويل أو كانت القرينة فاسدة فإن التأويل هنا يُسمى تحريفا مثل تأويل أسماء الله وصفاته من المعنى الحقيقي لها إلى معان فاسدة.

3-الإلحاد :

الإلحاد في اللغة: الميل

وفي الاصطلاح الشرعي: الميل عما يجب اعتقاده في آيات الله وأسمائه

وقدأشار الله إليه في القرآن الكريم في قوله تعالى:"ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه".

فمن الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته :

- تعطيلها عما تستحقه من المعاني الثابتة لها.
- ومن الإلحاد أيضاً، أن يُسمى الله تعالى بما لم يُسمي به نفسه مثل تسمية النصارى له بالآب وتسمية الفلاسفة له بالعلة الفاعلة
- ومن الإلحاد في أسماء الله أن يُشتق من أسمائه أسماءً للأصنام كما فعل مشركو العرب حيث اشتقوا اسم اللات من الله والعزى من العزيز.

طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته

منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته كالتالي:

1- في الإثبات: فهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

و التمثيل هو اعتقاد أن صفاته مثل صفات شيء من مخلوقاته مثل أن يُقال لله يد كيدي، والتكييف أن تحكى كيفية الصفة من غير تقييدها بمثل ، مثل أن يُقال لله يد صفتها كذا وكذا ، والتحريف والتعطيل سبق شرحهما

2- في النفي: نفي ما نفاه الله عن نفسه من الصفات وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم مع إثبات كمال ضده، بمعنى أنه جاءت صفات في القرآن والسنة منفية عن الله تعالى، فمنهج أهل السنة أن ينفوا تلك الصفات مع إثبات كمال ضدها .

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى:" وما ربك بظلام للعبيد" فهنا ينفون الظلم عن الله ويثبتون كمال ضده وهو العدل، فهو لا يظلم سبحانه وتعالى لكمال عدله

Modifier avec WPS Office

ومثل قوله "لا تأخذه سنة ولا نوم" فهم ينفون السنة عن الله والنوم لكمال حياته وقيومته.
ومثل قوله تعالى : " لايعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض " أي لكمال علمه .
ومثل قوله تعالى :"وما مسنا من لغوب " أي تعب ، لكمال قوته .
وهكذا، ففي كل الصفات المنفية عن الله ينفيها أهل السنة ويثبتون كمال ضدها وليست نفياً مجرداً لأن النفي المجرد في الحقيقة ليس بمدح ما لم يكن متضمناً لإ ثبات كمال الضد، فإن الشيء قد تنفى عنه الصفة لا لكماله وإنما لعجزه ، أو لكونه محلا ً غير قابل لتلك الصفة .
فمثال النفي بسبب العجز قول الشاعر:
قبيلةٌ لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
فهذه القبيلة لاتظلم لعجزها لأن الشاعر أتى بذلك في سياق الذم .
ومثال النفي بسبب عدم قبول المحل لتلك الصفة : قولك الجدار لا يظلم ، فهذا الوصف لا يتضمن حمداً .
منهج السلف ف الإثبات والنفي : هو التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي ، أي إثبات أسماء الله وصفاته على سبيل التفصيل كإثبات صفة اليدين والوجه والرحمة والعلم والقدرة ..الخ ، أما في النفي فمنهجهم هو الإجمال ، فينفون عن الله النقص والمثل والعيب والنظير ونحو ذلك .

3- **فيما لم يرد فيه نفي ولا إثبات:** هناك صفات لم يرد في القرآن أو في السنة نفيها ولا إثباتها وهذه صفات ذكرها أهل الكلام مثل " الجهة " و "الجسم "، ويتوصلون من نفي ذلك إلى نفي الصفات، فمنهج أهل السنة في مثل هذه الكلمات التي لم يرد فيها نفي ولا إثبات

بالنسبة للفظ : فيُتوقف فيه فلا ننفيه ولا نثبته ونقول يسعنا ما جاء في القرآن وما جاء في السنة.
أما بالنسبة للمعنى : ففيه تفصيل فلا ننفي المعنى ولا نثبته حتى ينظر في مقصود قائلها فإن كان معنى صحيحاً قبُل لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الأ لفاظ
مثال ذلك :لفظ الجهة فنقول : هذا اللفظ لم يرد في القرآن ولا في السنة فنتوقف فيه ، أما معناه فنفصل فيه ، فيقال : إن أردتم بالجهة العلو أي أنه سبحانه عال فوق عرشه فهذا المعنى صحيح . أما إن أردتم بالجهة أن الله يحيط به شيء من خلقه فهذا المعنى فاسد وهو ممتنع عن الله .

أشهر فرق التعطيل في الأمة الإسلامية

الفرقة الأولى: الجهمية

أتباع الجهم بن صفوان

من أبرز أقوال الجهمية:

أولا ً: التعطيل فهم ينفون الأسماء والصفات عن الله تعالى مطلقاً، فيقولون ليس بسميع ولا ببصير ...إلى آخره.

Modifier avec WPS Office

ثانياً: قولهم بفناء الجنة والنار.
ثالثاً: أن الإيمان هو المعرفة فقط، فمن عرف الله فهو مؤمن وإن لم يعمل ، وأن الكفر هو الجهل بالله.
ورد عليهم أهل السنة بأنه يلزم على هذا أن يكون إبليس أكبر المؤمنين لأنه يعرف الله تعالى
رابعاً: القول بالجبر أي أن العبد مجبر على أفعاله ، وقد سبق مناقشة هذا القول في عقيدة 3
ولهذا يقول الشاعر في هذه الفرقة:
عجبت لشيطان دعا الناس جهرة   إلى النار واشتُق اسمه من جهنم.
الفرقة الثانية: المعتزلة
وهم أتباع واصل ابن عطاء المتوفى سنة مئة وإحدى وثلاثين للهجرة وعمرو بن عبيد المتوفى سنة مئة وأربعة وأربعين للهجرة وسُموا بالمعتزلة لاعتزال واصل (وقيل عمرو بن عبيد) مجلس الحسن البصري لما سُئل عن مرتكب الكبيرة..فتوقف فيها الحسن.
و قيل إن السبب في تسميتهم بالمعتزلة أنهم اعتزلوا أهل السنة
وقد ظهرت هذه الفرقة في القرن الثاني بعد انقراض أكابر التابعين وقد كان سبب انتشارها أمرين:

1- مناصرة بني العباس لهم فقد كان المعتزلي أحمد ابن أبي دُوئاد وزيراً مقربا من المأمون فدعا الناس إلى القول بالإعتزال والقول بخلق القرآن وكانت محنة الإمام أحمد ابن حنبل.
2- ظهوركتب الفلسفة وترجمتها لا سيما في عصر المأمون لأن المذهب ا لاعتزالي هو مذهب عقلاني فلسفي فتأثر كثير من أتباع تلك الفرقة بـ الفلسفة اليونانية والكتب المترجمة.

أصول المعتزلة الخمسة:

1- التوحيد، ويقصدون بالتوحيد نفي الصفات عن الله وإثبات قالوا لأ ن إثبات الصفات يستلزم تعدد القدمى .
2- العدل، ويقصدون بالعدل نفي القدر أي أن الله لم يخلق أفعال العباد.
3- إنفاذ الوعيد، ويقصدون بذلك أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار الآ خرة فهم ينفذون وعيد الله فيه.
4- المنزلة بين المنزلتين،أي أن مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين المنزلتين.
5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقصدون بذلك وجوب الإنكار على الحكام إذا ارتكبوا منكراً والخروج عليهم.

وقد شرح هذه الأصول الخمسة القاضي عبد الجبار الهمداني (رجل مشهور من رؤوس المعتزلة) في كتابه (المغني).

Modifier avec WPS Office

ومن أقوالهم:

1- إنكار الشفاعة، لأن الشفاعة تتعارض مع أصلهم في إنفاذ الوعيد.
2- عدم قبول خبر الآحاد في العقائد، بل لا بد أن يكون الخبر متواتراً.
3- تقديم العقل على النقل في الاستدلال فإذا تعارض العقل مع النقل فالمقدم هو العقل عندهم .

من أشهر فرق المعتزلة:

وقد عدها الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين) كما عدها الشهرستاني في كتاب الملل والنحل وابن حزم في الفصل:

- الواصيلية، أتباع واصل ابن عطاء.
- الجبائية، أتباع أبي علي الجبائي.
- الهذلية أتباع، أبي الهذيل البصري.
- والجاحظية، أتباع الجاحظ.

الفرقة الثالثة: الأشاعرة

وهم أتباع أبو الحسن على ابن اسماعيل الأشعري، وأبو الحسن من الأعلام المشهورين وألفت فيه مؤلفات ورسائل علمية. ولد سنة 260 للهجرة وتوفي سنة330، وكان في بغداد ومن أشهر مؤلفاته : مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، و رسالة إلى أهل الثغر،و الإبانة عن أصول الديانة.

الأطوار التي مر بها أبو الحسن الأشعري:

1) عاش أول حياته معتزلياً وألف مؤلفات في الإنتصار لمذهب الاعتزالي ولكنه رجع عنه، عاش أربعين سنة من حياته متأثراً بالمذهب الإعتزالي لا سيما بشيخه أبي علي الجبائي، وكان هذا قد تزوج بأم أبي الحسن ، فكان تلميذه وربيبه لذا تأثر بمقولاته. لكن لما بلغ الأربعين تراجع عن مقولته .

واختلف الناس في سبب تراجعه : فقيل بسبب رؤيا رأى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فسأله عن المذهب الإعتزالي فقال له عليك بالقرآن والسنة. ويُقال إن سبب رجوعه هو مناظرة وقعت بينه وبين شيخه الجبائي في قول المعتزلة بوجوب فعل الأصلح على الله تعالى.

2) ثم جاءت المرحلة الثانية من حياته وهي التأثر بالطريقة الكلابية (عبدالله ابن سعيد ابن كلاب) وخلال هذه المرحلة أصل المذهب الأشعري السائد الآن في العالم الإسلامي وألف كتابه: رسالة إلى أهل الثغر ويُلاحظ في هذا الكتاب أنه يتماشى مع طريقة الأشاعرة.

5) ثم في آخر حياته تراجع عن المذهب الأشعري إلى منهج أهل السنة و الجماعة وألف كتابه: الإبانة عن أصول الديانة ، وهو موافق لمنهج السلف

أهم أقوال الأشاعرة:

1- التعطيل، فهم ينفون صفات الله تعالى ما عدا سبع صفات وهي الحياة - الكلام-السمع - البصر- الإرادة – العلم - والقدرة.

Modifier avec WPS Office

2- الكسب في باب القضاء والقدر.
3- إخراج العمل عن مسمى الإيمان.
شبه المعطلة:
الشبهة الأولى: قالوا إن إثبات الأسماء أو الصفات يقتضي المماثلة والله سبحانه وتعالى منزه عن المماثلة. فيقولون نحن ننفي الصفات حتى لا نقع في التمثيل.
الرد على هذه الشبهة من عدة أوجه:
الوجه الأول: أن الاشتراك في الاسم المطلق أو الصفة المطلقة لا يقتضي المماثلة عند الإضافة والتخصيص، أي أن الله تعالى وصف نفسه بصفات ويصف عباده بصفات وهذا لا يقتضي المماثلة
وقد دل على ذلك السمع والعقل والحس :
أما السمع ففي مثل قوله تعالى: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" فوصف نفسه سبحانه بأنه سميع بصير ، ووصف الإنسان بأنه سميع بصير بقوله:"هل أتى على الإنسان حين من الدهر ...فجعلناه سميعاً بصيراً" وهذا لايقتضي المماثلة ، وأثبت سبحانه لنفسه علماً في قوله "علم الله أنكم ستذكرونهن " وأثبت للمخلوق علماً "فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار " وليس علم العبد كعلم الله فقد قال الله عن علمه : وسع كل شيء علما " وقال عن علم الإنسان " وما أو تيتم من العلم إلا قليلا" فالتماثل عند الإطلاق لا يقتضي التماثل عند الإضافة و التخصيص .
وأماالعقل فإنه يدرك أن المعاني والأوصاف تتقيد بحسب ما تضاف إليه ولهذا نصف الإنسان باللين والحديد المنصهر باللين ونعلم أن اللين متفاوت المعنى .
وأما الحس :فإننا نشاهد للفيل جسماً وقدماًوقوة وللبعوضة جسماًوقدماًوقوة ونعلم ما بينهما من البون الشاسع .
الوجه الثاني:أن يُقال إن القول في الصفات كالقول في الذات فكما أنكم (يا أهل التعطيل) تثبتون لله ذاتاً لا تماثل ذوات المخلوقين فيلزمكم أن تثبتوا لله صفات لا تماثل صفات المخلوقين.
الوجه الثالث: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعض فإذا كنتم تثبتون لله بعض الصفات على وجه لا يماثل المخلوقين فيلزمكم أن تثبتوا كل الصفات لله تعالى على وجه لا يماثل صفات المخلوقين لأن القول في بعض الصفات كالقول في بعض.
الوجه الرابع: أن يُقال أن الله تعالى قد أخبر عن أمور غيبية لا نعلم إلا إسمها ومعناها أما حقيقتها فهي مجهولة لنا ومع ذلك فإن إثباتها لا يستلزم مماثلتها للأمور الموافقة لها في الإسم مما هم محسوس لنا، مثل ما أخبر الله تعالى عنه أن في الجنة طعام ولبن ونخل..إلى آخره، فهل هذه الأشياء مثل الأشياء في الدنيا؟ لا ، فهي تتفق فقط في الإسم والمعنى وكذلك صفات الله تعالى التي هي غيب بالنسبة لنا تتفق مع صفات الآدميين بالإسم والمعنى فقط أما الكيفية فلا نعرفها وهذا لا يقتضي المماثلة.

Modifier avec WPS Office

الشبهة الثانية: قالوا إن إثبات الصفات يستلزم التشبيه لأنه لا يوجد شيء متصف بـ الصفات إلا جسم، والأجسام متماثلة، فإثبات الصفات يستلزم التشبيه.
الرد على هذه الشبه من عدة أوجه:
الوجه الأول: أن قولهم لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا وهو جسم، هو قول ممنوع "غير صحيح"، فإننا نجد من الأشياء ما يصح أن يوصف وليس بجسم. فإنه يُقال: ليلٌ طويل، ونهارٌ قصير، وبردٌ شديد، فهل لليل جسم أو للنهار!
الوجه الثاني: قولهم أن الأجسام متماثلة، باطل، فإن تفاوت الأجسام ظاهر لا يمكن إنكاره، فإن المخلوقات تتفاوت تفاوتاً بينا.
الوجه الثالث: أنه يلزم من قولهم ذلك ألا يتصف الله بصفات الكمال ومن لا يتصف بصفات الكمال لا يصلح أن يكون رباً أو إلهاً، ولهذا عاب الله تعالى آلهة المشركين بأنها لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر، وعاب إبراهيم عليه الصلاة والسلام على أبيه أنه يعبد آلهةً ليس لها صفات الكمال، قال تعالى على لسان إبراهيم:"يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا".
الوجه الرابع: إن القول بأن أسماء الله تعالى أعلام محضة لا تدل على الصفات وإنما تدل على ذات الإله فقط ،هو قولٌ باطل، لأن نصوص الكتاب والسنة تدل على أن كل اسم من أسماء الله له معنى يخصه، ولهذا يختم الله تعالى آيات الرحمة بأسمائه الرحمن الرحيم، والغفور الرحيم، ويختم آيات الوعيد بأسمائه العزيز الحكيم القوي..إلى آخره.
فعندهم أن معنى اسمه الرحمن هو نفس معنى العزيز.
الشبهة الثالثة: وهي للأشاعرة حيث يثبتون لله سبع صفات فقط.
وهي :الحياة والكلام والبصروالسمع والإرادة والعلم والقدرة
فهم اعتقدوا فيما نفوه أن إثباته يستلزم التشبيه، وقالوا فيما أثبتوه من السبع الصفات، إن العقل قد دل عليها ، ووجه ذلك :
قالوا :إن إيجاد المخلوقات يدل على القدرة وتخصيص بعضها بما يختص به يدل على الإرادة وإحكامها يدل على العلم، وهذه الصفات الثلاث تدل على الحياة لأنها لا تقوم إلا بحي و الحي إما أن يتصف بالكلام والسمع والبصر وهذه صفات كمال أو بضدها وهي الخرس، والعمى، وضد الصمم، فقالوا أن هذه صفات نقص ممتنعة عن الله تعالى فوجب ثبوت الكلام والسمع والبصر.
الرد على الشبهة
أولا ً: نقول أن الرجوع للعقل في هذا الباب مخالف لما كان عليه سلف الأمة بل الواجب هو الرجوع للكتاب والسنة "النص" ولا يُحكم العقل في هذا الباب.
ثانياً: إن الرجوع للعقل في هذا الباب مخالفٌ للعقل نفسه لأن أسماء الله تعالى وصفاته من الأمور الغيبية التي لا يدركها العقل.
ثالثاً: إن الرجوع للعقل في هذا الباب يستلزم الاختلاف والتناقض فإن لكل واحد عقلا ً يرى فيه إثبات بعض الصفات ويُخالفه آخر في ذلك.
رابعاً: أنهم إذا أثبتوا صفات ونفوا صفات أُخرى، فإنه يلزمهم في الصفات التي أثبتوها نظير المعنى الذي نفوه في الصفات التي نفوها.

Modifier avec WPS Office

مثال ذلك: إذا قالوا المراد بيدي الله عز وجل القوة لأن إثبات حقيقة اليد يستلزم التشبيه بالمخلوق الذي له يد، فنقول لهم يلزمكم في إثبات القوة تشبيهها بالقوة عند المخلوق.
مثال آخر :قالوا ننفي صفة المحبة عن الله تعالى، ويؤونها بإرادة الثواب فيؤولون صفة المحبة إلى صفة الإرادة ، لأنه يلزم منه أن يشابه المحبة عند المخلوقين، فنقول كذلك الإرادة لله تعالى إرادة وللمخلوق إرادة فإثباتكم الإرادة للخالق يلزم منه على قاعدتكم مشابهة الإرادة عند المخلوق...وهكذا.
فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر .
وهكذا في كل الصفات التي أثبتوها يلزمهم أن يقعوا في نفس المماثلة التي فروا منها عند النفي.
دراسة لبعض الصفات التي هي محل نزاع بين أهل التعطيل وأهل السنة و الجماعة :
من الصفات التي أنكرها أهل التعطيل:
1- الصفة الأولى : صفة اليد لله.
ورد في القرآن آيات كثيرة تدل على إثبات صفة اليد :
قال تعالى:"تبارك الذي بيده الملك..."
وقال:"ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي"
وقال:"أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا".
فصفة اليد وردت على ثلاثة أوجه: مثناه ، ومجموعة ، ومفردة، فكيف التوفيق بين هذه الآيات ؟
الجمع بين هذه الآيات أن يُقال : أن الله سبحانه وتعالى ثابتٌ له يدان ولا يُعارض ورودها بصفة الإفراد وصفة الجمع. أما ورودها مفردة فإن الفرد في اللغة العربية إذا أُضيف فإنه يعم ، مثل قوله تعالى:"وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها" ، وليست نعمة واحدة ،وأما صيغة الجمع فإنها لا تعارض التثنية لأنه على قول : من يرى أن أقل الجمع في اللغة اثنان فلا إشكال أو يقال : الجمع يأتي في اللغة ويراد منه التعظيم ، لاحقيقة الجمع ، مثل قوله تعالى:"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"
فنحمل النصوص الواردة في صفة اليد على أن المراد به صفات يدين لله تعالى وعلى هذا تدل أكثر النصوص، مثل قوله تعالى:" بل يداه مبسوطتان"
المعطلة أولوا صفة اليد فقالوا إن المراد بها النعمة أو القوة، والرد عليهم من أوجه:
الوجه الأول: أن هذه الصفاة جاءت مثناة ولا يصح التعبير بالتثنية فيما أولوه، فلا نقول نعمتاه أو قوتاه.
الوجه الثاني: لو كان ما ذكروه صحيحاً لاحتج إبليس على الله تعالى عندما قال تعالى:"ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي"، لكان لإبليس أن يقول : وأنا خلقتني بنعمتك أو بقوتك.
الوجه الثالث: إن اليدين ورد وصفهما لله تعالى بوصف لا يصح معه هذا التأويل كما ثبت في الصحيحين، قال عليه الصلاة والسلام:"يقبض الله السموات بيده ثم

Modifier avec WPS Office

يهزهن ويقول أنا الملك أنا الجبار أين الجبارون أين المتكبرون".
فنقول أن الله نثبت له صفة اليدين على وجه يليق بجلاله وعظمته لا يُماثل المخلوقين.

2- الصفة الثانية : إستواء الله تعالى على عرشه.

الاستواء ثابت في القرآن والسنة وإجماع سلف الأمة :
أ) فمن القرآن: قال تعالى:"الرحمن على العرش استوى"، وقال:"ثم استوى على العرش"، وغيرها من الآيات.
ب) ومن السنة: قال صلى الله عليه وسلم:"لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه".
ج) وأماالإجماع : فقد أجمع السلف على إثبات صفة الإستواء ، قال الأوزاعي : كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات.
ويقول عبد القادر الجيلاني: الإستواء مذكور في كل كتاب أنزله الله على خلقه.
وجاء رجل للإمام مالك وقال له: يا إمام، إن الله استوى على عرشه، فكيف استوى.
فقال له الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر بإخراجه من المسجد.
الإستواء هو صفة تليق بجلال الله وعظمته ، لاتماثل استواء المخلوقين كسائر صفاته سبحانه ، وهو في اللغة بمعنى : العلو والاستقرار .
وقد أنكر اهل التعطيل صفة الإستواء ،وقالوا إن معنى الاستواء أي الاستيلاء ، أي ملك وسيطر على العرش ، وليست بمعنى العلو والاستقرار .
الرد من أوجه:
الوجه الأول: لو قيل بهذا التفسير لصح أن يقال إن الله مستول ٍ على الأرض .
الوجه الثاني: أن يُقال لو صح هذا التأويل للزم من ذلك أن يكون سبحانه وتعالى غير مستول على العرش قبل خلق السموات والأرض، لماذا؟
لأن الله يقول:"إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش"
فعلى قولهم يكون الله قبل خلق السموت والأرض غير مستول على عرشه.

3- الصفة الثالثة :صفة العلو :

علو الله تعالى نوعان: 1- علو صفات ، 2- علو ذات.
فهو سبحانه عال في صفاته بمعنى أن صفاته كلها في أعلى رتبة الكمال وهو سبحانه وتعالى عالٍ بذاته أي أنه فوق خلقه، ودل على صفة العلو القرآن والسنة وا لإجماع والفطرة والعقل كذلك.
أما القرآن :
فقد جاء التصريح بعلوه سبحانه في آيات كثيرة وبأساليب متعددة ، فمن ذلك " :
1) التصريح بالفوقية – قال تعالى:"يخافون ربهم من فوقهم".
2) التصريح بعروج الأشياء إليه - قال تعالى:" تعرج الملائكة والروح إليه".

Modifier avec WPS Office

3) التصريح بصعود الأشياء إليه - قال تعالى:" إليه يصعد الكلم الطيب".
4) التصريح بالفوقية - قال تعالى:"وهو القاهر فوق عباده".
5) التصريح برفعه بعض مخلوقاته إليه - قال تعالى:"إني متوفيك ورافعك إليّ".
6) التصريح بالعلو المطلق - قال تعالى:"وهو العليّ العظيم".
7) التصريح بنزول الأشياء منه - قال تعالى:"تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم".
8) التصريح بأنه تعالى في السماء – قال تعالى :" أأمنتم من في السماء "

من السنة:
أحاديث كثيرة يبين فيها النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عالٍ فوق خلقه، كما في حديث الجارية التي لطمها معاوية ابن الحكم السلمي،فأتى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها أين الله فقالت في السماء وقال من أنا: قالت رسول الله، فقال النبي: أعتقها فإنها مؤمنة
الإجماع:
فقد أجمع السلف على إثبات صفة الإستواء ولذلك كان الأوزاعي يقول: كنا و التابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات.
العقل:
فنقول أن العلو صفة كمال وضد العلو السفل فلو لم يتصف سبحانه وتعالى بفوقية الذات لكان متصفاً بضد ذلك، وضد الفوقية السفول وهذا مذموم على الإطلاق .
الفطرة:
أن الخلق جميعاً بفطرهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى.
-4 صفة الرؤية:
أي أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة .
وقد أنكر ذلك الجهمية والمعتزلة يقولون أن الله لا يُرى في الآخرة .
فمن أدلة هذه الصفة :
من القرآن:
قال تعالى:"وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" فهذه الآية صريحة الدلالة في رؤية الله.
يقول أهل العلم أن النظر إذا تعدى بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله تعالى:"يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا"
وإن عدى النظر ب في فمعناه التفكر والاعتبار، مثل قوله تعالى:"أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض".
وإن عُدي ب إلى، فمعناه المعاينة بالأبصار، مثل قوله تعالى:"أفلا ينظرون إلى الإ بل..".

Modifier avec WPS Office

دليل آخر: قوله تعالى:"للذين أحسنوا الحسنى وزيادة"
وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله في الجنة فعن أنس { أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الله لهم الحجاب فما أعطوا شيئا أحب من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } } .
دليل آخر : قوله تعالى في حق الكفار { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون } :
فقد ذكر ذلك تحقيرا لشأنهم فلزم منه كون المؤمنين مبرئين منه ووجب أن لا يكونوا محجوبين عنه بل رائين له ، قال مالك : لما حجب أعداءه فلم تره تجلى لأ وليائه رأوه .
من السنة:
ما روى جرير بن عبد الله قال : { كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر , فقال : أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر , لا تضامون في رؤيته , فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها } متفق عليه . وللبخاري { فافعلوا }
وليس المراد هنا تشبيه المرئي بالمرئي بل هنا تشبيه الرؤية بالرؤية وليس المرئي بـ المرئي.

<u>شبه المعتزلة والجهمية في إنكار الرؤية</u>

<u>الشبهة الأولى:</u>

استدلوا بقوله تعال لموسى لما طلب منه أن يراه فقال له سبحان " قال لن تراني " فقالوا، "لن" تفيد النفي في المستقبل.

<u>وقد أجاب أهل السنة عن هذه الشبهة من عدة أوجه:</u>

الوجه الأول:أنه لا يُظن بكليم الله تعالى وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل الله ما لا يجوز عليه.
الوجه الثاني: أن الله تعالى لم ينكر سؤال موسى عليه، بل قال له ولكن انظر إلى الجبل بينما في نوح عليه السلام عندما سئل سؤالا ً لا يصح قال له:"إني أعظك أن تكون من الجاهلين" ، فدل ذلك على أن سؤال موسى لم يكن ممتنعاص بل هو ممكن .
الوجه الثالث: أن الله تعالى قال لن تراني ولم يقل: إني لا أُرى أو لست بمرئي وهناك فرق بين العبارتين،ذلك أن قوله : لن تراني ، يدل على أنه من الممكن رؤيته لكن موسى في تلك الحال لن يتحمل رؤية الله تعالى ، بخلاف قوله : لست بمرئي أو إني لاأرى ، فإنها تدل على امتناع الرؤية مطلقاً
الوحه الرابع: أنه إذا جاز أن يتجلى الله تعالى للجبل فتجليه لأنبيائه والمؤمنين من عباده من باب أولى.
الوجه الخامس: إن لن في اللغة العربية لا تقتضي النفي المؤبد ، ولهذا يصح تحديد الفعل بعدها ن كقوله تعالى " فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي " .
ومما يدل على ذلك قول الله تعالى:"ولن يتمنوه أبدا" أي الكفار في الدنيا مع أن

Modifier avec WPS Office

الله أثبت في آية أخرى أنهم سيتمنون الموت في النار كما قال سبحانه:"ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك".
ولهذا يقول ابن مالك صاحب الألفية :
ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا.

الشبهة الثانية:

استدلوا بقوله تعالى:"لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار"

الرد على هذه الشبهة:

أن يقال :إن المنفي في الآية هو الإدراك،وهو الإحاطة بالشيء ، وهو أمر زائد على الرؤية ،وأهل السنة يقرون بأن الأبصار لا تحيط به ، وفرق بين الإدراك والرؤية ، كما قال تعالى : "فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال : كلا " فلم ينف موسى الرؤية ن وإنما نفى الإدرك ، وهنا في هذه الآية لم ينف الله الرؤية وإنما نفى الإدراك ، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك ، كما يُعلم ولا يحاط به علما .
هل يُرى الله تعالى في الدنيا؟
اتفق أهل السنة أن الله لا يراه أحد بعينه في الدنيا واختلفوا في النبي محمد صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه في الدنيا أم لا ! ، فمنهم من نفى رؤيته بالعين ومنهم من أثبتها.
القول الأول: النفي.
فممن نفى رؤية النبي لربه بعينه، عائشة رضي الله عنها، فقد سألها مسروق كما في صحيح مسلم، هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، فمن حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب.
ويؤيد هذا القول ما جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ فقال عليه الصلاة والسلام :نورٌ أنى أراه.
ويؤيد هذا القول أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه:" حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه".
القول الثاني:
أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه وهذا ورد عن ابن عباس، لكن ورد عنه روايتين:
الأولى: أنه صلى الله عليه وسلم، رأى ربه بعينه وهذه الرواية ضعيفة وضعفها جمع من أهل العلم منهم الشيخ نصر الدين الألباني.
الثانية: أنه رأى ربه بقلبه.
والثابت عن ابن عباس أنه قال أن الرسول عليه السلام رأى ربه بقلبه ، ومراده ما ثبت في سنن الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة قال أحسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قال قلت لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري فعلمت ما في السماوات وما في الأ رض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت نعم قال في الكفارات و الكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجماعات

Modifier avec WPS Office

وإسباغ الوضوء في المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد إذا صليت فقل اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون قال والدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام .

التشيـع

تعريف الشيعة:

الشيعة من حيث مدلولها اللغوي تعني القوم والصحب والأتباع والأعوان، وقد وردت في القرآن في هذا المعنى كما في قوله تعالى:"فوجد فيها رجليين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه"، وفي قوله تعالى:"وإن من شيعته لإبراهيم"، ف الشيعة في الآية الأولى تعني القوم، وفي الآية الثانية تعني الأتباع الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما.

ولكن كلمة "شيعة" اتخذت معنىً اصطلاحياً خلال التاريخ الإسلامي، واعتقدت بأن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين، وقاعدة الإسلام، وذهبت هذه الجماعة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم نصّ على إمامة علي، وأن الخلافة من ثم تكون فيه وفي عقبة دون غيرهم بالوصية و التعيين، وأن الخلفاء الذين تولوا الخلافة قبله قد سلبوا علياً هذا الحق، وأن خلافة علي تبدأ منذ اليوم الأول الذي توفي فيه النبي عليه الصلاة والسلام بغض النظر عن كونه تولى الخلافة فعلاً ، أم لم يتولها.

وبهذا يعرف الشهرستاني الشيعة بأنهم: الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن ا لإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو تقيه من عنده"[1] .

<u>بداية التشيع:</u>

<u>اختلف الباحثون في بداية التشيع على أقوال متعددة :</u>

القول الأول: يزعم بعض الروافض أن بداية التشيع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه عليه الصلاة والسلام بذر بذرة التشيع، وأن هناك بعض الصحابة الذين تشيعوا لعلي ووالوه في زمنه صلى الله عليه وسلم.

وممن قال بذلك من الشيعة: القمي في "المقالات والفرق"[2]، والنوبختي في "فرق الشيعة"[3].

يقول محمد حسين الكاشف الغطاء (ت 3731 هجري):" إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية، يعني أن بذرة

---

[1] الملل والنحل 641/1
[2] ت (103)
[3] ت (013).

Modifier avec WPS Office

التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب وسواءً بسواء".
ويستدل على ذلك بأحاديث وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح علي وفضله، وإلى نفس هذا الرأي يذهب الكاتب الشيعي محمد جواد مغنية في "الشيعة في الميزان".
والخطأ الأكبر في هذه المحاولة كما يقول د. سامي النشار:"أنه لم يكن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم شيعة وسنة، وقد أعلن الله في القرآن:"إن الدين عند الله الإسلام" لا التشيع ولا التسنن"[1].
والجميع شيعة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن للشيعة وجود زمن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.
يقول ابن تيمية:" ففي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يكن أحد يُسمى بالشيعة، و لا تُضاف الشيعة إلى أحد".
ويمكن القول إن محاولة الشيعة لإرجاع التشيع إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ما هي إلا محاولة منهم لنقض دعوى خصومهم القائمة على رد اعتقادات الشيعة إلى أصول أجنبية كاليهودية أو ديانات الفرس القديمة، فقد أشار ابن حزم إلى مدى الارتباط بين نشأة التشيع والفرس، وذهب إلى أن بعض الطوائف الفارسية الحاقدة على الإسلام رأوا أن يكيدوا لهذا الدين من الداخل، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم حتى حخوا بهم عن الصراط السوي، كما أن من لاحظ ارتباط بداية التشيع بابن سبأ، ذهب إلى أن أصل التشيع مأخوذ من اليهودية.
القول الثاني: وهناك من يرجع ظهور التشيع إلى الفترة التي تلت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما أعقبها من اختلاف حول الإمامة، وأن بني هاشم رأوا أن تكون الخلافة منهم، ورشحوا لذلك علياً، منهم العباس، والفضل ابن العباس، والزبير وعمار والمقداد وأبو ذر وغيرهم، وأن هؤلاء لم يرتضوا خلافة أبي بكر.
وممن ذهب إلى ذلك، ابن أبي الجديد واليعقوبي من مؤرخي الشيعة، وقد تأثر بهذا القول أحمد أمين في كتابه:"فجر الإسلام".
وهذا القول يستند إلى روايات ضعيفة، ولو فرض صحة ما ذكر فإن ما استنتجه هؤلاء فيه كثير من التعسف، إذ أن أولئك الصحابة المشار إليهم لم يذكر أن أحداً منهم تبنى عقيدة من العقائد التي عرف بها الشيعة كتقديس الأئمة والقول بعظمتهم أو رجعتهم، وإذا كانوا قد فضلوا علياً فلم يتجاوز هذا التفضيل رؤيتهم أنه أكفأ من غيره لتولي أمر المسلمين، وحينما بويع أبو بكر وعمر بالخلافة لم يرفع أحد منهم صوتاً أو يبدي اعتراضاً، ناهيك عن أن يكونوا حزباً ناقماً معارضاً.
القول الثالث: يميل بعض المؤرخين إلى إرجاع بداية التشيع إلى أواخر عهد عثمان أو إلى حركة السبئية بتقدير أدق.
يقول المقريزي:" وحدث في زمن الصحابة مذهب التشيع لعلي والغلو فيه، فلما بلغه ذلك أنكره وحرق بالنار جماعة ممن غلا فيه، وأنشد:

---

[1] نشأة الفكر الإسلامي 03/2.

Modifier avec WPS Office

لما رأيت الأمر أمراً منكرا أحجبت ناري ودعوت منبرا.
وقام في زمنه عبد الله ابن وهب لبن سبأ المعروف بابن السوداء، وأحدث القول بوصية رسول الله بالإمامة لعلي من بعد بالنص، وأحدث القول برجعة علي بعد موته إلى الدنيا"[1]
وصار ابن سبأ يتنقل بين الحجاز ومصر وسائر الأمصار لإضلال المسلمين.
وقد أثار ربط التشيع بابن سبأ علماء الشيعة وباحثيهم، ومن ثم حرصوا على إبعاد هذه الفئة عنهم، وقالوا أن شخصية ابن سبأ شخصية متوهمة لا أثر لها ولا وجود.
وفي ضوء الدراسات الحديثة لهذه الفترة الغامضة من التاريخ الإسلامي لم تعد تلك الطعون في شخصية ابن سبأ ذات جدوى لدى كثير من الباحثين الذين محصوا الأخبار وحققوا الوقائع المحيطة بحركة السبئية، وأثبتوا مما لا يدعه مجا لا ً للشك حقيقة وجود عبد الله بن سبأ والدور الذي قام به في تحريك الفتن وتدبير المؤامرات، وهو دور لم يتضح به ابن سبأ وحده بل إنه كان تمثيل حلقة في مخطط يهودي خطير لم تقف طموحه عند إثارة الفتنة فحسب بل أثار كثيراً من المشكلات العقائدية والفكرية.
القول الرابع: يذهب فريق من الباحثين إلى إرجاع التشيع من ناحية تاريخية إلى تلك الفترة التي أعقبت التحكم في الحرب التي دارت بين علي ومعاوية، والتشيع في نظر هؤلاء كان رد فعل لآراء الخوارج المتطرفة حول مشكلة الإمامة، فأمام إصرار الخوارج على أن تكون الإمامة عامة، ذهب الشيعة إلى حيل الإمامة من حق آل البيت وذرية علي.
القول الخامس: أن التشيع ظهر بعد مقتل الحسين في يوم عاشوراء تضامناً لمقتله ولآل البيت بعد حصول النزاع بين الحسين وبني أمية قالوا أن فئام من الناس تجمعوا وتشيعوا لمقتل الحسين وبدأوا ينتحلون مذهب الشيعة.
القول الصحيح في بداية التشيع:
الصحيح أن كلمة شيعة أو تشيع كان لها أطوار متعددة في التاريخ الإسلامي ، فلم يكن هذا المصطلح له مفهوم محدد من حين ظهوره بل كان يتطور على مر العصور، فالشيعي الذي كان في العصور الأولى ليس كالشيعي في العصور المتأخرة ، وهذا في سائر الفرق
والمراحل التي مر بها التشيع كالتالي:
المرحلة الأولى: كانت في التشيع لعلي رضي الله عنه ومناصرته ومحبته والدعوة إلى مبايعته وإن لم يكن يظهر خلاف قوي في المسألة، وقد كان من الصحابة رضوان الله عليهم بالفعل من يرى أن علي مؤهل للإمامة لكنهم رجعوا فيما بعد إلى إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهذا الذي كان يدعو إلى بيعة علي رضي الله عنه سُمي شيعياً أي أنه شيعه أي أنه ناصره وليس بالمفهوم المتأخر للشيعة.
المرحلة الثانية: وهم المفضلة الذين يفضلون علي رضي الله عنه على عثمان، وقد ظهر في بعض التابعين من تشيع ورأى تفضيل علي على عثمان رضي الله عنه مع

[1] الخطط للمقريزي 652/2.

Modifier avec WPS Office

إقراره بأن أبا بكر وعمر أفضل من علي وهم أولى بالخلافة منه، وهؤلاء الشيعة يُسمون ب المفضلة، ولهذا ظهر على عهد التابعين تسميتان فيُقال عثماني وشيعي، لكن بعد تولي عثمان لم يكن أحد منهم يقول أن عثمان قد ظلم علي بأخذه الولاية، فيقولون أن علي أفضل من عثمان لكن لا مانع من إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه، ومما يدل على ذلكما ورد عن بعض الشيعة وهو شريك ابن عبد الله المتوفى سنة 178 للهجرة ، إذ كان يفضل أبا بكر وعمر ، فقيل له : أنت من شيعة علي ، فكيف تفضل أبا بكر وعمر ، فقال : كل شيعة علي على هذا ، وهو-يقصد علياً - يقول على أعواد هذا المنبر : خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ، أفكنا نكذبه ، والله ما كان كذابا؟ ".

المرحلة الثالثة: وهي تفضيل علي على أبي بكر وعمر مع الاعتراف بإمامتهما و الشيعة هؤلاء يقولون لا مانع من إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه وأن علي أفضل من أبي بكر وعمر لكنهما سبقاه بالإمامة.

المرحلة الرابعة والأخيرة: تقديم علي على أبي بكر وعمر وأنهما قد ظلماه بأخذ الإ مامة عنه وأن علي رضي الله عنه سكت عن ذلك من باب التقيه.

من غلاة الشيعة الذين ظهروا في القرن الثاني

1- الخطابية

أصحاب أبي الخطاب محمد أبي زينب الأسدي المقتول عام مئة وثلاثين هجرية وكان يزعم أن جعفر ابن محمد الصادق أحد أبناء علي رضي الله عنه أنه إله، وكان أصحابه كلما أرادوا أن يخفف عنهم من أحكام الشريعة سألوه التخفيف فكان يُشرع لهم ويخفف عنهم في الفرائض واستحلوا المحارم وبلغ أمره إلى جعفر ابن محمد الصادق فتبرأ منه ولعنه. وهذه الفرقة لم تدم طويلا ً وانتهت بموت زعيمها أبي الخطاب.

2- الكيسانية

وهم أتباع أبو عمرة ابن مالك الأسدي الملقب بكيسان، وكان صاحب شرطة المختار ابن أبي عبيد الثقفي الذي كان له قوة ونفوذ في أيام الدولة الأموية ،كان أبوه - أبو عبيد الثقفي- من الصحابة الذين أسلموا عند فتح الطائف وكان هذا صحابياً جليلا ً ولاه عمر ابن الخطاب على بعض الفتوح حتى استشهد في وقعة الجسر في فارس ، وأما ابنه المختار فكان من أشراف العرب ودهاتهم وأول ما ظهر في الكوفة داعياً للانتقام لقتلة الحسين وجمع الناس ضد بني أمية، والمؤرخون يشككون في مدى مصداقيته في تلك الدعوة فربما كان يريد الولاية فتستر في دعوته للحسين.ثم قبض عليه عبيد الله ابن زياد وأودعه في السجن ثم شفع فيه عبد الله ابن عمر عند يزيد ابن معاوية فخرج من السجن ولحق بعبد الله ابن الزبير في مكة فأصبح مع جيوشه وجلس معه فترة ثم شعر أنه لن يوليه إمارة فتركه واتجه إلى محمد بن الحنفية وأبلغه أنه سينتصر لمقتل الحسين ومن ثم اتجه إلى العراق وبدأ يدعو الناس لبيعة محمد بن الحنفية ويقول أنه وزيره واجتمع الناس عنده واستفحل أمره في العراق ثم بدأ يتبنى الدعوة الكيسانية التي جاء بها أبو عمرة فتبرأ منه محمد بن الحنفية .

Modifier avec WPS Office

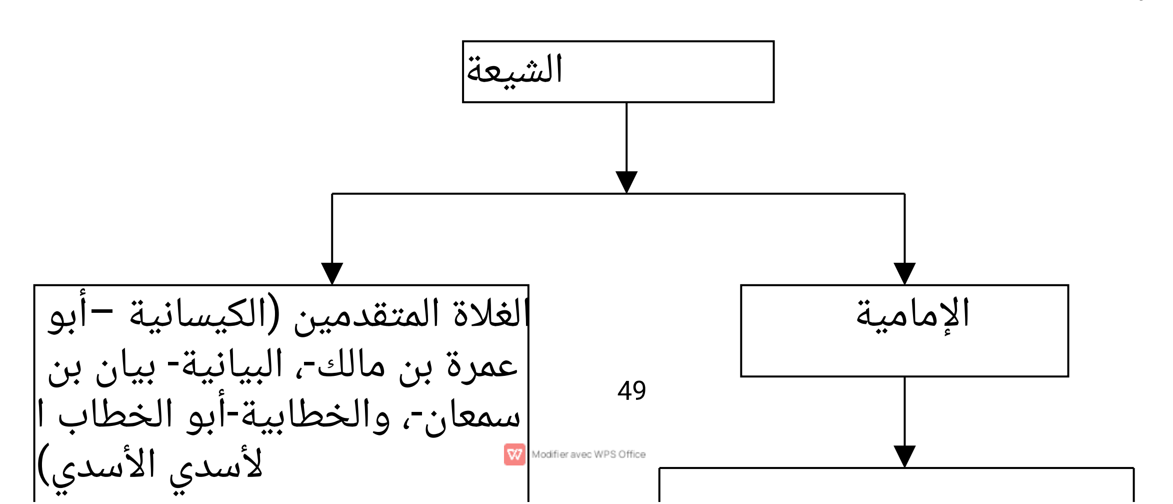
ومن معتقداتهم:
- القول بالبداء، بمعنى أن الله قد يبدو له الأمر فيغير أمره .
- وذكر بعض المؤرخين أن المختار بن عبيد ادعى النبوة
- والقول برجعة محمد ابن الحنفية ، وفي هذا يقول شاعرهم كثير عزّة:

ألا إن الأئمة من قريش أولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبطٌ سبط إيمان وبر وسبطٌ غيبته كربلاء
وسبطٌ لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها الواء
تغيب لا يُرى فيهم زمانا بربوة عنده عسلٌ وماء (يقصد محمد بن الحنفية)

3- البيانية :
أصحاب بيان بن سمعان التميمي الذي قال بألوهية علي وأنه - أي بيان هذا – هو المقصود بقوله تعالى:"هذا بيان للناس وهدى ورحمة".

الإمامية

ما عدا الفرق الغالية المتقدمة التي ظهرت في القرن الثاني الهجري تسمى عامة فرق الشيعة بالإمامية. وسُموا بذلك لأن الإمامة هي القضية الأساسية التي التفوا حولها واتفقوا أن علياً هو المستحق للخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم. ثم اختلفوا بعد ذلك:
فمنهم من يرى أن إمامة علي كانت بالوصف من النبي صلى الله عليه وسلم وليست بالنص بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف الإمام من بعده بأوصاف ولا تتحقق هذه الأوصاف إلا في علي **وهذه الفرقة تعرف بالزيدية**.
ومنهم من يرى أن علياً رضي الله عنه هو المستحق للإمامة بالنص أي أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامته وأوصى بأن يكون علي هو الإمام من بعده وأن كل إمام ينص ويوصي بالإمام من بعده **والقائلون بذلك يُسمون الرافضة**.
ثم إن الرافضة اتفقوا على سرد الأئمة إلى الإمام السادس وهو جعفر الصادق ثم اختلفوا من بعده، فقيل هو اسماعيل بن جعفر الصادق **والقائل بهذا القول هم فرقة الاسماعيلية**.
وقيل إن الإمام السابع هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق ثم ساق أصحاب هذا القول الإمامة حتى الإمام الثاني عشر **ولذلك سميت هذه الفرقة بالاثني عشرية أو الجعفرية**.



Modifier avec WPS Office

أولا ً: الإمامية الاثني عشرية

هؤلاء يرون أن الأئمة إثنا عشر إماماً منصوصاً عليهم نصاً، والأئمة هم:

1) علي بن أبي طالب 32-04 هجري.
2) الحسن بن علي 3-05 هجري.
3) الحسين 4-16 هجري.
4) علي زيد العابدين بن الحسن 83-59
5) محمد الباقر ابن علي ابن الحسين 75- 411
6) جعفر الصادق ابن محمد 38-841
7) موسى الكاظم بن جعفر الصادق 381
8) علي الرضا بن موسى 841-302
9) محمد الجواد بن علي 591- 022
10) علي الهادي بن محمد بن الجواد 212-452
11) الحسن العسكري بن علي 232- 062
12) محمد المهدي بن الحسن 652-اختفى في الرابعة من عمره ويقولون سيعود من سرداب سر من رأى.

يعتقد الشيعة أسماء الأئمة وترتيبهم سُطر في لوح كان عند فاطمة رضي الله عنها أهداه لها والدها عليه الصلاة والسلام، وبعضهم ينفي ذلك ويقول إن كل إمام ينص ويوصي بمن بعده.

آخر أئمتهم هو محمد ابن الحسن العسكري يقولون دخل في سرداب في سمراء في شمال العراق وغاب غيبة وهذه الغيبة الكبرى وسيعود في آخر الزمان ويملأ الأرض عدلا ً.

سبب تسميتهم بالرافضة :

لقب هؤلاء بالرافضة عندما خرج زيد ابن علي ابن حسين في أوائل القرن الثاني الهجري على بني أمية إبان خلافة هشام ابن عبد الملك واتبعه شيعة وبينما كانت المعارك تدور

Modifier avec WPS Office

سأله الشيعة عن رأيه في أبي بكر وعمر فقال هما وزيرا جدي غفر الله لهما ما سمعت أحداً من أهلي تبرأ منهما وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا. قالوا فلم نقاتل، فقال إن هؤلاء (بني أمية) ليسوا كأولئك، هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسكم وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه وإحياء السنن وإماتة البدع فإن تستجيبوا يكن خيرا لكم وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل، فرفضوا بيعته فقال إذن ترفضونني، فسموا بالرافضة وسمي أتباعه الزيدية.

وقيل إن سبب التسمية أنهم سمعوه (زيد بن علي) يقول بجواز أن يكون المفضول إماماً والأ فضل قائم، وهذا يعني أحقية أبي بكر وعمر وعثمان بافمامة مع وجود علي ، فلما سمعته شيعة الكوفة يقول بذلك رفضوه وسموا ب الرافضة.

وتنتشر فرقة الزيدية في اليمن وفرقة الجعفرية أغلبهم في الشام ولبنان وإيران والعراق ودول الخليج العربي أما الإسماعيلية ففي جنوب الجزيرة العربية والشام.

معتقدات الشيعة الإثني عشرية

أولا ً: معتقد الإمامة

يقولون: إن عليا رضي الله عنه هو الإمام الأول بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا بالكفاية ولا بالوصف بل بالنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا أن ولاية علي وخلافته لأمر المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم منصوص عليها بالقرآن والسنة ،كما أن معرفة الإ مام أصل من أصول الإيمان واحتجوا بأنه ليس في الإسلام أمر أهم من تعيين الإمام، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليفارق الدنيا دون أن يعين إماماً لأنه صلى الله عليه وسلم بُعث لرفع الخلاف ولتوحيد الناس وكونه صلى الله عليه وسلم يموت بدون تعيين إمام يحدث خلافات وهذا الإمام هو علي رضي الله عنه وليس هذا فحسب بل أن كل إمام يعين الإمام من بعده.

يقول سعد القمي "من الشيعة" أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي وأشار إليه باسمه ونسبه وعينه وقلد الأمة إمامته وأقامه ونصبه لهم علما وعقد له عليهم إمرة المؤمنين وجعله وصيه وخليفته ووزيره في مواطن كثيرة، ويقول أن إمارة أبي بكر وعمر وعثمان هي ظلم وإن سكوت علي عن ذلك من باب التقيا وهو الإمام من حين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يتقلد الحكم في ظاهر الأمر لأن ولايته عقدت منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

حجج الشيعة على إمامة علي:

1- جاؤوا برواية أنه لما نزل قوله تعالى:"وأنذر عشيرتك الأقربين" جمع النبي صلى الله عليه وسلم بني هاشم وأنذرهم قائلا ً: أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بها الأمم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني على القيام به يكن أخي ووصي ووزيري وخليفتي من بعدي، فقام علي وقال أنا أبايعك يا رسول الله ثم أعادها ثانية وثالثة ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إجلس فأنت أخي ووصيي ووزيري وخليفتي من بعدي. فذهب القوم وهم يهنؤون أبا طالب ويقولون: ليهنك

Modifier avec WPS Office

اليوم إن دخلت في دين ابن أخيك فقد جعل ابنك وزيرا عليك.[1]
هذه الرواية تكلم عنها ابن تيمية في كتابه منهاج السنة النبوية فقال: إن هذه الرواية لم ترد في الصحاح ولا في السنن ولا المسانيد ولا كتب المغازي والسير ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:"وأنذر عشيرتك الأقربين" بعد أن ذكر الرواية قال تفرد بهذا السياق عبد الغفار ابن أبي مريم وهو متروك كذاب شيعي اتهمه علي ابن المديني بوضع الحديث.

-2 استدلوا بقول الله تعالى:"إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهو راكعون..." جاء في بعض الأحاديث أن هذه الآية نزلت في علي رضي الله عنه ذلك أنه تصدق بخاتمه على فقير وهو راكع، قالوا أن المقصود بقوله تعالى أن ولينا هو الله ورسوله وعلي.
الرد على الاستدلال من أوجه:
1) أن سبب نزول هذه الآية على الصحيح ليس قصة علي وإنما نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه لما تبرأ من اليهود والنصارى ووالى الله ورسوله، أما الرواية عن علي فهذه لا يصح منها شيء لضعف أسانيدها وجهل رواتهل كما قال شيخ الإسلام.
2) وأيضاً فإن المعنى لايستقيم على تفسيرهم ، قال ابن كثير و وأما قوله " وهم راكعون" فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله " ويؤتون الزكاة " أي في حال ركوعهم ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثارا عن علي بن أبي طالب أن هذه الآية نزلت فيه وذلك أنه مر به سائل في حال ركوعه فأعطاه ، وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها "

-3 استدلوا بآية المباهلة، وسبب نزولها ثابت في صحيح مسلم، لما أتى وفد نجران أتوا النبي وجادلوه وجادلهم فنزلت عليه الآية:"..فقل تعالوا ندعوا أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين".
جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا علي وفاطمة والحسن والحسين للمباهلة، ووجه استدلال الشيعة بذلك قالوا، أن قوله ندعو أبنائنا (الحسن والحسين) ونسائنا (فاطمة) وأنفسنا (علي)، فعبر بكلمة النفس أي أن علي في درجة مساوية للنبي صلى الله عليه وسلم وقالوا لأنه لا يصح في اللغة العربية أن يدعو الإنسان نفسه وإنما المراد بقوله "أنفسنا" هو علي رضي الله عنه.

<u>الرد على هذا الاستدلال:</u>

هذه الرواية وهي في صحيح مسلم لكن الاستشهاد بها على ما ذكروه غير

[1] وهذه الرواية ذكرها الطبرسي (من علماء الشيعة) في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن في المجلد التاسع عشر ص. 412.

Modifier avec WPS Office

صحيح من وجهين:
الوجه الأول: أن المراد بقوله تعالى وأنفسنا وأنفسكم هو نفس النبي صلى الله عليه وسلم لأنه يمكن في اللغة العربية أن يخاطب الإنسان نفسه ويدعوها وهذا ليس بمستغرب في اللغة، فتقول: دعوت نفسي إلى كذا، ويُقال: دعته نفسه إلى كذا، وفي القرآن الكريم قال تعالى:"فطوعت له نفسه قتل أخيه" فهنا نسب الفعل إلى النفس، فكأن النفس أصبحت غيره.
الوجه الثاني: أن كلمة أنفس قد تطلق ولا تقتضي المساواة بين الأفراد حتى ولو قلنا أن المراد بهذه الآية "أنفسنا وأنفسكم" أي علي والرسول صلى الله عليه وسلم فإن الكلمة تُطلق في اللغة العربية ولا تقتضي المساواة ، مثل قوله تعالى:"فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم"، وقول الله تعالى:" لولا إذا سمعتموه ظن المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيرا" فكلمة أنفسهم هنا لا يفهم منها أن المؤمنين على رتبة واحدة، وكذلك نقول حتى لو كان المراد بالآية علي والنبي صلى الله عليه وسلم فهذا لا يقتضي المساواة بينهما فرتبة النبي صلى الله عليه وسلم أعلى من رتبة علي رضي الله عنه.

4- استدلوا بحديث الكساء، وهو حديث أم سلمة رضي الله عنها، وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد والترمذي بعد نزول قول الله تعالى:"إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجز أهل البيت ويطهركم تطهيرا"، تقول أم سلمة رضي الله عنها: نزلت هذه الآية في بيتي فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم، أنا من آل بيتك؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام أنت على خير أنت من أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم ثم دعا علي وفاطمة والحسن والحسين وأدخلهم في كسائه ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

واستدل بهذا الحديث الشيعة على أن علياً رضي الله عنه هو إمام من بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أن هذا الحديث يدل على أنه معصوم وغيره من الأئمة من الصحابة غير معصوم، والمعصوم مقدم على غير المعصوم لأن الله قد أذهب عنه الرجس.
<u>الرد على هذا الاستدلال:</u>
الوجه الأول: إن إذهاب الرجس عنهم والتطهير لا يقتضي الإمامة لأنه شرك فاطمة في هذا الحديث، ولا يقول أحد من أهل العلم أن فاطمة رضي الله عنهاكانت إمامة.
الوجه الثاني: إن غاية ما يفيد هذا الحديث هو أن الله تعالى يتوب عليهم ويغفر لهم ذنوبهم وليس في الآية إشارة من بعيد ولا قريب أنه أولى الناس بالإمامة بل قد جاء في أبي بكر رضي الله عنه ما يدل على إمامته أكثر مما يدل على إمامة علي.

5- إستدلالهم بحديث غدير خم، لما رجع صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع وبلغ منطقة يقال لها غدير خم بالقرب من الجحفة، قال صلى الله عليه

Modifier avec WPS Office

وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ألا هل بلغت.

وهذا الحديث أخرجه الترمذي لكن بدون الزيادة من قوله وانصر من نصره..، قال ا لإمام أحمد عن هذه الزيادة زيادة كوفية، وقال ابن تيمية أن هذه الزيادة مكذوبة. فالثابت قوله:"من كنت مولاه فعلي مولاه"

الرد على هذا الاستدلال:

نقول أن هذا الحديث لا يدل على الولاية لأن المعنى هنا أنه من كان موالي للنبي صلى الله عليه وسلم فهو موالٍ لعلي رضي الله عنه لأن علي من المؤمنين ، وفي آيات كثيرة يبين الله أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، فالحديث لا يقتضي الإمامة لأن ولاية المؤمنين واجبة وهذا هو الأصل في الإيمان وكوننا نوالي علياً فهذا لا شك فيه ونجعله من المؤمنين الذين تجب موالاتهم ومحبتهم، وهذا كما قال عليه الصلاة والسلام في الأنصار :"من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله"

6- استدلالهم بما ثبت في الصحيحين أن النبي صلى اله عليه وسلم لما أراد أن يخرج إلى تبوك خلف علي على المدينة فتبعه وقال له، خلفتني مع النساء و الصبيان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي من بعدي. فقالوا هنا إشارة على أن الولي من بعد النبي صلى الله عليه وسلم علي رضي الله عنه.

الرد على هذا الاستدلال:

هذا الحديث لا دلالة فيه على إمامة علي رضي الله عنه بل مقولة النبي صلى الله عليه وسلم كانت خاصة بغزوة تبوك أي أنك في استخلافك في المدينة بمنزلة الوزير لي كما كان هارون خليفة لموسى على قومه لما ذهب لمناجاة الله، وعندما رجع موسى عليه الصلاة والسلام رجعت الإمامة على الناس إلى موسى عليه الصلا ة والسلام، فهذا كان خاصاً في غزوة تبوك.

ومما يؤكد هذا المعنى سبب الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خلف علياً رضي الله عنه أرجف المنافقون في المدينة وقالوا: إنما خلفه سخطة عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، والمعنى: لم أكن أخلفك بغضاً مني لك كما أن موسى لم يخلف أخاه هارون بغضاً له.

ومما يؤكد هذا المعنى أيضاً، أن هارون مات قبل موسى ولم يل الأمر من بعد موسى والذي ولى الأمر بعد موسى هو يوشع بن النون. وقوله بعدي أي غيري ، وليس المراد بعد موتي ، لأنه لا نبي غير الرسول في حياته وبعد موته.

7- استدلالهم بحديث رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"أنا مدينة العلم وعلي بابها" أخرجه الحاكم وهو حديث موضوع، أنكره البخاري وابن معين وابن الجوزي والذهبي والنووي وابن تيمية وغيرهم.

معتقدات الشيعة في الأئمة

1- أن الإمامة ركن من أركان الدين وهي منصب إلهي مثل النبوة فكما يختار الله

Modifier avec WPS Office

من يشاء من عباده لنبوته فكذلك يختار من يشاء للإمامة، فهي اختيار إلهي، فالله تعالى يخبر بالإمام من بعد النبي صلى الله عليه وسلم، فأئمتهم اثني عشر من علي إلى عصرنا الحاضر وإلى يوم القيامة.

2- يوردون حديث: من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية، ويقولون على كل مسلم أن يعرف إمام زمانه سواء باشر الإمامة أم لم يباشرها .

3- يرون أن الأئمة أفضل من الأنبياء عدا النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويقولون أن منصب الإمامة أفضل من منصب النبوة.

4- الإمام يتولى شؤون البلاد وشؤون التشريع بمعنى أنه يُسند إليه المناصب الدينية والمناصب الدنيوية فهو يقضي في أمور الناس المعيشية كما أن أقواله وأفعاله تعتبر تشريعاً للناس لأنه لا ينطق عن الهوى وكل أحكامه بأمر الله وبنهيه.

5- من اعتقاداتهم ما جاء في كتاب "إثبات الوصية للإمام علي" للمسعودي أحد أئمة الشيعة، يقول مخبراً عن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:"كنت أنا وعلي نور في جبهة آدم فانتقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام المطهرة الزاكية حتى صرنا في صلب عبد المطلب فانقسم النور قسمين فصار قسم في عبد الله وقسم في أبي طالب فخرجت من عبد الله وخرج علي من أبي طالب وهو قول الله عز وجل:"الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا"

ومما جاء في الكتاب:"نحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ونحن الذين تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبنا تمسك الأرض أن تميد بأهلنا وبها ينزل الغيث وتنشر الرحمة ولولا من في الأرض منا لساخت الأرض بأهلها......"

6- أن الأئمة هم أولو الأمر المقصودون في قوله تعالى:"يا أيها الذين آمنوا أطيعو الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم".

يقول الخميني في كتابه "الحكومة الإسلامية": بل نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى ونهيهم نهيه وطاعتهم طاعته ومعصيتهم معصيته ووليهم وليه وعدوهم هدوه ولا يجوز الرد عليهم والراد عليهم كالراد على الرسول صلى الله عليه وسلم والراد على الرسول كالراد على الله تعالى.

7- ينسبون للأئمة أنهم يعلمون الغيب ،

وهذه المنزلة التي أعطوها للأئمة الرد فيها سهل جداً لأن أول إمام عندهم وهو علي رضي الله عنه نفى كل هذه المقولات التي يقولون بها فقد جاء في الصحيحين أن علي رضي الله عنه سئل هل عندكم شيء تختصون به عن الناس فقال لا والذي فلق الحب وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله رجلا ً مسلما وما في هذه الصحيفة فقال العقل وفكاك الأسر وألا يُقتل مسلم بكافر. وهذا علي بنفسه يتبرأ مما يقولون.

ثانياً (من معتقدات الشيعة): عصمة الأئمة الاثني عشر

قالوا أن الإمام معصوم لا يعتريه خطأ ولا نسيان ولا تبدر منه صغيرة ولا كبيرة فيجب تصديقه والإيمان أن كل ما يفعله خيرٌ لا شر فيه لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته..

Modifier avec WPS Office

ولهذا يقول المجلسي في كتابه "بحار الأنوار: إعلم أن إجماع علماء الإمامية قد انعقد على أن الإمام معصوم من جميع الذنوب الصغيرة والكبيرة من أول العمر إلى آخره فلا يقع منهم ذنب أصلا ً لا عمداً ولا نسياناً ولا سهواً ولا غير ذلك.
ويقول الخميني في كتابه "الحكومة الإسلامية": ونعتقد أن لله تعالى في كل واقعة حكما وما لعمل من أعمال المكلفين إلا ولله فيه حكم من الأحكام الخمسة الوجوب والحرمة والندب والكراهة والإباحة وقد أودع الله سبحانه كل الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء وعرفها النبي بالوحي والإلهام وبين كثيراً منها لأصحابه ليكونوا هم المبلغين لسائر المسلمين في الآفاق وبقيت أحكام كثيرة لم تحصر الدواعي والبواعث لقيامها وإن حكمة التدرج اقتدت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة وكان سلام الله عليه أودعها عنه أوصيائه كل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها بالوقت المناسب لها حسب الحكمة، فقد يذكر النبي صلى الله عليه لفظاً عاماً ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته وربما لا يذكره أصلا ً بل يودعه عند وصيه إلى وقته.
وهذا فيه طعن في الشريعة لأن معنى قوله أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكمل الشريعة وأن الذي أكملها الأئمة من بعده.
يقول محمد رضى مغفر: إن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوما.
بل ذهب بعضهم إلى أن النبي قد لا يكون معصوما ويستدلون بما صدر عن النبي في غزوة بدر حين قبل الفداء في الأسرى بينما الإمام قالوا لا يبدر منه خطأ أو ذلة لأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخطأ جاءه التصحيح من الله، أما الإمام فلا ينزل عليه الوحي فلو أخطأ فما عرف أنه مخطأ ولأخطأ الناس بخطأه فقالوا لا بد أن يكون الإمام معصوماً.
وهذا قول باطل حتماً ونقول أن الإمامة ليست في تشريع الأحكام الشرعية إنما هي في تنفيذ الأحكام الشرعية وحفظها، ولهذا الله تعالى عهد بهذا الأمر وهو حفظ الأحكام الشريعة وبيانها لا إلى الحكام وإنما للعلماء فالله سبحانه وتعالى يقول:"ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون".
فالإمام يتولى أمور المسلمين ويحرص على تطبيق الأحكام الشرعية لكن بيانها للناس والرد على المبتدعة والرد على المخالفين هي مهمة العلماء.

<u>ثالثاً: معتقد الرجعة</u>

والقول بالرجعة لها جذور في الديانتين اليهودية والنصرانية، أما اليهودية فعندهم عقيدة الرجعة في عزير وهارون، وأشار الله إلى ذلك بقوله:"أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي الله هذه بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه.." وكذلك يعتقد اليهود أن هارون لم يمت وأنه غاب غيبة وسيرجع، و النصارى كذلك يعتقدون أن المسيح عليه الصلاة والسلام حين صُلب قتل جزئه الناسوتي دون جزئه الاهوتي وأنه سيعود في آخر الزمان.
فالشيعة تأثروا بقول اليهود والنصارى وقالوا برجعة الأئمة، وأول ما ظهر القول بـ الرجعة على يد عبد الله ابن سبأ الذي قال أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه سيعود وأنه سيملأ الأرض عدلا ً كما ملئت جوراً وأنه لم يُقتل، وأصبح هذا

Modifier avec WPS Office

المعتقد لدى كثير من الشيعة لكن اختلف الشيعة في الإمام الذي سيرجع على حسب فرقهم فمثلا ً:

الكيسانية يرون أن الرجعة لمحمد بن الحنفية.

الاسماعلية يرون أن الرجعة لمحمد ابن اسماعيل.

الإمامية يرون أن الرجعة لمحمد بن الحسن العسكري (المهدي) الذي اختفى في سرداب سر من رأى في سمراء إلى يومنا هذا وقالوا أنه سيرجع في آخر الزمان وإنه سيملأ الأرض عدلا ً وسيقيم شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيحكم بحكم الله وسيحكم الأرض كلها بحكمه ويحملون الآيات الواردة في أن المؤمنين سيرثون الأرض:" وأن الأرض يرثها عبادي الصالحون.......ولينصرن الله من ينصره" قالوا أن كل هذا لم يحصل إلى الآن ولن يتم إلا بعد رجعة المهدي.

يقول ابن خلدون (في القرن السابع الهجري): وهم الآن "أي في عصره" ينتظرون محمد ابن الحسن لذلك "لرجعته" يقفون كل ليلة بعد المغرب وقد قدموا مركباً عند السرداب فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم يرجعون عنه.

وكان هذا بعد وفاة أو غيبة محمد ابن الحسن بأكثر من مائتي سنة وهم إلى الآن لا زالوا ينتظرونه.

رابعاً: ولاية الفقيه :

من بين الأفكار التي جاء بها الخميني ولم يسبقه فيها أحد من أئمة المذهب الإ مامي ، فتعتبر من اجتهاده ، وقد تضمنها الدستور الإيراني ولاية الفقيه ، وتستند هذه الفكرة التي نادى بها الخميني على أساس الاعتقاد بأن الفقيه الذي اجتمعت له الكفاءة العلمية وصفة العدالة يتمتع بولاية عامة وسلطة مطلقة على شؤون العباد والبلاد باعتباره الوصي على شؤونهم في غيبة الإ مام المنتظر . وهذه الفكرة لم يقل بها علماء المذهب المحدثين ولا القدماء ، إذ أنهم خصوا الفقيه العادل الذي بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق بالولا ية الخاصة . وقد استدلوا جميعاً بدليلين هما :

- الأول : عدم وجود دليل قطعي مستفاد من آثار الأئمة المعصومين ومروياتهم يدل على وجوب طاعة الفقيه طاعة مطلقة في دائرتي الأحكام الخاصة والعامة سواء بسواء .

- الثاني : إن إثبات الولاية العامة للفقيه ينتهي لا محالة إلى التسوية بينه وبين الإمام المعصوم ، وهذا مالا تؤيده حجة من عقل أو نقل .

- فإن منح الفقيه حق الولاية العامة يؤدي منطقياً إلى رفع منزلته إلى مقام الإ مام المعصوم ما ادعاه الخميني لنفسه بدعوى (استمرارية الإمامة و القيادة) العامة في غيبة المهدي .

Modifier avec WPS Office

ومما يترتب على القول بولاية الفقيه :

الاستبداد واحتكار السلطة والتشريع والفقه وفهم الأحكام بحيث يصبح الحاكم معصوماً عن الخطأ ، ولا أحد من الأمة يخطئه في أمر من الأمور ، ولا يعترض عليه ولو كان مجلساً للشورى .

ادعاء الخميني بأن الأنبياء والرسل لم يكملوا رسالات السماء ، ولم ينجحوا في إرساء قواعد العدالة في العالم وأن الشخص الذي سينجح في نشر العدل الكامل بين الناس هو المهدي المنتظر .

- وقد قال الخميني بهذا الإدعاء في ذكرى مولد الإمام المهدي ، وهو أحد أئمة الشيعة ، في الخامس عشر من شعبان 1400هـ .
- ويعد قوله هذا منافياً لكل ما قررته العقيدة الإسلامية ، وفيه إنكار لتعاليم الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهو المصلح الأعظم للبشرية جمعاء حيث أرسل بأكمل الرسالات وأتمها كما قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .
- يقول الخميني في بيان منزلة الأئمة : فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون .
- يقول : " والأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة " .
- ويقول : " ومن ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل " .
- وأن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن يجب تنفيذها واتباعها .

وهو بهذا يرفع الأئمة إلى مقام فوق مقام البشر والعياذ بالله .

<u>خامساً:عقيدة البداء :</u>

البداء هو بمعنى الظهور بعد الخفاء، أو بمعنى نشأة رأي جديد. والبداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم، وكلاهما محال على الله، لكن الرافضة تنسب البداء إلى الله.

جاء عن الريان بن الصلت قال: ((سمعت الرضا يقول : ما بعث الله نبيا إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله البداء)) وعن أبي عبدالله أنه قال : ((ما عُبد الله بشيء مثل الباء)). تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

Modifier avec WPS Office

انظر كيف ينسبون الجهل إلى المولى سبحانه و تعالى وهو القائل جل وعلا عن نفسه : (قل لا يعلم من في السموات و الارض الغيب إلا الله) (3). وفي المقابل يعتقد الرافضة ان الأئمة يعلمون كل العلوم و لاتخفى عليهم خافية.

هل هذه عقيدة الاسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم.

(1أصول الكافى، ص40.
(2)أصول الكافى للكلينى فى كتاب التوحيد 1/331.
(3)سورة النمل، الآية :.65

سادسا: عقيدة الرافضة في الصفات :

كان الرافضة أول من قال بالتجسيم. وقد حدد شيخ الاسلام ابن تيمية من تولى كبر هذه الفرية من هؤلاء الروافض هو هشام بن الحكم(1). وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبدالرحمن القمي، وأبو جعفر الأحول(2).

وكل هؤلاء المذكورين من كبار شيوخ الاثنا عشرية، ثم صاروا جهمية معطلة كما وصفت مجموعة من رواياتهم رب العالمين بالصفات السلبية التي ضمنوها الصفات الثابتة له سبحانه، فقد روى ابن بابويه أكثر من سبعين رواية تقول أنه تعالى ((لا يوصف بزمان، ولا مكان ولا كيفية، و لاحركة ولا انتقال، و لاشيء من صفات الأ جسام وليس حساً وة جسمانيا ولا صورة)) (3). فسار شيوخهم على هذا النهج الضال مع تعطيل الصفات الواردة في الكتاب والسنة.

كما أنهم ينكرون نزول الله جل شأنه، ويقولون بخلق القرآن، وينكرون الرؤية في ا لآخرة، جاء في كتاب (بحار الأنوار) أن أبا عبدالله جعفر الصادق سئل عن الله تبارك و تعالى : هل يرى يوم المعاد؟ فقال سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية والله خالق الألوان والكيفية.

بل قالوا : لو نسب إلى الله بعض الصفات كالرؤية حكم بارتداده، كما جاء عن شيخهم جعفر النجفي في كتاب (كشف الغطاء) (ص 417) علماً أن الرؤية حق ثابت في الكتاب و السنة بغير إحاطة ولا كيفية كما قال تعالى :(وجوه يومئذٍ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) (4).

ومن السنة ما جاء في صحيح البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبدالله البجلي قال : كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه و سلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال : ((إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته))(5).

Modifier avec WPS Office

والآيات و الأحاديث في ذلك كثيرة لا يسعنا ذكرها(6).

(1)منهاج السنة (1/20) لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله.
(2)اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص.97
(3)التوحد، لابن بابويه، ص.57
(4)سورة القيامة، الآيتان :.22،23
(5)أخرجه البخارى برقم (544) ومسلم برقم (633).
(6)انظر إلى للدارقطنى، وكتاب الإمام اللالكائى وغيرها من المؤلفات.

سابعاً:اعتقاد الرافضة في القرآن الكريم الموجود بين أيدينا الذي تعهد الله بحفظه :

إن الرافضة التي تسمى في عصرنا بالشيعة يقولون إن القرآن الذي عندنا ليس هم الذي أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم، بل غير وبدل وزيد فيه ونقص منه. وجمهور المحدثين من الشيعة يعتقدون التحريف في القرآن كما ذكر ذلك النوري الطبرسي في كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)(1).

وقال محمد بن يعقوب الكليني في (أصول الكافي) تحت باب (أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة) : ((عن جابر قال : سمعت أبا جعفر يقول ما أدعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب و الأئمة من بعده)).

وذكر أحمد الطبرسي في (الاحتجاج) و الملا حسن في تفسيره (الصافي) ((أن عمر قال لزيد بن ثابت : إن علياً جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه من فضائح وهتك المهاجرين و ا لأنصار. وقد أجابه زيد إلى ذلك، ثم قال : فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي القرآن الذي ألفه أليس قد أبطل كل ما عملتم؟ فقال عمر : ما الحيلة؟ ق ال زيد : أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر : ما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه. فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر ذلك.

فلم استخلف عمر سألوا علياً - رصي الله عنه - أن يدفع إليهم القرآن قيحرفوه فيما بينهم فقال عمر : يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الذي كنت جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه؟ فقال هيهات، ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليه و لا تقولوا يوم القيامة (إنا كنا عن هذا غافلين)(2). أو تقولوا : (ما جئتنا)(3). إن هذا القرآن لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي، فقال عمر : فهل وقت لإظهار معلوم؟ فقال علي : نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه))(4).

Modifier avec WPS Office

ومهما تظاهر الشيعة بالبراءة من كتاب النوري الطبرسي عملا بعقيدة التقية، فإن الكتاب ينطوي على مئات النصوص عن علمائهم في كتبهم المعتبرة، يثبت أنهم جازمون بالتحريف ومؤمنون به ولكن لا يحبون أن تثرو الضجة حول عقيدتهم هذه في القرآن.

ويبقى بعد ذلك أن هناك قرآنين أحدهما معلوم و الآخر خاص مكتوم ومنه سورة الولاية، ومما تزعم الشيعة الرافضة أنه أسقط من القرآن آية وهي : ((وجعلنا عليا صهرك)) زعموا أنها أسقطت من سورة (ألم نشرح) وهم لا يخجلون من هذا الزعم مع علمهم بأن السورة مكية ولم يكن علي - رضي الله عنه - صهرا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة.

(1)فصل الخطاب، لجسين بن محمد تقى النورى الطبرسى، ص 32.
(2)سورة الأعراف، الآية :.172
(3)سورة الأعراف، الآية :.129
(4)الاحتجاج للطبرسى ص 225، وكتاب فصل الخطاب ص 7.

<u>ثامناً: عقيدة الرافضة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم</u>

تقوم عقيدة الرافضة على سب وشتم وتكفير الصحابية - رضوان الله عليهم - ذكر الكليني في (فروع الكافي) عن جعفر عليه السلام : ((كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة، فقلت: من الثلاثة؟فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري،وسلمان الفارسي))(1).

وذكر المجلسي في (حق اليقين) أنه قال لعلي بن الحسين مولى له : ((عليك حق الخدمة فأخبرني عن أبي بكر وعمر؟ فقال : إنهما كافرين، الذي يحبهما فهو كافر أيضاً))(2).

وفي تفسير القمي عند قوله تعالى : (وينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي)(3) قالوا : الفحشاء ابو بكر، والمنكر عمر، و البغي عثمان(4).

ويقولون في كتابهم (مفتاح الجنان) : ((اللهم صل على محمد و على آل محمد و العن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وابنتيهما ... إلخ(5). ويعنون بذلك أبا بكر و عمر وعائشة وحفصة.

وفي يوم عاشوراء يأتون بكلب ويسمونه عمر، ثم ينهالون عليه ضرباً بالعصي ورجماً بالحجارة حتى يموت، ثم يأتون بسخلة و يسمونها عائشة، ثم يبدؤون بنتف شعرها وينهالون عليها ضرباً بالأحذية حتى تموت(6). كما أنهم يحتفلون باليوم الذي قتل فيه الفاروق عمر بن الحطاب ويسمون قاتله أبا لؤلؤة المجوسي شجاع الدين (7). رضي الله عن الصحابة أجمعين وعن أمهات المؤمنين.

Modifier avec WPS Office

انظر ما يقولونه في خيار البشر بعد الأنبياء - عليهم السلام - والذين أثنى الله عليهم ورسوله، وأجمعت الأمة على عدالتهم وفضلهم، وشهد التاريخ والواقع و الأ مور المعلومة الضرورية بخيرهم وسابقتهم وجهادهم في الاسلام.

(1)فروع الكافى، للكلينى، ص.115
(2)حق اليقين، للمجلسي ص 522 ، وهنا لابد من الاشارة إلى أن علي بن الحسين وأهل البيت أجمع يتبرؤون من هذا كله الذي افتراه عليهم الرافضة قاتلهم الله انى يؤفكون.
(3)سورة النحل، الآية :.90
(4)تفسير القمى، ص.218
(5)مفتاح الجنان ص 114. .
(6)تبديد الظلام وتنبيه النيام للشيخ إبراهيم الجبهان - حفظ الله - ص27.
(7)عباس القمى، (الكنى و الالقاب).55/2

تاسعاً:عقيدة التقية عند الرافضة :

التقية عرفها أحد علمائهم المعاصرين بقوله : ((التقية أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد، لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك او لتحفظ بكرامتك))(1). بل زعموا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فعلها عندما مات عبدالله بن أبي سلول رأس المنافقين، حيث جاء للصلاة عليه فقال عمر : ألم ينهك الله عن ذلك؟ - أي أن تقوم على قبر هذا المنافق - فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويلك ما يدريك ما قلت؟ ((إني قلت اللهم أحش جوفه ناراً واملأ قبره ناراً واصله ناراً)) (2).

وانظر كيف ينسبون الكذب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهل يعقل أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يترحمون عليه ونبي الرجمة يلعنه؟!.ونقل الكليني في (أصول الكافي) : قال أبو عبدالله : يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا النبيذ والمسح على الخفين)). ونقل الكليني أيضاً عن أبي عبدالله قال : ((أتقو على دينكم وأحجبوه بـ التقية، فإنه لا إيمان لمن لا تقية له))(3).

فالرافضة يرون التقية فريضة لا يقوم المذهب إلا بها، و يتلقون أصولها سراً وجهراً ، ويتعاملون بها خصوصاً إذا أحاطت بهم ظروف قاسية، فالحذر الحذر من الرافضة أيها المسلمون.

(1)الشيعة فى الميزان، لمحمد جواد مغنية، ص 47
(2)فروع الكافى كتاب الجنائز، ص.188
(3)أصول الكافى، ص.483-482

Modifier avec WPS Office

عاشرا: عقيدة الرافضة في أهل السنة :

تقوم عقيدة الرافضة في استباحة أموال ودماء أهل السنة. روى الصدوق في (العلل) مسنداً إلى داود بن فرقد قال : ((قلت لأبي عبدالله : ما تقول في الناصب؟ قال حلال الدم لكن أتقي عليك، فإن قدرت ان تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في بحر لكي لا يشهد به عليك فافعل. قلت : فما ترى في ماله؟ قال : خذه ما قدرت))(1).

بل ترى الشيعة الرافضة ان كفر أهل السنة أغلظ من كفر اليهود والنصارى، لأن أولئك عندهم كفار أصليون وهؤلاء كفار مرتدون وكفر الردة أغلظ بالإجماع ولهذا يعاونون الكفار على المسلمين كما يشهد التاريخ بذلك(2).

جاء في كتاب (وسائل الشيعة) عن الفضيل بن يسار قال : ((سألت أبا جعفر عن المرأة العارفة (أي الرافضية) : هل أزوجها الناصب؟ قال لا، لأن الناصب كافر)) (3).

والنواصب عند أهل السنة هم الذين يكرهون علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ولكن الرافضة تسمي أهل السنة نواصب، لأنهم يقدمون إمامة أبي بكر وعمر وعثمان على علي، مع أن تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على علي كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والدليل عليه قول ابن عمر : ((كنا نخير بين الناس في زمن الرسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان)). روته البخاري، وزاد الطبراني في الكبير : ((فيعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم و لا ينكره)). ولابن عساكر : ((كنا نفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعلي)).

وروى أحمد وغيره عن علي بن أبي طالب أنه قال : ((خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ولو شئت لسميت الثالث)) قال الذهبي : هذا متواتر(4).

(1)المحاسن النفسانية، ص.166
(2)يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أن الرافضة كانوا يعاونون التتار عندما غزوا بلاد المسلمين. الفتاوى 35/151. انظر كتاب : كيف دخل التتر بلاد المسلمين لمؤلفه د. سليمان بن حمد العودة.
(3)وسائل الشيعة، للحر العاملى (7/431) ، التهذيب (7/303).
(4)التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، لشيخنا العلامة عبدالله الجبرين - حفظها الله ورعاه - ص.91

حادي عشر : عقيدة الرافضة في المتعة ، و فضلها عندهم :

المتعة لها فضل عظيم عند الرافضة جاء في كتاب (منهج الصادقين) لفتح الله الكاشاني عن الصادق بأن المتعة من ديني ودين آبائي، فالذي يعمل بها يعمل بديننا والذي ينكرها ينكر ديننا، بل إنه يدين بغير ديننا، وولد المتعة أفضل من ولد

Modifier avec WPS Office

الزوجة الدائمة، ومنكر المتعة كافر مرتد.(1).

ونقل القمي في كتاب (من لايحضره الفقيه) عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله قال : ((إن الله تبارك وتعالى حرم على شيعتنا المسكر من كل شراب وعوضهم من ذلك بالمتعة))(2).

والرافضة لم تشترط عدداً معيناً في المتعة، جاء في (فروع الكافي) و (التهذيب) و (الاستبصار) عن زرارة عن أبي عبدالله قال : ((ذكرت له المتعة أهي من الأربع فقال : تزوج منهن ألفاً فإنهن مستأجرات، وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر أنه قال في المتعة : ليست من الأربع، لأنها لا تطلق ولا ترث وإنما مستأجرة))(3).

كيف هذا وقد قال تعالى : (والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى ورآء ذلك فأولئك هم العادون)(4). فتبين من الآية الكريمة أن ما أبيح من النكاح الزوجة وملك اليمين وحرم ما زاد على ذلك، والمتمتعة مستأجرة، فهي ليست زوجة ولا تورث ولا تطلق، إذا هي زانية والعياذ بالله. يقول فضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين (ويستدل الروافض في إباحة المتعة بآية سورة النساء وهي قوله تعالى : (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة)(5).

والجواب : إن الآيات كلهن في النكاح من قوله تعالى (لا يحل لكم أن ترثوا النسآء) إلى قوله تعالى : (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) إلى قوله تعالى : (ولا تنكحوا ما نكح ءابآؤكم) إلى قوله تعالى : (حرمت عليكم أمهاتكم) وبعد أن عد المحرمات بالنسب والسبب قال : (وأحل لكم ما ورآء ذلكم) أي : أبيح لكم نكاح بقية النساء فإذا نكحتموهن للاستمتاع الذي هو الوطء الحلال فآتوهن مهورهن التي فرضتموهن لهن فإن أسقطن شيئاً منها عن طيب نفس فلا جناح عليكم في ذلك هكذا فسر الآية جمهور الصحابة ومن بعدهم)(6).

بل وصل الحال عند الرفضة في جواز إتيان المرأة في دبرها، جاء في كتاب (الاستبصار) عن علي بن الحكم قال : ((سمعت صفوان يقول : قلت للرضا : إن رجلاً من مواليك أمرني أن أسألك عن مسألة فهابك واستحيى منك أن يسألك، قال : ماهي؟ قال : للرجل أن يأتي المرأة في دبرها، قال : نعم، ذلك له))(7).

(1)منهج الصادقين، للملا فتح الله الكاشانى، ص 356.
(2)من لايحضره القيه، ص330
(3)الفروع من الكافى.(43/2) ، والتهذيب (2/188).
(4)سورة المؤمنون، الآيات :5-7.

Modifier avec WPS Office

(5)سورة النساء، الآية : .24
(6)من كلام فضيلة الشيخ ابن جبرين، والدليل من السنة في تحريم المتعة حديث الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال : يأيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وأن اللّه قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولاتأخذوا مما آتيتموهن شيئاً. أخرجه مسلم برقم.(1406)
(7)الاستبصار.(243/3)

__ثاني عشر :عقيدة الرافضة في النجف وكربلاء ، و فضل زيارتها عندهم :__

لقد اعتبر الشيعة أماكن قبور أئمتهم المزعومة أو الحقيقة حرماً مقدساً : فالكوفة حرم، وكربلاء حرم، وقم حرم. ويروون عن الصادق أن لله حرماً وهو مكة ولرسوله حرماً وهو المدينة، ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، ولنا حرماً وهو قم.

وكربلاء عندهم أفضل من الكعبة جاء في كتاب البحار عن أبي عبداللّه أنه قال : ((إن اللّه أوحى إلى الكعبة، لولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمه أرض كربلا ء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري، وكوني ذنباً متواضعاً ذليلا ً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم)) (1).

وجاء في كتاب (المزار) لمحمد النعمان الملقب بالشيخ المفيد، في باب (القول عند الوقوف على الحدث) وذلك أن يشير زائر الحسين بيده اليمنى ويقول في دعاء طويل منه : ((وآتيك زائراً ألتمس ثبات القدم في الهجرة إليك، وقد تيقنت أن اللّه جل ثناؤه بكم ينفس الهم، وبكم يُنزل الرحمة، وبكم يمسك الأرض أن تسيخ بآلها، وبكم يثبت اللّه جبالها على مراسيها، قد توجهت إلى ربي بك ياسيدي في قضاء حوائجي ومغفرة ذنوبي)).

وجاء في فضل الكوفة في كتاب المزار عن جعفر الصادق أنه قال : ((أفضل البقاع بعد حرم اللّه وحرم رسوله الكوفة، لأنها الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيين و المرسلين والأوصياء الصادقين، وفيها يظهر عدل اللّه، وفيها يكون قائمة والقوّام من بعده، وهي تكون منازل النبيين والأوصياء والصالحين)) (2).

انظر أخي القارىء كيف يقع هؤلاء في الشرك من سؤالهم لغير اللّه في قضاء الحوائج وطلب مغفرة الذنوب من البشر، كيف يكون هذا وقد قال تعالى : (ومن يغفر الذنوب إلا اللّه) (3) نعوذ باللّه من الشرك.

(1)كتاب البحار.(107/10)
(2)كتاب المزار، لمحمد النعمان الملقب بالشيخ المفيد، ص .99

Modifier avec WPS Office

(3)سورة آل عمران، الآية :.135

<u>الثالث عشر : أوجه الخلاف بين الشيعة الرافضة وبين أهل السنة :</u>

قال نظام الدين محمد الأعظمي في مقدمة كتاب (الشيعة والمتعة) : ((إن الخلا ف بيننا وبينهم لا يتركز في خلاف فقهي فرعي كمسألة المتعة فحسب كلا، إن الخ لاف في الأصل خلاف الأصول، نعم خلاف في العقيدة يتركز في النقاط التالية :

1- الرافضة يقولون إن القرآن محرف وناقص. ونحن نقول إن القرآن كلام الله تام غير ناقص، لم ولن يعتريه التبديل والنقص والتغيير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. كما قال تعالى:(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (1).

2-الرافضة يقولون إن صحابة رسول الله باستثناء البعض ارتدوا بعد وفاة رسول الله، ونكصوا على اعقابهم، وخاونا الأمانة والديانة، لاسيما الخلفاء الثلاثة: الصديق والفاروق وذوالنورين. ولذا فهم عندهم من أشد الناس كفراً وضلالا ً وغواية,

ونحن نقول إن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم خير البشر بعد الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - وأنهم عدول جميعاً لا يتعمدون الكذب على نبيهم، ثقات في نقلهم.

3- الرافضة يقولون إن الأئمة - أئمة الرافضة - الأثني عشر معصومون، يعلمون الغيب ويعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون لا يخفى عليهم شيء، وأنهم يعرفون جميع لغات العالم وأن الأرض كلها لهم.

ونحن نقول أنهم بشر كسائر البشر لا فرق بينهم ومنهم فقهاء وعلماء وخلفاء ولا ننسب إليهم ما لم يدعوه لأنفسهم، بل نهوا عنه وتبرؤوا منع)) (2).

(1)سورة الحجر، الآية : 90.
(2)مقدمة نظام الدين محمد الأعظمى لكتاب الشيعة والمتعة، ص6.

<u>الرابع عشر : عقيدة الرافضة في يوم عاشوراء ، و فضله عندهم :</u>

إن الرافضة يقيمون المحافل والمآتم والنياحة ويعملون المظاهرات في الشوارع و الميادين العامة ويقومون بلبس الملابس السوداء حزناً في ذكرى شهادة الحسين - رضي الله عنه - باهتمام في العشر الأوائل من محرم من كل عام، معتقدين أنها من أجلّ القربات، فيضربون خدودهم بأيديهم، ويضربون صدورهم وظهورهم، ويشقون الجيوب يبكون ويصيحون بهتافات : ياحسين، ياحسين، وخاصة في اليوم العاشر من كل محرم، بل أنهم يقومون بضرب أنفسهم بالسلاسل والسيوف

Modifier avec WPS Office

كما هو الحاصل في البلاد التي يقطنها الرافضة كإيران مثلا ً.

وشيوخهم يحرضونهم على هذه المهازل التي صاروا بها أضحوكة الأمم، فقد سئل أحد مراجعهم وهو محمد حسن آل كاشف الغطا عما يفعله أبناء طائفته من ضرب ولطم ... إلخ. قال إن هذا من تعظيم شعائر الله (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) (1) (*).

(1)سورة الحج، الآية :.32
(*)هذه المهازل يقيمونها في كل عام، علماً بأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم برقم 103 عن لطم الخدود وشق الجيوب ... لكن الرافضة يضربون بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عرض الحائط، لأنهم أكذب الفرق على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

<u>الخامس عشر :عقيدة الرافضة في البيعة :</u>

يعتبر الرافضة كل حكومة غير حكومة الاثنى عشر باطلة، جاء في (الكافي بشرح المازندراني) و(الغيبة) للنعماني عن أبي جعفر قال : ((كل راية ترفع قبل راية القائم - مهدي الرافضة - صاحبها طاغوت)) (1).

ولا تجوز الطاعة لحاكم ليس من عند الله إلا على سبيل التقية، والإمام الجائر و الظالم والذي ليس أهلا ً للإمامة وما شابه ذلك من أوصاف، كل ذلك يطلقونه على حكام المسلمين من غير أئمتهم، وعلى رأس هؤلاء الحكام الخلفاء الراشدون - رضوان الله عليهم - أبو بكر وعمر وعثمان.

وقال المجلسي عن الخلفاء الثلاثة الراشدين : ((إنهم لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين)) (2).

هذا ما يقوله إمامهم المجلسي الذي يُعد كتابه من أهم مصادرهم الأساسية في الحديث في أفضل الأمة بعد رسل الله وأنبيائه.

وبناءً على مبدئهم في خلفاء المسلمين اعتبروا كل من يتعاون معهم طاغوتاً وجائراً ، روى الكليني بسنده عن عمر بن حنظلة قال : ((سألت أبا عبدالله عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث تحاكما إلى السلطان وإلى القضاء : أيحل ذلك؟ قال : من تحاكم إليهم بحق أو باطل فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت)) (3).

قال الخميني معقباً على حديثهم هذا : ((الإمام نفسه ينهى الرجوع ‘لى السلاطين وقضاتهم، ويعتبر الرجوع إليهم رجوعاً إلى الطاغوت)) (4).

Modifier avec WPS Office

(1)الكافى بشرح المازندرانى (12/371)، وانظر كتاب البحار (25/113).
(2)كتاب البحار للمجلسى.(385/4)
(3)الكافى للكلينى (1/67)، والتهذيب(301/6) ، ومن لا يحضره الفقيه (3/5).
(4)الحكومات الاسلامية ص74.

حكم التقريب بين أهل السنة والرافضة

أكتفي بذكر مقالة من مقالات الدكتور ناصر القفاري في كتابه (مسألة التقريب) وهي المقالة السابعة، حيث قال - حفظه الله تعالى - في ذلك :

((كيف يمكن التقريب مع من يطعن في كتاب الله ويفسره على غير تأويله ويزعم بتنزل كتب إلهيه على أئمته بعد القرآن الكريم، ويرى الإمامة نبوة، والأئمة عنده كا لأنبياء أو أفضل، ويفسره عبادة الله وحده التي هي رسالة الرسل كلهم بغير معناها الحقيقي، ويزعم أنها طاعة الأئمة وأن الشرك بالله طاعة غيرهم معهم، ويكفر خيار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحكم بردة جميع الصحابة إلا ثلا ثة أو أربعة أو سبعة على اختلاف رواياتهم، ويشذ عن جماعة المسلمين بعقائد في الأمامة والعصمة والتقية ويقول بالرجعة والغيبة والبداء))

أقوال أئمة السلف والخلف في الرافضة :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله رحمة واسعة - : ((وقد اتفق أهل العلم بـ النقل والرواية والاسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الاسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب)).

قال أشهب بن عبدالعزيز : ((سئل مالك - رحمه الله - عن الرافضة فقال : لاتكلمهم ولا تروي عنهم فإنهم يكذبون. وفال مالك : الذي يشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أسم، أو قال: نصيب في الاسلام)).

وقال ابن كثير عند قوله سبحانه : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوارة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فئازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) (1). وقال : ((ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - رحمة الله عليه - في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة - رضوان الله عليهم - قال : لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة - رضي الله عنهم - فهو كافر لهذه الآية)).

قال القرطبي : ((لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين))(2).

Modifier avec WPS Office

وقال أبو حاتم : ((حدثنا حرملة قال : سمعت الشافعي - رحمه الله - يقول لم أرَ أحداً أشهد بالزور من الرافضة)).

وقال مؤمل بن أهاب : ((سمعت يزيد بن هارون يقول : (يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة فإنهم يكذبون)).

وقال محمد بن سعيد الأصبهاني : (سمعت شريكاً يقول : احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً)). وشريك هو شريك بن عبدالله، قاضي الكوفة.

وقال معاوية : ((سمعت الأعمش يقول : أدركت الناس وما يسمونهم إ لا الكذابين)). يعني أصحاب المغيرة بن سعيد الرافضي الكذاب كما وصفه الذهبي (3).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - معلقاً على ما قاله أئمة السلف : ((وأما الرافضة فأصل بدعتهم زندقة وإلحاد وتعمُد، الكذب كثير فيهم، وهم يقرون بذلك حيث يقولون : ديننا التقية، وهو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف ما في قلبه وهذا هو الكذب والنفاق فهم في ذلك كما قيل : رمتني بدائها وانسلت))(4).

قال عبدالله أحمد بن حنبل : ((سألت أبي عن الرافضة، فقال : الذي يشتمون أو يسبون أبا بكر وعمر)). وسئل الامام أحمد عن أبي بكر وعمر فقال : ((ترحم عليهما وتبرأ ممن يبغضهما))(5).

روى الخلال عن أبي بكر المروزي قال : ((سألت ابا عبدالله عمن يشتم أبابكر وعمر وعائشة، قال ما أره في الاسلام)) (6).

وروى الخلال قال : ((أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني قال : ثنا موسى بن هارون بن زياد قال : سمعت الفريابي ورجل يسأله عمن شتم أبابكر قال:كافر، قال: فيلصى عليه؟ قال:لا))(7).

قال ابن حزم - رحمه الله - عن الرافضة عندما ناظر النصارى وأحضروا له كتب الرافضة للرد عليه : ((إن الرافضة ليسوا مسلمين، وليس قولهم حجة على الدين، وإنما هي فرقة حدث أولها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة وكان مبدئها إجابة ممن خذله الله لدعوة من كاد الاسلامن وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في التكذيب والكفر))(8).

وقال أبو زرعة الرازي : ((إذا رأيت الرجل ينقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق)).

Modifier avec WPS Office

وسئلت اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية سؤالا ً جاء فيه أن السائل وجماعة معه في الحدود الشمالية مجاورون للمركز العراقي، وهناك جماعة على مذهب الجعفربة ومنهم من امتنع عن أكل ذبائحهم ومنهم من أكل، ونقول : هل يحل لنا أن نأكل منها علماً بأنهم يدعون عليا والحسن والحسين وسائر سادتهم في الشدة والرخاء؟ فأجابت اللجنة برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ عبدالله بن غديان، والشيخ عبدالله بن قعود - أثابهم الله جميعاً - :

الجواب : الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد :

إذا كان الأمر كما ذكر السائل من أن الجماعة الذين لديه من الجعفرية يدعون علياً والحسن والحسين وسادتهم فهم مشركون مرتدون عن الاسلام والعياذ بالله، لا يحل الأكل من ذبائحهم لأنها ميتة ولو ذكروا عليها أسم الله (9).

(1)سورة الفتح، الآية :. 29
(2)أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، د. ناصر القفارى (3/1250)
(3)منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - المجلد الاول (59-60).
(4)منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - (1/68).
(5)المسائل والرسائل المروية عن الامام احمد بن حنبل، لبعد الإله بن سليمان الأ حمدى.(357/2)
(6)السنة، للخلال .(493/3) وهذا تصريح من الامام احمد فى تكفير الرافضة.
(7)السنة، للخلال.(499/3)
(8)الفصل فى الملل والنحل لابن حزم (2/78).
(9)فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء، المجلد الثانى، ص 264.

<u>سورة الولاية المزعومة :</u>

من كتاب (فصل الخطاب) :يأيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم. نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم. إن الذبن يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم (كذا) والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم. ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حميم. إن الله الذي نور السموات الأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم. إن الله قد أهلك عاداً وثموداً بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون. وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين. ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون. إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون. إن الجحيم مأواهم وأن الله

Modifier avec WPS Office

عليم حكيم. يأيها الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون. مثل الذين يوفون بعهدك أني جزيتهم جنات النعيم. إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم. وإن علياً من المتقين. وإنا لنوفينه حقه يوم الدين. ما نحن عن ظلمه بغافلين. وكرمناه على أهلك أجمعين. فإنه وذريته لصابرون. وإن عدوهم إمام المجرمين قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون. يأيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمناً ومن يتوليه من بعد يظهرون. فأعرض عنهم إنهم معرضون. إنا لهم محضرون. في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون. إن لهم جهنم مقاماً عنه لا يعدلون. فسبح باسم ربك وكن من الساجدين. ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون. فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون. فاصبر فسوف يبصرون. ولقد آتيناك بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين. وجعلنا لك منهم وصياً لعلهم يرجعون. ومن يتولى عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلا ً فلا تسأل عن الناكثين. يأيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهدا فخذه وكن من الشاكرين. إن علياً قانتاً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجوا ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون. سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون. إنا بشرناك بذريته الصالحين. وإنهم لأمرنا لا يخلفون. فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون على الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين. وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون. والحمد لله رب العالمين

لوح فاطمة المزعوم :

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين، عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي، إني أنا الله لا إله الا أنا قاصم الجبارين ومديل المظلومين، وديان الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذبته عذاباً لا أعذبه أحد من العالمين، فإياي فاعبد وعلي فتوكل، إني لم ابعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصيا، وأني فضلتك على الانبياء وفضلت وصيك على الاوصياء، واكرمت بشبليك وسبطيك حسن وحسين، فجعلت حسنا معدن علمي بعد انقضاء مدة ابيه، وجعلت حسينا خازن وحي واكرمته بالشهادة وختمت له بِ السعادة، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه وحجتي البالغة عنده، بعترته اثيب واعاقب، اولهم علي سيد العابدين وزين اوليائي الماضيين وابنه شب جده المحمود محمد الباقر علمي والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر، الراد عليه كالراد علي، حق القول مني لأكرمن مثوى جعفر ولأ سرنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، اتيحت بعده موسفتنة عمياء حندس لأن خيط فرضي لاينقطع وحجتي لا تخفى وأن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى، من

Modifier avec WPS Office

جحد واحدا منهم فقد جحد نعمتي ومن غير آية من كتابي فقد افترى علي، ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في علي ولي وناصري ومن (...)(1) النبوة وامتحنه بالاضطلاع بها يقتله عفريت مستكبر يدفن بـ المدينة التي بناها العبد الصالح إلىجنب شر خلقي، حق القول مني لآمرنه بمحمد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه، فهو معدن علمي وموضع سري وحجتي على خلقي لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار واختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري، والشاهد في خلقي وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن وأكلم ذلك بأبنه (...)(2) رحمة للعالمين عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب، فيذل أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين، وجلين تصبغ الأرض بدمائهم ويفشوا الويل والرنة في نسائهم أولئك أوليائي حقاً، بهم أدفع فتنة عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون. قال عبدالرحمن بن سالم : قال أبو بصير : لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث لكفاك، فصنه إلا عن أهله (3) (*).

(*)يدعي الرافضة أن لوح فاطمة نزل به جبريل عليه السلام على فاطمة رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مختبئا خلف الستار عند نزول جبريل على فاطمة وكان علي يدون ما قـ اله جبريل عليه السلام لفاطمة رضي الله عنها (كما ذكر ذلك الكليني في كتابه الكافي (186،185/1) وهذا كذب وافتراء عظيم حيث أن الوحي قد انقطع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فإن اللوح المكذوب هو عندهم بمثابة القرآن العظيم عند أهل السنة.
(3)الكافي للكليني (1/527) الواي للفيض الكاشاني المجلد الأول ج 2/72 واكمالالدين لابن بابويه القمي ص301-304 واعلام الورى لأبو علي الطبرسي ص 152.

دعاء صنمي قريش (1)

ويريدون به الدعاء على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - بسم الله الرحمن الرحيم ، اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد، اللّهم العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها وابنتيها اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا نعامك وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك وأحبا أعدائك وجحدا آلاءك وعطلا أحكامك، وأبطلا فرائضك وألحدا في آياتك، وعاديا أوليائك ووواليا أعدائك وحربا بـ لادك، وأفسد عبادك.

اللّهم العنهما وأتباعهما وأولياءهم وأشياعهم وحمبيها فقد أخربا بيت النبوة، وردما بابه ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه وعاليه بسافله، وظاهره بباطنه، واستأصلا

Modifier avec WPS Office

أهله، وأباد أنصاره، وقتلا أطفاله، وأخليا منبره من وصيته ووارث علمه وجحدا إمامته، وأشركا بربهما، فعظم ذنبهما وخلدهما في سقر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر.

اللهم العنهم بعدد كل منكر أتوه، وحق أخفوه، ومنبر علوه، ومؤمن أرجوه، ومنافق ولوه، وولي آذوه، وطريد أووه، وصادق طرده، وكافر نصوه، وإمام قهروه، وفرض غيروه، وكفر نصبوه، وكذب دلسوه، وإرث نصبوه، وفيء اقتطعوه، وسحت أكلوه، وخمس استحلوه، وباطل أسسوه، وجور بسطوه، ونفاق أسروه، وغدر أضمروه، وظلم نشروه، ووعد أخلفوه، وأمانة خانوه، وعهد نقضوه، وحلال حرموه، وحرام أحلوه، وبطن فتقوه، وجنين أسقطوه، وضلع دقوه، وصك مزقوه، وشمل بددوه، وعزيز أذلوه، وذليل أعزوه، وحق منعوه، وكذب دلسوه، وحكم قسبوه، وأمام خ الفوه.

اللهم العنهم بعدد كل آية حرفوها، وفريضة تركوها، وسنة غيروهان وأحكام عطلوها، ورسوم قطعوها، ووصية بدلوها، وأمور ضيعوها، وبيعة نكثوها، وشهادات كتموها، ودعواء أبطلوها، وبينة أنكروها، وحيلة أحدثوها، وخيانة أوردوها، وعقبة أرتقوها، ودباب دحرجوها، وأزيان لزموها.

اللهم العنهم في مكنون السر، وظاهر العلانية لعناً كثيراً أبدا دائما سرمدا لا انقطاع لعدده، ولا نفاذ لأمده لعناً قيود أوله ولا ينقطع آخره، لهم ولأعوانهم وأنصارهم، ومحبيهم ومواليهم، والمسلمين لهم والسائلين إليهم، والناهقين باحتجاجهم و الناهضين بأجنحتهم والمقتدين بكلامهم والمصدقين بأحكامهم.

(قل أربع مرات) : اللهم عذبهم عذابا يستغيث منه أهل النار، آمين رب العالمين.

(ثم تقول أربع مرات) : اللهم العنهم جميعاً، اللهم صل على محمد وآل محمد فأغنني بحلالك عن حرامك وأعذني من الفقر، رب أني أسأت وظلمت نفسي واعترفت بذنوبي وها أنا بين يديك فخذ لنفسك رضاها، لك العتبى لا أعود فإن عدت فعد علي بالمغفرة والعفو لك بفضلك وجودك ومغفرتك وكرمك يأ ارحم الراحمين. وصلى الله على سيد المرسلين وخاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين برحمتك يا أرحم الراحمين(2)

(1)مفتاح الجنان لعباس القمى ص.114

Modifier avec WPS Office

الزي-دية

التعريف :

تعد الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة والجماعة حيث يتصف مذهبهم بالإ بتعاد عن غلو الإثنا عشرية وباقي الشيعة ، كما أن نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين الذي صاغ نظرية شيعية متميزة في السياسة والحكم ، وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها ، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

- ترجع الزيدية إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهما (80-122هـ/698-740م) ، قاد ثورة شيعية في العراق ضد الأ مويين أيام هشام بن عبد الملك ، فقد دفعه أهل الكوفة لهذا الخروج ثم ما لبثوا أن تخلوا عنه وخذلوه عندما علموا بأنه لا يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر ولا يلعنهما ، بل يترضى عنهما ، فاضطر لمقابلة جيش الأمويين وما معه سوى 500 فارس حيث أصيب بسهم في جبهته أدى إلى وفاته عام 122هـ .

- تنقل في البلاد الشامية والعراقية باحثاً عن العلم أولا ً وعن حق أهل البيت في الإمامة ثانياً ، فقد كان تقياً ورعاً عالماً فاضلا ً مخلصاً شجاعاً وسيماً مهيباً ملماً بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- تلقى العلم والرواية عن أخيه الأكبر محمد الباقر الذي يعد أحد الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية .

- اتصل بواصل بن عطاء رأس المعتزلة وتدارس معه العلوم ، فتأثر به وبأفكاره التي نقل بعضها إلى الفكر الزيدي ، وإن كان هناك من ينكر وقوع هذا التتلمذ ، وهناك من يؤكد وقوع الإتصال دون التأثر .

- تتلمذ عليه أبو حنيفة النعمان وأخذ عنه العلم .

- أما ابنه يحيى بن زيد فقد خاض المعارك مع والده ، لكنه تمكن من الفرار إلى

Modifier avec WPS Office

خراسان حيث

لاحقته سيوف الأمويين فقتل هناك سنة 125هـ .

- فوض الأمر بعد يحيى إلى محمد وإبراهيم .

- خرج محمد بن عبد الله الحسن بن علي (المعروف بالنفس الزكية) بـ المدينة فقتله عاملها عيسى بن ماهان سنة 145 .

- وخرج من بعده أخوه إبراهيم بالبصرة فكان مقتله فيها بأمر من المنصور .

- أحمد بن عيسى بن زيد - حفيد مؤسس الزيدية - أقام بالعراق ، وأخذ عن تلا ميذ أبي حنيفة فكان ممن أثرى هذا المذهب وعمل على تطويره .

- من علماء الزيدية القاسم بن إبراهيم المرسي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (170-242هـ) تشكلت له طائفة زيدية عرفت باسم القاسمية .

- جاء من بعده حفيده الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم (245-298هـ) الذي عقدت له الإمامة باليمن فكان ممن حارب القرامطة فيها ، كما تشكلت له فرقة زيدية عرفت باسم الهادوية منتشرة في اليمن والحجاز وما والاها .

- ظهر للزيدية في بلاد الديلم وجيلان إمام حسيني هو أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر باسم الأطروش ، فقد هاجر هذا الإمام إلى هناك داعياً إلى الإسلام على مقتضى المذهب الزيدي فدخل فيه خلق كثير صاروا زيديين ابتداء .

- ومنهم الداعي الآخر صاحب طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن علي رضي الله عنهما والذي تكونت له دولة زيدية جنوب بحر الخزر سنة 250هـ .

- وقد عرف من أئمتهم محمد بن إبراهيم بن طباطبا ، الذي بعث بدعاته إلى الحجاز ومصر واليمن والبصرة . ومن شخصياتهم البارزة كذلك مقاتل بن سليمان ، ومحمد بن نصر . منهم أبو الفضل بن العميد والصاحب بن عباد وبعض أمراء بني بويه .

- استطاعت الزيدية في اليمن استرداد السلطة من الأتراك إذ قاد الإمام يحيى بن منصور بن حميد الدين ثورة ضد الأتراك عام 1322هـ وأسس دولة زيدية

Modifier avec WPS Office

استمرت حتى سبتمبر عام 1962م حيث قامت الثورة اليمنية وانتهى بذلك حكم الزيود ولكن لا زال اليمن معقل الزيود ومركز ثقلهم .

- خرجت عن الزيدية ثلاث فرق طعن بعضها في الشيخين ، كما مال بعضها عن القول بإمامة المفضول ، وهذه الفرق هي :

1- **الجارودية** : أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر الكوفي (توفي سنة 150) قال فيه ابنحجر : رافضي كذبه يحيبن معين ، وكان في آرائه كثير من الغلو والتطرف ، متأثراً بأقوال الرافضة ، فكان يكفر الصحابة حيث قصروا في التعرف على من هو أحق بافمامة وفقاً لوصف النبي صلى الله عليه وسلم .
2- **الصالحية** : أصحاب الحسن بن صالح بن حي (توفي سنة160) وخرج له البخاري ووثقه الجمهور ، وذهبت هذه الفرقة إلى التوقف في أمر عثمان و الحكم عليه بالإيمان أو الكفر .
3- **السليمانية او الجريرية** : أتباع سليمان بن جرير ، وقد ذهبوا إلى أن الإمامة شورى ، ،كما يثبتون إمامة أبي بكر وعمر ، ولكن ذهبوا إلى أن الصحابة تركوا الأصلح بترك بيعة علي ، ويكفرون عثمان للأحداث التي أحثها ،كما كفروا الزبير وطلحة وعائشة لقتالهم علياً .

وهذه الفرق بجملتها لم يعد لها مكانة بارزة عند الزيدية المعاصرة .

الأفكار والمعتقدات :

1- في الإمامة :

- الإمامة لديهم ليست بالنص ، إذ لا يشترط فيها أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق ، بمعنى أنها ليست وراثية بل تقوم على البيعة ، فمن كان من أولاد فاطمة وفيه شروط الإمامة كان أهلا ً لها ، ويقولون إن الإمام الذي أوصى له النبي صلى الله عليه وسلم لم يعينه بالاسم كما قالت الرافضة بل عينه بالوصف وهذه الأوصاف لم تكتمل إلا في علي ، ومن ثم كان ينبغي أن يكون هو الإمام والخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- يشترط في الإمام عندهم أن يكون تقياً عالماً ورعاً سخياً هاشمياً ، وأن يخرج داعياً لنفسه ، وأن يكون من أولاد فاطمة ، سواء أكانوا من نسل الإمام الحسن أم من نسل الإمام الحسين - رضي الله عنهما ، وهذان الشرطان الأ خيران - وهما اشتراط الخروج ، وأن يكون من نسل فاطمة – لا تصح نسبتهما لزيد بن علي بل هما مما أضافه الزيدية في المذهب .

- يجوز لديهم وجود أكثر من إمام واحد في وقت واحد في

Modifier avec WPS Office

قطرين مختلفين .

- تقول الزيدية بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل إذ لا يشترط أن يكون الإمام أفضل الناس جميعاً بل من الممكن أن يكون هناك للمسلمين إمام على جانب من الفضل مع وجود من هو أفضل منه على أن يرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا التي يدلي برأيه فيها ، ولهذا فإن معظم الزيدية يقرون خلافة أبي بكر وعمر ، ولا يلعنونهما كما تفعل فرق الشيعة ، بل يترضون عنهما ويقرون بصحة خلافة عثمان مع مؤاخذته على بعض الأمور وإن كانوا يرون أن علياً أفضل منهم ، ويترضون على سائر الصحابة .

- لا يقولون بعصمة الأئمة عن الأخطاء , كما لا يغالون في رفع أئمتهم علىغرار ما تفعله معظم فرق الشيعة الأخرى ، لكن بعض المنتسبين للزيدية قرروا العصمة لأربعة فقط من أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله نهم جميعاً .

– لا يوجد عندهم مهدي منتظر .

– يستنكرون نظرية البداء التي قال بها المختار الثقفي ، حيث إن الزيدية تقرر أن علم الله أزلي قديم غير متغير وكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ .

الزيدية والمعتزلة :

هناك اتفاق كبير بين الزيدية والمعتزلة في مسائل الاعتقاد ، حيث يميل الزيدية إلى الاعتزال فيما يتعلق بنفي صفات الله ، ونفي رؤيته ، والقول بخلق القرآن ، والقول بالقدر ، وأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين وهومخلد في النار ، كما تقول المعتزلة ن وتقديم العقل على النقل في الاحتجاج ، والقول بالتحسين والتقبيح العقلي ، وغي ذلك مما يقول به المعتزلة .

وقد زعم بعضهم كالشهرستاني في الملل والنحل أن هذا الارتباط يرجع إلى كون زيد بن علي تتلمذ لواصل بن عطاء وأخذ الاعتزال منه ، وهذا لايصح لأمور :

الأول : أن زيداً من آل البيت , ولم يعرف عن أي منهم ميل إلى الاعتزال .

الثاني :أنه موضع ثقة من علماء الجرح والتعديل ، ولم يتهم بالميل الاعتزال ، ولو كان فيه شبهة الاعتزال لأشار إليه علماء الجرح والتعديل .

الثالث : أنه لم ينقل أو يثبت عنه أي نص يدل على تبنيه شيئاً من أصول المعتزلة وآرائهم .

Modifier avec WPS Office

الاتجاه السلفي بين الزيدية :

مع ان عامة الزيدية تبنوا المنهج الاعتزالي في العقيدة إلا أنه ظهر من بينهم علماء فطاحل أصبحوا من أهل السنة ، سلفيو المنهج والعقيدة أمثال : ابن الوزير (توفي سنة 840 ، وله كتاب " إيثار الحق على الخلق " وكتاب " ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان " , وابن الأمير الصنعاني صاحب سبل السلام (توفي سنة 1182) والشوكاني (توفي سنة1250) .

من أرائهم الأخرى :

- يرفضون التصوف رفضاً قاطعاً .
- يخالفون الشيعة في زواج المتعة ويستنكرونه .
- يتفقون مع الشيعة في زكاة الخمس وفي جواز التقية إذا لزم الأمر .
- هم متفقون مع أهل السنة بشكل كامل في العبادات والفرائض سوى اختلافات قليلة في الفروع مثل :
  - قولهم " حي على خير العمل " في الأذان على الطريقة الشيعية .
  - صلاة الجنازة لديهم خمس تكبيرات .
  - يرسلون أيديهم في الصلاة .
  - صلاة العيد تصح فرادى وجماعة .
  - يعدون صلاة التروايح جماعة بدعة .
  - يرفضون الصلاة خلف الفاجر .
- باب الإجتهاد مفتوح لكل من يريد الإجتهاد ، ومن عجز عن ذلك قلد ، وتقليد أهل البيت أولى من تقليد غيرهم .
- يقولون بوجوب الخروج على الإمام الظالم الجائر ولا تجب طاعته .
- مصادر الاستدلال عندهم كتاب الله ، ثم سنة رسول الله ، ثم القياس ومنه الاستحسان والمصالح المرسلة ، ثم يجيء بعد ذلك العقل ، فما يقر العقل صحته وحسنه يكون مطلوباً وما يقر قبحه يكون منهياً عنه .

الجذور الفكرية والعقائدية :

Modifier avec WPS Office

- يتمسكون بالعديد من القضايا التي يتمسك بها الشيعة كأحقية أهل البيت في الخلافة وتفضيل الأحاديث الواردة عنهم على غيرها ، وتقليدهم ، وزكاة الخمس ، فالملامح الشيعية واضحة في مذهبهم على الرغم من اعتدالهم عن بقية فرق الشيعة .

- تأثر الزيدية بالمعتزلة فانعكست اعتزالية واصل بن عطاء عليهم وظهر هذا جلياً في تقديرهم للعقل وإعطائه أهمية كبرى في الاستدلال ، إذ يجعلون له نصيباً وافراً في فهم العقائد وفي تطبيق أحكام الشريعة وفي الحكم بحسن الأشياء وقبحها فضلا ً عن تحليلاتهم للجبر والاختيار ومرتكب الكبيرة و الخلود في النار .

- أخذ أبو حنيفة عن زيد ، كما أن حفيداً لزيد وهو أحمد بن عيسى بن زيد قد أخذ عن تلاميذ أبي حينفة في العراق ، وقد تلاقي المذهبان الحنفي السني والزيدي الشيعي في العراق أولا ً ، وفي بلاد ما وراء النهر ثانياً مما جعل التأثر والتأثير متبادلا ً بين الطرفين .

الانتشار وموقع النفوذ :

- قامت دولة للزيدية أسسها الحسن بن زيد سنة 250هـ في أرض الديلم وطبرستان .

- كما أن الهادي إلى الحق أقام دولة ثانية لها في اليمن في القرن الثالث الهجري .

- انتشرت الزيدية في سواحل بلاد الخزر وبلاد الديلم وطبرستان وجيلان شرقاً وامتدت إلى الحجاز ومصر غرباً وتركزت في أرض اليمن .

ويتضح مما سبق :

أن الزيدية من أكثر فرق الشيعة اعتدالا ً بالنسبة لغيرهم من فرق الشيعة ، ولصلا تهم القديمة بالمعتزلة تأثروا بكثير من أفكارهم ومعتقداتهم إلا أن المذهب الزيدي في الفروع لا يخرج عن إطار مدارس الفقه الإسلامي ومذاهبه ، ومواطن الاختلا ف بين الزيدية والسنة في مسائل الفروع لا تكاد تذكر .

الإسماعيلية

التعريف :

الإسماعيلية فرقة باطنية ، والباطنية لقب عام تنطوي تحته طوائف عديدة من غلا

Modifier avec WPS Office

اة الشيعة والصوفية ، تلتقي جميعها في تأويل النصوص الظاهرة وإثبات معان باطنة لها وتلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة .

وتنتسب الإسماعيلية إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق (توفي في حياة أبيه سنة 145) ، وظاهرها التشيع لآل البيت ، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام ، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر ، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة ، وقد مالت إلى الغلو الشديد لدرجة أن الشيعة الإثنى عشرية يكفرونها !!!

نشأة الإسماعيلية :

تفرعت هذه الطائفة من الشيعة الإمامية بعد موت جعفر الصادق عام 148 هجريه ، إذ إن من تسموا بالاسماعيلية لم يعترفوا بإمامة موسى الكاظم الإمام السابع للإثني عشرية ، وساقوا الإمامة بدلا ً منه إلى إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق .
وقد اختلف الشيعة في الأسباب التي دعت جعفر الصادق إلى تحويل الإمامة من ابنه إسماعيل إلى ابنه الآخر موسى ، فهناك من يذهب إلى أن جعفراً تبين له بعد أن عقد البيعة لإسماعيل أنه لم يكن بالرجل الذي يصلح لتولي الإمامة من بعده إما لسلوكه الأخلاقي أو لارتباطه ببعض المذاهب المنحرفة كالخطابية ، لكن الإسماعيلية ينكرون هذه التهمة ، قالوا : ولوثبتت فإنها تؤول تأويلا ً باطنياً ، وهناك رواية تذهب إلى أن إسماعيل توفي في حياة أبيه ومن ثم نقلت الإمامة إلى أخيه موسى ، وقد رفض الإسماعيلية هذا الزعم منكرين وفاة إسماعيل في حياة أبيه ، قالوا : وحتى لو ثبتت فإن الإمامة لاينبغي أن تنقل إلى أخيه بل تذهب إلى ولده محمد لأن الإمامة لاتكون إلا في أعقاب الأئمة فتنتقل من الإمام إلى ابنه لا إلى أخيه ، ماعدا الحسن والحسين ، واستشهدوا بقوله تعالى : " وجعلها كلمة باقية في عقبه "مفسرين الكلمة بأنها الإمامة .
ولم تختلف الآراء حول هذه القضية فحسب بل إننا نجد اضطراباً في الرأي حول مسائل عدة تتعلق يتاريخ الإسماعيلية وبداية تكوينها والأهداف التي ترمي إليها ، ذلك أنه لم يرد في التاريخ ما يحدد كيف بدأت الدعوة إلى إسماعيل ومن الذين تبنوا هذه الدعوة ، ولهذا فقد شاب هذه المرحلة كثير من الغموض ولهذا تسمى بمرحلة "الستر " وقد استمرت قرابة 150 سنة حتى ظهور الدولة الفاطمية التي تولى فيها الأمر أئمة يدعون الانتساب إلى محمد بن إسماعيل .
وما يثير الشكوك أكثر ما أورده كثير من المؤرخين من أن محمد بن إسماعيل لم يعقب ولم يخلف ابناً ، وعليه فإن دعوى عبيدالله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية أنه من نسل إسماعيل يعتبرها الكثير دعوى زائفة ، ذلك أن محمد بن إسماعيل انتقل من المدينة إلى بلاد الديلم ، وانقطعت أخباره في تلك النواحي ولم يسمع عنه شيء ، بل لم يسمع عن ما يسمى بالإسماعيلية حتى أواخر القرن الثالث ،

Modifier avec WPS Office

حيث تنوقلت الأخبار أن أسرة محمد بن إسماعيل وفدت إلى بلاد الشام واستقرت في مدينة سلمية بالقرب من حمص ، ومن هناك بدأوا يرسلون دعاتهم إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي مبشرين بقرب ظهور المهدي المنتظر من نسل إسماعيل بن جعفر .

ويذهب المحققون من المؤرخين إلى أن عبيدالله المهدي من نسل ميمون القداح ، الذي كان مولى لجعفر الصادق ، وكان على صلة بالخطابية (من فرق الباطنية الغلا ة) ، ثم تولى الأمر بعده ابنه عبدالله بن ميمون القداح الذي ادعى النبوة وكان له نشاط واسع ودعاة منتشرون في فارس وخراسان ، وكان ينتقل من بلد إلى بلد حتى استقر به المقام ب"سلمية " ، ومنها بث دعاته إلى الكوفة حيث وجدت تربة صالحة إذ تبناها حمدان قرمط ونمت وأثمرت حركة القرامطة إحدى فرق الإ سماعيلية ، وكان عبدالله بن ميمون القداح يدعو للإمام المستور من نسل إسماعيل ، ولما توفي خلفه ابنه محمد بن عبدالله ، ثم خلفه سعيد بن الحسن بن عبدالله بن ميمون القداح ، وسعيد هذا هو الذي تقمص شخصية عبيدالله المهدي وأطلقها على نفسه وادعى الانتساب إلى محمد بن إسماعيل ومن ثم إلى فاطمة رضي الله عنها ، ، وانتقل من سلمية إلى اليمن ومنها إلى مصر وشمال أفريقية ، حيث سبقته الدعوة هناك ونجح في تأسيس الدولة الفاطمية ، وهذا يكشف أن الأيدي الخفية التي أظهرت القرامطة والفاطميين وغيرهم من الحركات الباطنية تتصل جميعها بشخصية عبدالله بن ميمون القداح ، وبناء على ذلك فإن أئمة الدولة الفاطمية ينحدرون من سلالة ميمون القداح ، ولاصلة لهم بمحمد بن إسماعيل ونسل فاطمة ، ومن ثم ينبغي تسمية هذه الدولة بالدولة العبيدية نسبة إلى مؤسسها عبيدالله المهدي ، بدلا ً من تسميتها بالدولة الفاطمية .

عقائد الإسماعيلية :

تأثرت عقيدة الإسماعيلية بشكل مباشر بالفلسفة اليونانية ، وببعض العقائد المجوسية الشرقية ، وقد اتخذت من قضية الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية ستاراً لتنفيذ مخططاتها .

وتشبه عقيدة الإسماعيلية إلى حد كبير ما عليه غلاة الفلاسفة كالفارابي وابن سيناء ، ويظهر ذلك التأثر من خلال العقائد التالية :

1-التأويل الباطني : يرى الإسماعيلية أن الدين له ظاهر وباطن ، ويفسرون النصوص الشرعية بتأويلات باطنية ، وأن التأويل الباطني من الأمور التي اختص الله بها علياً ، فكما أن النبي خص بالتنزيل ، فعلي خص بالتأويل ، وأن علياً ورّث هذا العلم للأئمة من بعده ، وقد تطرف الإسماعيلية في تأويلاتهم فذهبت طوائف منهم إلى تأليه الأئمة ، وإلى طرح فرائض الشرع ، وفسروا الصلاة بأنها الاتجاه القلبي للإمام ، وأن الصوم عبارة عن عدم إفشاء أسرار الدعوة ، والحج زيارة الإمام ، والفجر هو المهدي المنتظر ، والأهلة هم الأئمة، والسماء هي الدعوة ، والملائكة الدعاة ، ولأجل ذلك دعا معظم الباطنية إلى إباحة المحارم ، والخروج على حدود الله .

2- الذات الإلهية : قالوا بتجريد الله سبحانه وتعالى عن جميع الصفات ، حتى إنهم

Modifier avec WPS Office

بلغوا حداً نفوا فيه إطلاق كلمة الوجود عليه ، فقالوا : لانقول موجود ولا لاموجود ، ولاعالم ولاجاهل ، وقالوا : إن الله يوصف بانه عالم او قادر بمعنى أنه وهب العلم أو القدرة لابمعنى أنه قام به العلم أو القدرة ، ويقول الغزالي : إنهم يرمون بنفي الصفات عن الله إلى إنكار الذات الإلهية ن وأنهم لجأوا إلى تلك الحيلة حتى لا يتهموا في دينهم .

3-العقل :قالوا : إن الله لم يخلق الأشياء خلقاً مباشراً بل إنه أبدع بالأمر العقل الأ ول ، واستشهدوا في ذلك بحديث موضوع أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فاقبل وقال له أدبر فادبر ..." ، وأضافوا إلى هذا العقل كل صفات الكمال الإلهية فهو الخالق المصور الموجود الأزلي الأول ، وأن هذا العقل هو الذي أبدع النفس الكلية ، وجعلوا للنفس الكلية جميع الصفات التي أضفوها على العقل الكلي ، إلا أن العقل أسبق في الوجود من النفس ، وهذه النفس وهذا العقل هما مصدر الكائنات جميعاً ، وهذه العقيدة مستقاة من نظرية الفيض الأفلاطونية التي رتبت الوجود ترتيباً كلياً يقف في اوله المبدأ الأول (الله) ثم العقل الكلي ثم النفس الكلية ثم المادة ، وأن العلاقة بين هذه ليست علاقة خلق وإيجاد بل هي علاقة فيض .

4-النبوة : قالوا : إن النبي شخص تميز بقوى ثلاثة : الأولى : قوة قدسية ، تابعة لقوة العقل النظري ، يتمكن بها النبي من اكتساب المعارف بلا جهد ، والثانية : قوة خيالية عن طريقها يتمثل للنبي مايعلمه في نفسه فيرى في نفسه صوراً نورانية هي الملائكة ويسمع أصواتاً هي كلام الله ، وهذه الحالة في زعمهم شبيهة بما يحصل للنائم ، او لبعض من يأخذون أنفسهم بالرياضات الروحية ، والثالثة : قوة نفسانية التي يتمكن بها النبي من التأثير في مادة العالم بحيث تحدث له الخوارق والمعجزات .

5- الوحي : عرفوا الوحي بأنه ماقبلته نفس الرسول من العقل ، ولكن ليس قبولا ً مباشراً ، وإنما عن طريق وسائط وهي ماعرف عند الباطنية بالحدود الروحية الخمسة : فالسابق (العقل الكلي) يوحي إلى التالي (النفس الكلية) الذي يوحي بدوره إلى الجد (وهو إسرافيل) ، فيبلغه إلى الفتح (وهو ميكائيل) ، الذي يبلغه إلى الخيال (وهوجبريل) الذي يبلغه إلى الناطق (النبي) ، فالوحي عندهم مستمد من سلسلة من الحدود الروحية ، فهو ليس من كلام الله ، كما أنه في نفس الوقت ليس كلام رجل يطلقه كيفما يشاء ،بل هو تعبير النبي عن المعارف التي فاضت عليه من العقل أو الخيال الذي هو المراد باسم جبريل .

6- الإمامة : يوافقون الشيعة في القول بإمامة آل البيت ، ولكن سلسلة الأئمة عندهم بعد جعفر الصادق هم إسماعيل وسلالته من بعده ، وذهبوا إلى أنه لابد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل إشكالات القرآن ، وأسبغوا على أئمتهم من الصفات ما جعلهم في مرتبة تعلو البشر .

7- العقول العشرة : يقابل أحد فلاسفة الإسماعيلية (حميد الدين الكرماني) مراتب الدعوة الإسماعيلية بالعقول العشرة في نظريته عن الوجود (الفيض) فا العقل الأول يقابل الناطق (النبي) ثم العقل الثاني يقابل الأساس وهو الوصي ، ثم الثالث يقابل الإمام ،ثم الرابع يقابل الباب ، ثم الحجة ثم داعي البلاغ ثم الداعي

Modifier avec WPS Office

المطلق ثم الداعي المحدود ثم المأذون المطلق ثم في الأخير العقل العاشر يقابل المأذون المحدود ، وذهبوا إلى أن الحياة في تجدد مستمر وأنها تنقسم إلى ست فترات ، وكل دورة تبتدأ بظهور ناطق (نبي) ومعه أساس (وصي)، وتبدأ هذه السلسلة بآدم وأساسه شيث ، ثم نوح وأساسه سام ، ثم ابراهيم وأساسه اسماعيل ثم موسى وأساسه يوشع ، ثم عيسى وأساسه شمعون الصفاء ،ثم محمد وأساسه علي ، وظهور النبي السادس يعني نهاية الدائرة ، ومن بعده يأتي الأئمة يتممون شريعته ، وهم يتتالون في دورات سباعية ،فتبدأ الدورة الأولى بعلي و تنتهي بإسماعيل الإمام السابع لهم ، وتبدا الدورة الثاني بمحمد بن إسماعيل الذي هو المهدي ثم الأئمة من بعده ، وهكذا ... ، ويرون أن هناك تماثلا ً بين هذه الأدوار جميعا ، فما حث في عصر آدم يتكرر في عصر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحد ، ولذلك فإن صفات هؤلاء الأنبياء واحدة بحيث يمكن القول: إن موسى هو آدم في عصره ،وهكذا .. ، وبالمثل فإن الأئمة نماذج متكررة لمن سبقهم من الأنبياء ، ولهذا فإن إمام العصر هو وارث كل من سبقه من الأنبياء والأئمة ، وتجتمع فيه خصائص الأنبياء والأئمة ، وفي هذا يقول أحد شعرائهم واصفاً أحد أئمتهم :

سلام على الغرة الطاهرة وأهلا ً بأنوارها الزاهرة
سلام بدياً على آدم أبي الخلق باديه والحاضرة

إلى أن يقول :

سلام على المرتضى حيدر وأبنائه الأنجم الزاهرة

بل إن هؤلاء الأئمة وصفوا بصفات الألوهية ، وفي هذا يقول ابن هانئ الأندلسي واصفاً المعزلدين الله الفاطمي :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الأحبار والأخبار

ويقول آخر :

ما أنت دون ملوك العالمين سوى روح من القدس في جسم من البشر

8- فكرة الأعداد : حاولوا إبراز أهمية العدد سبعة الذي ترتبط به دورات الأئمة عندهم ، فقالوا: في الجسم سبع قوى فعالة ، وأركان الإسلام سبعة ، وهي الأركان الخمسة إضافة إلى الجهاد والإمامة ، والصلاة والزكاة سبعة أحرف دليل على محمد وعلي لأنهما سبعة أحرف ، وهكذا ..، ولهذا يسمون بالسبعية .

9- البعث : ذهبوا إلى أن القيامة إنما هي رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان ، وان معناها إنقضاء الدورة السابعة ، وتبعاً لذلك أنكروا البعث والجنة والنار ، وقالوا : إن معنى المعاد هو عود كل شيء إلى أصله ، فالإنسان بعد موته يستحيل عنصره الترابي إلى ما يجانسه من التراب ، وينتقل عنصره الروحي إلى الملا ْ الأعلى ، فتتحد روحه بالعالم الروحاني الذي منه انفصالها .

أشهر فرق الإسماعيلية:

أولا ً: الإسماعيلية القرامطية :

Modifier avec WPS Office

القرامطة حركة باطنية هدامة تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه وهو من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة . وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري ، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الإلحاد و الإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية .

وقد كانت دعوة القرامطة في بدايتها دعوة إسماعيلية ، ولكنها كانت تدعو إلى" الإمام المنتظر" محمد بن إسماعيل باعتباره المهدي او الإمام الغائب ، بدلاً من "الإمام المستور " الذي يقول به عامة الإسماعيليين ، وهذا هو الذي ميز هذه الجماعة داخل الإطار الإسماعيلي العام، كما كان هذا هو سبب الخلاف بينهم وبين العبيديين ، إذ إن الإسماعيليين عموماً ما عدا القرامطة كانوا يؤمنون بان هناك إماماً حياً مستوراً ، وأن هناك حجة لهذا الإمام ، فلما ادعى سعيد بن الحسن بن عبدالله القداح (الذي تسمى بعبيدالله المهدي)الإمامة انتفض القرامطة ، وحاولوا قتل عبيد الله المهدي لكنه تمكن من الفرار منهم .

تطور الحركة القرمطية وأبرز شخصياتها :

يتضح لنا تطور الحركة من خلال دراسة شخصياتها الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون المجوسية وتركوا أثراً بارزاً على سيرهم وتشكلها عبر مسيرة طويلة من الزمن :

- بدأ عبد الله بن ميمون القداح رأس الأفعى القرامطية بنشر المبادئ الإسماعيلية في جنوب فارس سنة 260 ، ومن ثم كان له داعية في العراق اسمه الفرج بن عثمان القاشاني المعروف بذكرويه الذي أخذ يبث الدعوة سراً ،وفي سنة 278 هـ وتأثر بدعوته شخص يدعى حمدان قرمط ، الذي تولى الأمر من بعده وبدأ يبث الدعوة جهراً قرب الكوفة ثم بنى داراً سماها دار الهجرة وقد جعل الصلاة خمسين صلاة في اليوم ، ثم تولى الأمر بعده أحمد بن القاسم الذي بطش بقوافل التجار والحجاج وهزم في حمص ، ثم خلفه ابنه سليمان بن الحسن بن بهرام ويعرف بأبي طاهر الذي استولى على كثير من بلاد الجزيرة العربية ودام ملكه فيها 30 سنة ، ويعتبر مؤسس دولة القرامطة الحقيقي ومنظم دستورها السياسي الإجتماعي ، بلغ من سطوته أن دفعت له حكومة بغداد الاتاوة ومن أعماله الرهيبة أنه :

- فتك هو ورجاله بالحجاج حين رجوعهم من مكة ونهبوهم وتركوهم في الفقر حتى هلكوا .

Modifier avec WPS Office

- ملك الكوفة أيام المقتدر لمدة ستة أيام استحلها فيهم .

- هاجم مكة عام 319هـ ، وفتك بالحجاج يوم التروية، وهدم زمزم ، وملأ المسجد بالقتلى ، ونزع الكسوة ، وقلع باب الكعبة ، ووقف أبو طاهر على باب الكعبة وهويقول :

أنا بالله وبالله أنا　　　　يخلق الخلق ويفنيهم أنا

ثم أمر بقلع الحجر الأسود وهو يقول : أين الأبابيل ، أين الحجارة من سجيل ، وأخذوه وسرقوه إلى الأحساء ، وبقي الحجر هناك عشرين سنة إلى عام 339 .

- توفي سليمان فآلت الأمور لأخيه الحسن الأعصم الذي قوي أمره واستولى على دمشق سنة 360هـ ، ثم توجه إلى مصر ودارت معارك مع الخلافة الفاطمية ،لكن الأعصم ارتد وانهزم القرامطة وتراجعوا إلى الأحساء ، وفي نهاية الأمر خلع القرامطة الحسن لدعوته لبني العباس ، أسند الأمر إلى رجلين هما جعفر وإسحاق اللذان توسعا ثم دار الخلاف بينهما وقاتلهم الأصفر التغلبي الذي ملك البحرين والأحساء وأنهى شوكتهم ودولتهم .

الأفكار والمعتقدات :

حينما قام القرامطة بحركتهم أظهروا بعض الأفكار والآراء التي تزعمون أنهم يقاتلون من أجلها ، فقد نادوا بأنهم يقاتلون من أجل آل البيت ، وإن لم يكن آل البيت قد سلموا من سيوفهم .

- ثم أسسوا دولة شيوعية تقوم على شيوع الثروات وعدم احترام الملكية الشخصية .

- يجعلون الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن إخوانه وأشاعوا أن ذلك يعمل زيادة الألفة و المحبة (وهذا ما كان عليه المزدكيون الفارسيون من قبل) .

- إلغاء أحكام الإسلام الأساسية كالصوم والصلاة وسائر الفرائض الأخرى وتأويلها بتأويلات باطنية .

- استخدام العنف ذريعة لتحقيق الأهداف .

- يعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب وأن الجنة هي النعيم في الدنيا و العذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد .

- ينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين والبدو الجفاء وضعفاء

Modifier avec WPS Office

النفوس وبين الذين يميلون إلى عاجل اللذات ، وأصبح القرامطة بذلك مجتمع ملاحدة وسفاكين يستحلون النفوس والأموال والأعراض .

- يقولون بالعصمة وإنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر ويساوي النبي في العصمة ، ومن تأويلاتهم :

- من تأويلاتهم : قالوا : الصيام : الامساك عن كشف السر ، والبعث : الاهتداء إلى مذهبهم ، والنبي : عبارة عن شخص فاضت عليه من الإله الأول قوة قدسية صافية ، والقرآن : هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه ومركب من جهته وسمي كلام الله مجازاً .

- يفرضون الضرائب على أتباعهم إلى حد يكاد يستغرق الدخل الفردي لكل منهم .

- يقولون بوجود إلهين قديمين أحدهما علة لوجود الثاني ، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه ، الأول تام والثاني ناقص ، والأول لا يوصف بوجود ولا عدم فلا هو موصوف ولا غير موصوف .

- يدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي بن أبي طالب وقتلهم الحسين .

الانتشار ومواقع النفوذ :

دامت هذه الحركة قرابة قرن من الزمان ، وقد بدأت من جنوبي فارس وانتقلت إلى سواد الكوفة والبصرة وامتدت إلى الأحساء والبحرين واليمن وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان . وقد دخلوا مكة واستباحوها واحتلوا دمشق ووصلوا إلى حمص والسلمية . وقد مضت جيوشهم إلى مصر وعسكرت في عين شمس قرب القاهرة ثم انحسر سلطانهم وزالت دولتهم وسقط آخر معاقلهم في الأحساء والبحرين . هذا ومما يلا حظ الآن أن هناك كتابات مشبوهة تحاول أن تقدم حركة القرامطة وغيرها من حركات الردة على أنها حركات إصلاحية وأن قادتها رجال أحرار ينشدون العدالة و الحرية .

ويتضح مما سبق :

أن هذه الحركة كان هدفها محاربة الإسلام بكل الوسائل وذلك بارتكاب الكبائر وهتك الأعراض وسفك الدماء والسطو على الأموال وتحليل المحرمات بين أتباعهم حتى يجمعوا عليهم أصحاب الشهوات والمراهقين وأسافل الناس ، وتعتبر عقائدها نفسها عقائد الإسماعيلة في خلاف في بعض النواحي التطبيقية التي لم يستطيع الإسماعيلة تطبيقها خوفاً من ثورة الناس عليهم .

Modifier avec WPS Office

ثانياً : الإسماعيلية الفاطمية :

وهي الحركة الإسماعيلية الأصلية وقد مرت بعدة أدوار :

دور الستر : من موت إسماعيل سنة 143ه إلى ظهور عبيد الله المهدي ، وقد اختلف في أسماء أئمة هذه الفترة بسبب السرية التي انتهجوها .

دور الظهور : يبدأ بظهور عبيد الله المهدي الذي كان مقيماً في سلمية بسوريا ثم هرب إلى شمال أفريقيا وأعتمد علىأنصاره هناك واستطاع أن يؤسس دولة عرفت بـ الدولة الفاطمية .

· قتل عبيد الله داعيته أبا عبد الله الشيعي الصنعاني وأخاه أبا العباس لشكهما في شخصيته وأنه غير الذي رأياه في سلمية .

· أسس عبيد الله أول دولة إسماعيلية فاطمية في المهدية بإفريقية (تونس) سنة 297ه وتتابع بعده الفاطميون وهم :

- القائم بأمر الله (322-334)
- المنصور بالله (أبو طاهر إسماعيل) (334-341).
- المعز لدين الله (أبو تميم معد) (341-365): وفي عهده فتحت مصر سنة 361ه بقيادة جوهر الصقلي ، الذي بنى القاهرة وشيد الجامع الأزهر ، وانتقل إليها المعز في رمضان سنة 362ه .
- العزيز بالله (أبو منصور نزار) .
- الحاكم بأمر الله (أبو علي المنصور) .
- الظاهر (أبو الحسن علي) .
- المستنصر بالله (أبو تميم) (427-487) .

وبوفاته انقسمت الإسماعيلية الفاطمية إلى نزارية شرقية ومستعلية غربية و السبب في هذا الانقسام أن الإمام المستنصر قد نص على أن يليه ابنه نزار لأنه الابن الأكبر، لكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي نحى نزاراً وأعلن إمامة المستعلي وهو الابن الأصغر كما أنه في نفس الوقت ابن أخت الوزير ، وقام بإلقاء القبض على نزار ووضعه في سجن وسدّ عليه الجدران حتى مات .

- استمرت الإسماعيلية الفاطمية المستعلية تحكم مصر والحجاز واليمن بمساعدة الصليحيين (أتباع علي بن محمد الصليحي) في اليمن الذين كانوا موالين

Modifier avec WPS Office

للفاطميين بمصر ، وتولى بعد المستعلي ابنه الآمر بأحكام الله ، الذي ولي الإمامة وله من العمر خمس سنوات ، وأنفق وقته في اللهو والمجون تاركا امر الدولة لوزرائه ، حتى قتلته الإسماعيلية النزارية سنة 524 هـ ، وعين من بعده عمه الحافظ عبدالمجيد بن المستنصر إماما مستودعاً أو بالنيابة لكونه ليس من عقب الآمر ، ولم يزل أمر الفاطميين في ضعف حتى تولى العاضد (أبو محمد عبد الله) : من 555هـ حتى زوال دولتهم على يدي صلاح الدين الأيوبي سنة 567 هـ.

ولم يزل الصليحيون في اليمن موالين للفاطميين بمصرحتى قتل الآمر بأحكام الله حيث رفضوا الاعتراف بإمامة خلفه الحافظ عبدالمجيد لأن إمامته غير شرعية ، وزعموا أن للآمر ولداً، وأن إحدى زوجاته كانت حاملاً ووضعت طفلاً اسمه أبو القاسم ويلقب بالطيب ، وأن أحد الدعاة خاف عليه وهرب به إلى اليمن ، ومن ثم نادى إسماعيلية اليمن بإمامته ، ولهذا يلقبون بالطيبية .

ثالثاً : الإسماعيلية الحشاشون (النزارية):

- وهم إسماعيلية نزارية انتشروا بالشام ، وبلاد فارس والشرق ، وكانوا أشد خطراً وأعظم شأناً من المستعلية ، إذ إنهم لعبوا دوراً سياسياً في كل من إيران والهند والشام ، ومن أبرز شخصياتهم :

- **الحسن بن الصباح** : وهو فارسي الأصل وكان يدين بالولاء للإمام المستنصر قام بالدعوة في بلاد فارس ، ولما علم بما أحثه الوزير الأفضل وتحويله الإمامة على المستعلي بدلاً من نزار ، انتصر لنزار وأصبح يدعو له ولأبنائه وجعل من نفسه نائباً للإمام المستور من ولد نزار ، ثم استولى على قلعة ألَموت وأسس الدولة الإسماعيلية النزارية الشرقية – وهم الذين عرفوا بالحشاشين لإفراطهم في تدخين الحشيش، وقد اتخذ أسلوب الاغتيالات الفردية وسيلة لتحقيق أهدافه ، وأقام الحسن داخل حصون قلعة ألموت العظيمة مجتمعاً مغلقا، يحيطه السر والكتمان ، وتنطلق منه جماعات الإرهابيين والدعوة لنشر الدعوة والرعب في قلوب الناس ، وقد كان من ضحاياه نظام الملك الوزير السلجوقي الذي بنى المدارس النظامية ، وإليه نسبت ، وأرسل الحسن بن الصباح بعض رجاله لمصر لقتل الإمام الآمر بن المستعلي فقتلوه مع ولديه عام 524 .

ثم تولى الأمر بعد الحسن :

- كيابزرك آميد ، وهو أحد أتباع الحسن .
- محمد كيابزرك آميد .
- الحسن الثاني بن محمد كيابزرك ، الذي كان ذا عقلية فلسفية ، وقد أتى

Modifier avec WPS Office

الجسن الثاني بثلاث تجديدات ما لبث النزارية في كل مكان أن قبلوها على درجات متفاوتة : الأولى أنه أعلن نفسه خليفة الله في أرضه وأنه من نسل إسماعيل ، والثانية :أنه نسخ حكم الشريعة ، والثالثة :أعلن قيامة القيامة ، وفسروها بأنها الوقت الذي يصل فيه الحق إلى الخلق وتظهر دقائق الحقائق ، وبناء على هذا اعتبروا سقوط التكاليف تكليفاً دينياً ، ومن ثم كان من استمسك بالأحكام الشرعية الظاهرة في دورة القيامة عرضة للعذاب والرجم والقتل .

يقول الإمام الغزالي عنهم : (المنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات، وإنكار الشرائع، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم) .

- محمد الثاني بن الحسن .

- الحسن الثالث بن محمد الثاني .

- ركن الدين خورشاه: من سنة 1255ه إلى أن انتهت دولتهم وسقطت قلاعهم أمام جيش هولاكو المغولي الذي قتل ركن الدين فتفرقوا في البلا د وما يزال لهم اتباع إلى الآن .

رابعاً : الإسماعيلية البهرة :

وهم إسماعيلية مستعلية، يعترفون بالإمام المستعلي ومن بعده الآمر ثم ابنه الطيب ولذا يسمون بالطيبية، وهم إسماعيلية الهند واليمن، تركوا السياسة وعملوا بالتجارة فوصلوا إلى الهند واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعرفوا بالبهرة، و البهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر .

- الإمام الطيب دخل الستر سنة 525ه والأئمة المستورون من نسله إلى ا لآن لا يعرف عنهم شيئاً، حتى إن أسمائهم غير معروفة،وعلماء البهرة أنفسهم لا يعرفونهم ، والبهرةيعتقدون بغيبة الإمام ، ويقدسون زعيمهم الروحي الداعي الذي يعتبرونه وكيلا ً للإمام الغائب ، ويطيعونه طاعة عمياء ، وهو يفرض عليهم ضرائب عجيبة يهدف منها إلى زيادة ثروته ، ورغم افاق البهرة مع غيرهم من المسلمين ظاهرياً في الشعائر ، فإنهم يعتقدون عقائد باطنية فيها ، فهم يصلون كالمسلمين لكن يقولون عن صلاتهم هذه للإمام المستور من نسل الطيب بن الآمر ، ويحجون كعامة الناس لكنهم يقولون إن الكعبة رمز افمام .

وقد انقسمت البهرة إلى فرقتين :

- **البهرة الداوودية** : نسبة إلى قطب شاه داود : وينتشرون في الهند

Modifier avec WPS Office

وباكستان منذ القرن العاشر الهجري وداعيتهم يقيم في بومباي .

- البهرة السليمانية : نسبة إلى سليمان بن حسن وهؤلاء مركزهم في اليمن حتى اليوم .

خامساً : الإسماعيلية الأغاخانية :

· ظهرت هذه الفرقة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وترجع عقيدتهم إلى الإسماعيلية الن-زارية، ومن شخصياتهم :

- حسن علي شاه : وهو الأغاخان الأول : الذي استعمله الإنجليز لقيادة ثورة تكون ذريعة لتدخلهم فدعا إلى الإسماعيلية الن-زارية، ونفي إلى أفغانستان ومنها إلى بومباي وقد خلع عليه الإنجليز لقب آغاخان،مات سنة1881م ، وهكذا تأسست الأسرة الأغاخانية وصارت لهم إمامة الإسماعيلية النزارية.

- أغا علي شاه وهو الأغاخان الثاني .

- يليه ابنه محمد الحسيني : وهو الآغاخان الثالث : وكان يفضل الإقامة في اوروبا وقد رتع في ملاذ الدنيا ، واشتهر بالخلاعة والمجون ، ولما سأله مؤرخ الإسماعيلية محمد كامل حسين قائلا ً : كيف تسمح لأتباعك ان يقدسوك ويرفعوك إلى مرتبة الإله ؟ أجابه بعد ضحك شديد :إن القوم في الهند يعبدون البقر ألست خيراً من البقر ؟ وحينما مات سنة 1957 أوصى بـ الخلافة من بعده لحفيده كريم مخالفاً بذلك القواعد الإسماعيلية في تولية ا لابن الأكبر

- كريم : وهو الآغاخان الرابع وما يزال حتى الآن،وقد درس في إحدى الجامعات الإمريكية ، ومازال أتباعهم يقدسونهم إلى اليوم ويدفعون لهم خمس أموالهم ، وهم يتنقلون في العواصم الأوروبية ، وقد اتخذوا من كراتشي مقراً لهم .

أماكن انتشار الإسماعيلية :

لقد اختلفت الأرض التي سيطر عليها الإسماعيليون مداً وجزراً بحسب تقلبات الظروف والأحوال خلال فترة طويلة من الزمن، وقد غطى نفوذهم العالم الإسلا مي ولكن بتشكيلات متنوعة تختلف باختلاف الأزمان والأوقات

- فالقرامطة سيطروا على الجزيرة وبلاد الشام والعراق وما وراء النهر .

- والفاطميون أسسوا دولة امتدت من المحيط الأطلسي وشمال أفريقيا، وامتلكوا مصر والشام، وقد اعتنق مذهبهم أهل العراق وخُطب لهم على

Modifier avec WPS Office

منابر بغداد سنة 540ه أولكن دولتهم زالت على يد صلاح الدين الأ يوبي رحمه الله .

- والآغاخانية يسكنون نيروبي ودار السلام وزنجبار ومدغشقر والكنغو البلجيكي والهند وباكستان وسوريا ومركز القيادة لهم في مدينة كراتشي بباكستان .

- والبهرة استوطنوا اليمن والهند والسواحل القريبة المجاورة لهذين البلدين .

- وإسماعيلية الشام امتلكوا قلاعاً وحصوناً في طول البلاد وعرضها وما تزال لهم بقايا في مناطق سلمية والخوابي والقدموس ومصياف وبانياس والكهف .

- والحشاشون انتشروا في إيران واستولوا على قلعة آلموت جنوب بحر قزوين واتسع سلطانهم واستقلوا بإقليم كبير وسط الدولة العباسية السُنية، كما امتلكوا القلاع والحصون ووصلوا بانياس وحلب والموصل، وولي أحدهم قضاء دمشق أيام الصليبيين وقد اندحروا أمام هولاكو المغولي .

- المكارمة وهم الآن مستقرون في مدينة نجران في جنوب الجزيرة العربية .

التصوف

التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنـ-زعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري ، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية ، ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لاعن طريق اتباع الوسائل الشرعية ، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية : الهندية و الفارسية واليونانية المختلفة ، وقد تنوعت وتباينت آراء الناس وتوجهاتهم نحو تلك الحركة لأن ظاهرها لا يدل على باطنها عن طريق الحق الذي اختطه أهل السنة والجماعة .

تنبيه لابد منه :

يخلط الكثيرون بين الزهد والتصوف ومن هنا كان تأثر الكثيرين بالتصوف، فالزهد ليس معناه هجر المال والاولاد، وتعذيب النفس والبدن بالسهر الطويل والجوع

Modifier avec WPS Office

الشديد والاعتزال في البيوت المظلمة والصمت الطويل، وعدم التزوج، لان اتخاذ مثل ذلك نمطا للحياة يعد سلوكا سلبيا يؤدي الى فساد التصور، واختلال التفكير الذي يترتب عليه الانطواء والبعد عن العمل الذي لا يستغني عنه اي عضو فعال في مجتمع ما، كما يؤدي بالأمة الى الضعف والتخلي عن الدور الحضاري الذي ينتظر منها.

من أين اشتق اسم الصوفية؟

لم يتفق الكتاب من المتصوفة وغيرهم في تحديد الأصل الذي يمكن ارجاع اشتقاق لفظ التصوف اليه، ولعل من ابرز ما ذكر عن مسمى التصوف ما يلي:

1- الصُفة: حيث سموا بذلك نسبة الى اهل الصفة وكان لقبا اعطي لبعض فقراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ممن لم تكن لهم بيوت يؤون اليها فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء فناء ملحق بالمسجد من اجلهم، وهذا يوضح ادعاء المتصوفة بربط التصوف بعصر النبي صلى الله عليه وسلم وانه أقر النواة الصوفية الأولى، مع العلم ان اهل الصفة ما كانوا منقطعين عن الناس لأجل الزهد الصوفي.

2- الصفاء: ومعناها ان الصوفية صافية من الشرور وشهوات الدنيا، وهذا الاشتقاق غير صحيح لغويا فالنسبة الى الصفاء: صفوي او صفاوي او صفائي وليس صوفيا.

3- الصف الأول: بعض الصوفية ينسبون انفسهم الى الصف الاول من المؤمنين في الصلاة، وهذا التعبير بعيد عن سلامة الاشتقاق اللغوي بالنسبة الى الصف: صفي لا صوفي.

4- بني صوفة: بعضهم ينسبون الصوفية الى بني صوفة وهي قبيلة بدوية كانت تخدم الكعبة في الجاهلية.

5- كلمة سوف اليونانية : وهذا ما رجحه أبو الريحان البيروني 440هـ وفون هامر حديثاً وغيرهما من أنها مشتقة من كلمة سوف اليونانية والتي تعني الحكمة . ويدلل أصحاب هذا الرأي على صحته بانتشاره في بغداد وما حولها بعد حركة الترجمة النشطة في القرن الثاني الهجري بينما لم تعرف في نفس الفترة في جنوب وغرب العالم الإسلامي . ويضاف إلى الزمان والمكان التشابه في أصل الفكرة عند الصوفية واليونان حيث أفكار وحدة الوجود والحلول والإشراق و الفيض . كما استدلوا على قوة هذا الرأي بظهور مصطلحات مترجمة عن اليونانية في ذلك العصر ، مثل الفلسفة ، الموسيقا ، الموسيقار ، السفسطة ، الهيولي .

6-الصوف: وفي هذا يذهب غالب المتصوفة المتقدمين والمتأخرين الى ان الصوفي منسوب الى لبس الصوف، وحرص معظم الصوفية الى رد اسمهم الى هذا

Modifier avec WPS Office

الاصل يفسر تشوفهم الى المبالغة في التقشف والرهبنة وتعذيب النفس والبدن باعتبار ذلك كله لونا من الوان التقرب الى الله. كما يرون ان لبس الصوف دأب الأ نبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين المتنسكين.

وهذا القول هو الراجح ، والله أعلم

نشأة الصوفية:

لا شك أن التصوف منهج نشأ قبل الإسلام فكراً وسلوكاً وعقيدة، وأنه كان في كل ا لأمم والديانات وخاصة في البرهمية الهندوكية والفلسفة الإشراقية اليونانية و المجوسية الفارسية، وكذلك نشأت النصرانية -ولا شك أن التصوف غير الرهبانية وغير الزهد كما سنعلم تفصيلا ً- ثم انتقل بعد ذلك إلى الفكر الإسلامي، وأخذ مجراه في واقع الأمة الإسلامية وتطور حتى بلغ شأوه وألفت مصادره، ووضعت أصوله وقواعده النهائية في القرن الرابع والخامس الهجري.

ولكن بعض الكتاب ظن أن هناك صلة بين التصوف والزهد، ولذلك نسب إلى التصوف كل من عرف بالزهد والرغبة عن الدنيا، والإقبال على الله كإبراهيم بن أدهم وكالفضيل بن عياض، وعبدالله بن المبارك وبشر الحافي ونحوهم من العباد و الزهاد.. والذي ساعد في هذا الخلط بين الزهد والتصوف أن الذين وضعوا طبقات الصوفية جعلوا أمثال هؤلاء أئمة في هذا الشأن، بل تجاوز بعضهم الحدود من أمثال الشعراني، وجعل الخلفاء الراشدين هم أو رجال في طبقات الصوفية وحاشاهم..

والحال أنه شتان ما بين الزهد والتصوف فالزهد في الدنيا فضيلة وعمل مشروع مستحب وهو خلق الأنبياء والأولياء وعباد الله الصالحين الذين يؤثرون ما عند الله على التنعم، والتلذذ والانشغال بالمباحات، بل يتركون بعض الطيبات في المباحات طمعاً فيما عند الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}

وأما التصوف فمنهج آخر لأن الصوفي إذا تحقق في صوفيته يصبح الزهد عنده شيئاً لا معنى له، فهو قد يحتاج الزهد فقط في أول الطريق ثم في النهاية عليه أن يتمتع بكل ما قدر عليه ولو كان حراماً في الشرع لأن عقيدة وحدة الوجود التي يؤمن بها الصوفية لا تجعل في النهاية فرقاً بين الزنديق والصديق، ولا بين الأخت والأجنبية، ولا بين الملك والشيطان، بل ولا بين العبد والرب على حد قول ابن عربي المهندس الأخير للفكر الصوفي:

العبد رب والرب عبد ياليت شعري من المكلف؟!

إن قلت عبد فذاك ربٌ وإن قلت رب أنى يكلف؟!

Modifier avec WPS Office

وهذا سيأتي تفصيله وبيانه، والشاهد هنا أن هناك فرقاً هائلا ً بين الزهد الذي هو فضيلة ونهاية في الشريعة الإسلامية وبين التصوف الذي قد يجعل الزهد من شعائره ولكنه للمبتدئين فقط وأما في النهاية فيجب عند الصوفي أن يتمتع بكل ما قدر عليه.

وبناء على ما سبق نقول :إنه خلال القرنين الأولين لم تعرف الصوفية سواء كان باسمها أو برسمها وسلوكها ،

ولم يعرف ذلك العهد هذا الغلو العملي التعبدي أو العلمي الاعتقادي إلا بعض النزعات الفردية نحو التشديد على النفس الذي نهاهم عنه النبي صلى اللّه عليه وسلم في أكثر من مناسبة ، ومنها قوله للرهط الذين سألوا عن عبادته صلى اللّه عليه وسلم :((لكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، وآكل اللحم ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)) ، وقوله صلى اللّه عليه وسلم للحولاء بنت نويت التي طوقت نفسها بحبل حتى لا تنام عن قيام الليل كما في حديث عائشة رضي اللّه عنها : ((عليكم من العمل ما تطيقون ، فإن اللّه لا يمل حتى تملوا ، وأحب العمل إلى اللّه أدومه وإن قل)) .

وهكذا كان عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا المنهج يسيرون ، يجمعون بين العلم والعمل ، والعبادة والسعي على النفس والعيال ، وبين العبادة والجهاد ، و التصدي للبدع والأهواء مثلما تصدى ابن مسعود رضي اللّه عنه لبدعة الذكر الجماعي بمسجد الكوفة وقضى عليها ، وتصديه لأصحاب معضد بن يزيد العجلي لما اتخذوا دوراً خاصة للعبادة في بعض الجبال وردهم عن ذلك .

ظهور العباد : في القرن الثاني الهجري في عهد التابعين وبقايا الصحابة ظهرت طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحو لم يُعهد من قبل ، ومن أسباب ذلك بزوغ بعض الفتن الداخلية ، وإراقة بعض الدماء الزكية ، فآثروا اعتزال المجتمع تصوناً عما فيه من الفتن ، وطلباً للسلامة في دينهم ، يضاف إلى ذلك أيضاً فتح الدنيا أبوابها أمام المسلمين ، وبخاصة بعد اتساع الفتوحات الاسلامية وانغماس بعض المسلمين فيها ، وشيوع الترف والمجون بين طبقة من السفهاء ، مما أوجد ردة فعل عند بعض العباد وبخاصة في البصرة والكوفة حيث كانت بداية الانحراف عن المنهج الأول في جانب السلوك .

ففي الكوفة ظهرت جماعة من أهلها اعتزلوا الناس وسموا أنفسهم بالتوّابين أو البكّائين . كما ظهرت طبقة من العباد غلب عليهم جانب التشدد في العبادة والبعد عن المشاركة في مجريات الدولة ، مع علمهم وفضلهم والتزامهم بآداب الشريعة ، واشتغالهم بالكتاب والسنة تعلماً وتعليماً ، بالإضافة إلى صدعهم بالحق وتصديهم لأ هل الأهواء . كما ظهر فيهم الخوف الشديد من اللّه تعالى ، والإغماء والصقع عند

Modifier avec WPS Office

سماع القرآن الكريم مما استدعى الإنكار عليهم من بعض الصحابة وكبار التابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبد الله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم رضي الله عنهم ، وبسببهم شاع لقب العبّاد والزُهّاد والقرّاء في تلك الفترة .

وكدأب أي انحراف يبدأ صغيراً ، ثم مايلبث إلا أن يتسع مع مرور الأيام فقد تطور مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال : إبراهيم بن ادهم ، مالك بن دينار ، وبشر الحافي ، ورابعة العدوية ، وعبد الواحد بن زيد ، إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين من تعذيب للنفس بترك الطعام ، وتحريم تناول اللحوم ، والسياحة في البراري والصحاري ، وترك الزواج . يقول مالك بن دينار : ((لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ، ويأوي إلى مزابل الكلاب)) . وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص كتاب أو سنة ، ولكن مما يجدر التنبيه عليه أنه قد نُسب إلى هؤلاء الزهاد من الأ قوال المرذولة والشطحات المستنكرة ما لم يثبت عنهم بشكل قاطع كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية .

وفي الكوفة أخذ معضد بن يزيد العجلي هو وقبيله يروّضون أنفسهم على هجر النوم وإقامة الصلاة ، حتى سلك سبيلهم مجموعة من زهاد الكوفة ، فأخذوا يخرجون إلى الجبال للانقطاع للعبادة ، على الرغم من إنكار ابن مسعود عليهم في السابق ، وظهرت من بعضهم مثل رابعة العدوية أقوال مستنكرة في الحب والعشق الإلهي للتعبير عن المحبة بين العبد وربه ، وظهرت تبعاً لذلك مفاهيم خاطئة حول العبادة من كونها لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار مخالفةً لقول الله تعالى : ((يدعوننا رغباً ورهباً)) .

يلخص شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التطور في تلك المرحلة بقوله : ((في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء : الرأي ، والكلام ، والتصوف ، فكان جمهور الرأي في الكوفة ، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة ، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء ، وظهر أحمد بن علي الهجيمي ت200 ، تلميذ عبد الواحد بن زيد تلميذ الحسن البصري ، وكان له كلام في القدر ، وبنى دويرة للصوفية ـ وهي أول مابني في الإسلام ـ أي داراً بالبصرة غير المساجد للالتقاء على الذكر والسماع ـ صار لهم حال من السماع والصوت ـ إشارة إلى الغناء . وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل ، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين)) .

والذي ينبغي التنبيه إليه أن تلك الحوادث لاتعد بداية للتصوف ولا امتداداً له لأنها نزعات فردية لم تأخذ الطابع الجماعي ، ولم يقم هؤلاء بالدعوةإليها ،كما أن اصحابها لم يزيدوا على الغلو في الجانب السلوكي فقط، فلم تظهر البدع الا عتقادية التي يقوم عليها الفكر الصوفي ، وهو الجانب الأهم في عقيدة الصوفية .

Modifier avec WPS Office

وقد نسبت إلى بعض هؤلاء قصص لاتثبت عنهم ، محاولة لجعل هؤلاء الأئمة هم الطبقات المتقدمة من الصوفية ، فمن ذلك ما ذكره صاحب طبقات الصوفية أبو عبدالرحمن السلمي المتوفي سنة 412هـ والذي لفق حكايات الصوفية ووضعها على ألسنة المشايخ السابقين حتى إنه جعل إبراهيم بن أدهم رائداً ومؤسساً لبدايات هذا الفكر..

روى أبو عبدالرحمن السلمي: "عن إبراهيم بن بشار قال: صحبت إبراهيم بن أدهم بالشام، أنا وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبدالله السنجاري، فقلت: يا أبا إسحاق! خبرني عن بدء أمرك كيف كان؟ قال: كان أبي من ملوك خراسان، وكنت شاباً فركبت إلى الصيد، فخرجت يوماً على دابة لي، ومعي كلب، فأثرت أرنباً أو ثعلباً، فبينما أنا أطلبه، إذ هتف بي هاتف لا أراه، فقال: يا إبراهيم: ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ ففزعت، ووقفت، ثم عدت فركضت الثانية، ففعل بي مثل ذلك ثلاث مرات، ثم هتف بي هاتف من قربوس (قربوس: كحلزون، حنو السرج ومنعطفه، وهما قربوسان) السرج: والله ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت. قال: فنزلت فصادفت راعياً لأبي يرعى الغنم، فأخذت جبته الصوف، فلبستها ودفعت إليه الفرس، وما كان معي ، وتوجهت إلى مكة فبينما أنا في البادية، إذ أنا برجل يسير ليس معه إناء ولا زاد، فلما أمسى وصلى المغرب، حرك شفتيه بكلام لم أفهمه، فإذا أنا بإناء فيه طعام، وإناء فيه شراب، فأكلت وشرب، وكنت معه على هذا أياماً، وعلمني "اسم الله الأعظم" ثم غاب عني وبقيت وحدي، فبينما أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة، دعوت الله به، فإذا أنا بشخص آخذ بحجزتي وقال: سل تعطه!! فراعني قوله، فقال: لا روع عليك أنا أخوك الخضر، إن أخي داود علمك اسم الله الأعظم، فلا تدعو به على أحد بينك وبينه شحناء، فتهلكه هلاك الدنيا والآخرة، ولكن ادعُ الله أن يشجع به جبنك ويقوي به ضعفك، ويؤنس به وحشتك، ويجدد في كل ساعة رغبتك، ثم انصرف وتركني" (طبقات السلمي (29-31)).

وبمثل هذه القصص التي تمتلئ بها كتب الصوفية ويرمون منها إلى عدة أمور من أهمها :   أن هناك طريقاً للهداية هو طريق الهواتف، وأن هذه الهداية تحمل الإنسان على ترك الدنيا، وترك الآباء والأمهات والدخول إلى البراري والقفار، وأن المهتدي على هذا النحو يرى الأنبياء ويتكلم معهم، ويأكل من الغيب لا من الشهادة، وأن الخضر عليه السلام خادم لاسم الله الأعظم، هذا الإسم الذي يتعاظم على العارف أن ينطق به، وأن هذا الطريق الذي يلج فيه الصوفي يتصل به بالسماء فيتعلم العلوم، وأن هذا الطريق هو المنهج الوحيد للحصول على ولاية الله عز وجل، وأنه يجب الصبر مع أهل هذا الطريق، وعدم الإنكار عليهم، بل يجب على المهتدي أن يكون أرضاً لهم يطئون عليها ، وأن هؤلاء القوم قد أرسلوا في مهمة خاصة، وأنهم يتلقون عن الله هكذا رأساً بلا وساطة، ويبلغون علماً خاصاً، وأنه بدعاء واحد يختفي الموجود، ويوجد المفقود!!..

Modifier avec WPS Office

البداية والظهور :

ظهر مصطلح التصوف أول ما ظهر في الكوفة بسبب قربها من بلاد فارس ، والتأثر بالفلسفة اليونانية بعد عصر الترجمة ، ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب ، وقد تنازع العلماء والمؤرخون في أول من تسمى ّ به . على قولين :

1)يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ومن وافقه : إن أول من عُرف بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي ت 162هـ بالشام بعد أن انتقل إليها ، وكان معاصراً لجعفر الصادق وينسب إلى الشيعة الأوائل ويسميه الشيعة مخترع الصوفية .

2) يذكر بعض المؤرخين أن عبدك ـ عبد الكريم الصوفي ـ المتوفى سنة 210هـ هو أول من تسمى بالصوفي ، ويذكر عنه الحارث المحاسبي أنه كان من طائفة نصف شيعية تسمي نفسها صوفية تأسست بالكوفة . بينما يذكر الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام ، لا يحل لأحد منها إلا القوت ، حيث ذهب أئمة الهدى ، ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل ، وإلا فهي حرام ، ومعاملة أهلها حرام .

ومن ظهور الصوفية في القرن الثالث الهجري وحتى ظهور الطرق الصوفية في القرن السادس يمكن تقسيم المراحل التي مر بها التصوف وأئمة المتصوفة إلى ثلا ث طبقات :

الطبقة الأولى :

وتمتل التيار الذي اشتهر بالصدق في الزهد إلى حد الوساوس ، والبعد عن الدنيا وا لانحراف في السلوك والعبادة على وجه يخالف ماكان عليه الصدر الأول من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته بل وعن عباد القرن السابق له ، ولكنه كان يغلب على أكثرهم الاستقامة في العقيدة ، والإكثار من دعاوى التزام السنة ونهج السلف ، وإن كان ورد عن بعضهم بعض العبارات التي عدها العلماء من الشطحات .

ومن أبرز ملامح هذه الطبقة ما يلي :

1-بداية التمييز عن جمهور المسلمين والعلماء ، وظهور مصطلحات تدل على ذلك بشكل مهد لظهور الطرق من بعد ، مثل قول بعضهم : علمنا ، مذهبنا ، طريقنا ، قال الجنيد : ((علمنا مشتبك مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم)) وهو انتساب محرم شرعاً حيث يفضي إلى البدعة والمعصية بل وإلى الشرك أيضاً ، وقد اشترطوا على من يريد السير معهم في طريقتهم أن يخرج من ماله ، وأن يقل من غذائه وأن يترك الزواج مادام في سلوكه .

2- كثر الاهتمام بالوعظ والقصص مع قلة العلم والفقه والتحذير من تحصيلهما في

Modifier avec WPS Office

الوقت الذي اقتدى أكثرهم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب حيث حدث الالتقاء ببعضهم ، مما زاد في البعد عن سمت الصحابة التابعين .

3- اتخاذ دور للعبادة غير المساجد ، يلتقون فيها للاستماع للقصائد الزهدية أو قصائد ظاهرها الغزل بقصد مدح النبي صلى الله عليه وسلم مما سبب العداء الشديد بينهم وبين الفقهاء ، وإلى هذه يشير الإمام الشافعي بقوله عندما دخل مصر قال: تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئاً يسمونه السماع.. والزنادقة الذين عناهم الشافعي هنا هم المتصوفة (والسماع) هو الغناء والمواجيد والمواويل التي ينشدونها ومعلوم أن الشافعي دخل مصر سنة 199هـ وكلمة الشافعي توحي بأن قضية السماع هذه قضية جديدة .

4- كما ظهرت فيهم ادعاءات الكشف والخوارق وبعض المقولات الكلامية .

5- ومن أهم هذه السمات المميزة لمذاهب التصوف والقاسم المشترك للمنهج المميز بينهم في تناول العبادة وغيرها مايسمونه ((الذوق)) والذي أدى إلى اتساع الخرق عليهم ، فلم يستطيعوا أن يحموا نهجهم الصوفي من الاندماج أو التأثر بعقائد وفلسفات غير إسلامية ، مما سهل على اندثار هذه الطبقة وزيادة انتشار الطبقة الثانية التي زاد غلوها وانحرافها .

ومن أبرز رموز تلك الطبقة :

الجنيد : هو أبو القاسم الخراز المتوفى 298هـ يلقبه الصوفية بسيد الطائفة ، ولذلك يعد من أهم الشخصيات التي يعتمد المتصوفة على أقواله وآرائه وبخاصة في التوحيد والمعرفة والمحبة ، وقد أنكر على المتصوفة سقوط التكاليف ، وقد تأثر الجنيد بأستاذه الحارث المحاسبي والذي يعد أول من خلط الكلام بالتصوف ، وبخاله السري السقطي ت 253هـ .

أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العني ت205هـ ، وأحمد بن الحواري ، والسري بن المغلس السقطي أبوالحسن ت253هـ ، سهل بن عبد الله التستري ت273هـ ، معروف الكرخي 412هـ محمد بن الحسن الأزدي السلمي .

وفي هذه الفترة ظهرت لهم تصانيف كثيرة في مثل : كتب أبو طالب المكي قوت القلوب وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ، وكتب الحارث المحاسبي . وقد حذر العلماء الأوائل من هذه الكتب لاشتمالها على الأحاديث الموضوعة والمنكرة ، واشتمالها على الإسرائيليات وأقوال أهل الكتاب . سئل الإمام أبو زرعة عن هذه الكتب فقيل له : في هذه عبرة ؟ قال : من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة .

الطبقة الثانية :

Modifier avec WPS Office

ومن أهم ملامحها أنها خلطت الزهد بعبارات الباطنية ، وانتقل فيها الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري ، ولذلك ظهر في كلامهم مصطلحات : الوحدة ، والفناء ، والاتحاد ، والحلول ، و السكر ، والصحو ، والكشف ، والبقاء ، والمريد ، والعارف ، والأحوال ، والمقامات ، وشاع بينهم التفرقة بين الشريعة والحقيقة ، وتسمية أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن ، وسموا غيرهم من الفقهاء أهل الظاهر والرسوم مما زاد العداء بينهما ، وغير ذلك مما كان غير معروف عند السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة ولا عند الطبقة الأولى من المنتسبين إلى الصوفية ، مما زاد في انحرافها ، فكانت بحق تمثل البداية الفعلية لما صار عليه تيار التصوف حتى الآن .

ومن أهم رموز هذه الطبقة :

ـ ذوالنون المصري : وهو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم ، قبطي الأصل من أهل النوبة ، من قرية أخميم بصعيد مصر ، توفي سنة 245 هـ أخذ التصوف عن شقران العابد أو إسرائيل المغربي على حسب رواية ابن خلكان وعبد الرحمن الجامي . ويؤكد الشيعة في كتبهم ويوافقهم ابن النديم في الفهرست أنه أخذ علم الكيمياء عن جابر بن حيان الشيعي، ويذكر ابن خلكان أنه كان من الملامتية الذين يخفون تقواهم عن الناس ويظهرون استهزاءهم بالشريعة ، وذلك مع اشتهاره بالحكمة و الفصاحة .

ويعده كتاب الصوفية المؤسس الحقيقي لطريقتهم في المحبة والمعرفة ، وأول من تكلم عن المقامات والأحوال في مصر ، وقال بالكشف وأن للشريعة ظاهراً وباطناً . ويذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي ، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع ، وأنه أول من استعمل الرمز في التعبير عن حاله ، وقد تأثر بعقائد الإسماعلية والباطنية وإخوان الصفا بسبب صِلاته القوية بهم ، حيث تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم الباطلة ، فظهرت له أقوال في علم الباطن ، والعلم اللدني ، والاتحاد ، وإرجاع أصل الخلق إلى النور المحمدي ، وكان لعلمه باللغة القبطية أثره على حل النقوش والرموز المرسومة على الآثار القبطية في قريته مما مكنه من تعلم فنون التنجيم والسحر والطلاسم الذي اشتغل بهم . ويعد ذوالنون أول من وقف من المتصوفة على الثقافة اليونانية ، ومذهب الأفلاطونية الجديدة .

ـ أبويزيد البسطامي : طيفور بن عيسى بن آدم بن شروسان ، ولد في بسطام من أصل مجوسي ، وتوفي سنة 263 هـ وقد نسبت إليه من الأقوال الشنيعة التي يشكك الكثير من الباحثين في صدق نسبتها إليه مثل قوله : ((خرجت من الحق إلى الحق حتى صاح فيّ : يا من أنت أنا ، فقد تحققت بمقام الفناء في الله)) ، ((سبحاني ما أعظم شاني)) وهي أقوال لاتغفر لصاحبها ، سواءً كان في حالة سكر أو صحو ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعده من أصحاب هذه الطبقة

Modifier avec WPS Office

ويشكك في صدق نسبتها إليه حيث كانت له أقوال تدل على تمسكه بالسنة .

ـ الحكيم الترمذي : أبوعبد الله محمد بن علي بن الحسين الترمذي المتوفى سنة 320هـ أول من تكلم في ختم الولاية وألف كتاباً في هذا أسماه ختم الولاية كان سبباً لاتهامه بالكفر وإخراجه من بلده ترمذ ، يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : ((تكلم طائفة من الصوفية في ((خاتم الأولياء)) وعظموه كالحكيم الترمذي ، وهو من غلطاته ، فإن الغالب على كلامه الصحة بخلاف ابن عربي فإنه كثير التخليط)) . [مجموع الفتاوى 363/1] . وينسب إليه انه قال : ((للأولياء خاتم كما ان للأنبياء خاتماً)) ، مما مهد الطريق أمام فلاسفة الصوفية أمثال ابن عربي وابن سبعين وابن هود والتلمساني للقول بخاتم الأولياء ، وأن مقامه يفضل مقام خاتم الأنبياء .

الطبقة الثالثة :

وفيها اختلط التصوف بالفلسفة اليونانية ، وظهرت أفكار الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، على أن الموجود الحق هو الله وماعداه فإنها صور زائفة وأوهام وخيالات موافقة لقول الفلاسفة ، كما أثرت في ظهور نظريات الفيض والإشراق . وبذلك تعد هذه الطبقة من أخطر الطبقات والمراحل التي مر بها التصوف والتي تعدت مرحلة البدع العملية إلى البدع العلمية التي بها يخرج التصوف عن الإسلام بالكلية . ومن أشهر رموز هذه الطبقة : الحلاج ت309هـ ، السهروردي 587هـ ، ابن عربي ت638هـ ، ابن الفارض 632هـ ، ابن سبعين ت 667 هـ

ـ الحـلاج : أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج 244 ـ 309هـ ولد بفارس حفيداً لرجل زرادشتي ، ونشأ في واسط بالعراق ، وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين، رمي بالكفر وقتل مصلوباً لتهم أربع وُجهت إليه : اتصاله بالقرامطة ،وقوله ((أنا الحق)) ،و اعتقاد أتباعه ألوهيته ، قوله في الحج ، حيث يرى أن الحج إلى البيت الحرام ليس من الفرائض الواجب أداؤها .

كانت في شخصيته كثير من الغموض ، فضلا ً عن كونه متشدداً وعنيداً ومغالياً ، له كتاب الطواسين الذي أخرجه وحققه المستشرق الفرنسي ماسنيون .

ـ أبوحامد الغزالي : الملقب بحجة الإسلام 450 ـ 505هـ ولد بطوس من إقليم خراسان ، نشأ في بيئة كثرت فيها الآراء والمذاهب مثل علم الكلام والفلسفة ، و الباطنية ، والتصوف ، مما أورثه ذلك حيرة وشكاً دفعه للتقلب بين هذه المذاهب ا لأربعة السابقة أثناء إقامته في بغداد ، رحل إلى جرجان ونيسابور ، ولازم نظام الملك ، درس في المدرسة النظامية ببغداد ، واعتكف في منارة مسجد دمشق ، ورحل إلى القدس ومنها إلى الحجاز ثم عاد إلى موطنه . وقد ألف عدداً من الكتب منها : تهافت الفلاسفة ، والمنقذ من الضلال ، وأهمها إحياء علوم الدين . ويعد

Modifier avec WPS Office

الغزالي رئيس مدرسة الكشف في المعرفة ، التي تسلمت راية التصوف من أصحاب الأصولية الفارسية إلى أصحاب الأصول السنية ، ومن جليل أعماله هدمه للفلسفة اليونانية وكشفه لفضائح الباطنية في كتابه المستظهري أو فضائح الباطنية .

ويحكي تلميذه عبد الغافر الفارسي آخر مراحل حياته ، بعدما عاد إلى بلده طوس ، قائلاً : ((وكانت ثمة أمره إقباله على حديث المصطفى ومجالسة أهله ، ومطالعة الصحيحين ـ البخاري ومسلم ـ اللذين هما حجة الإسلام)) ا . هـ . وذلك بعد أن صحب أهل الحديث في بلده ، وفي هذه المرحلة ألف كتابه إلجام العوام عن علم الكلام الذي ذم فيه علم الكلام وطريقته ، وانتصر لمذهب السلف ونهجهم فقال : ((الدليل على أن مذهب السلف هو الحق : أن نقيضه بدعة ، والبدعة مذمومة وضلالة ، والخوض من جهة العوام في التأويل والخوض بهم من جهة العلماء بدعة مذمومة ، وكان نقيضه هو الكف عن ذلك سنة محمودة)) ، وفيه أيضاً رجع عن القول بالكشف وإدراك خصائص النبوة وقواها ، والاعتماد في التأويل أو الإثبات على الكشف الذي كان يراه من قبل غاية العوام .

محيي الدين ابن عربي : الملقب بالشيخ الكبر 560-638ه رئيس مدرسة وحدة الوجود ، يعتبر نفسه خاتم الأولياء ، ولد بالأندلس ، ورحل إلى مصر ، وحج وزار بغداد ، واستقر في دمشق حيث مات ودفن ، وله فيها الآن قبر يُزار ، طرح نظرية ا لإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله ، وله كتب كثيرة يوصلها بعضهم إلى 400كتاب ورسالة مايزال بعضها محفوظاً بمكتبة يوسف أغا بقونية ومكتبات تركيا الأخرى ، وأشهر كتبه : روح القدس ، وترجمان الأشواق وأبرزها : الفتوحات المكية وفصوص الحكم .

يقول في مطلع كتابه "فصوص الحكم" وهو الكتاب الذي جعله خاتمة لأعماله جامعاً لعقيدته: "أما بعد فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة أريتها في العشر الآخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب، فقال لي: هذا "كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا" ثم يقول:

فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي الرسول صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان" (الفصوص، ص 47، طبع بيروت. تح.

ويقول في مكان آخر بعد أن ذكر مواضيع الكتاب: "فاقتصرت على ما ذكرته من هذه الحكم في هذا الكتاب على حد ما ثبت في أم الكتاب، فامتثلت ما رسم لي، ووقفت عند ما حد لي، ولو رمت زيادة على ذلك ما استطعت فإن الحضرة تمنع من

Modifier avec WPS Office

ذلك" (ص58).

ويقول أيضاً في "فص حكمة علوية في كلمة موسوية": "وأنا إن شاء الله أسرد منها في هذا الباب على قدر ما يقع به الأمر الإلهي في خاطري فكان هذا أول ما شوفهت به من هذا الباب .

ويقول أيضاً :"ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت، وأنه الخليفة بـ السيف، وإن جار في العرف الناموسي، لذلك قال: (أنا ربكم الأعلى) أي وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما فأنا ربكم الأعلى منهم، بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروه، بل أقروا له بذلك، فقالوا: (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا). (فاقض ما أنت قاض) فالدولة لك، فصح قوله: أنا ربكم الأعلى" (ص210،211).

وهذا تصريح منه بعقيدته بوحدة الوجود، ولذلك اتهم بعض الصوفية الآخرين موسى عليه السلام بالجهل، وفرعون بالعلم والمعرفة، فقال: كان فرعون أعلم ب الله من موسى، لأنه عرف حقيقة الحق، وأما موسى فما عرف إلا وجهاً واحداً، ولم يعرف أن الكل أرباب وأنهم مخلوقون في نفس الوقت، فالإنسان عندهم هو الحق والخلق وعلى هذا فقد حكم له بالإيمان والجنة زاعماً أنه آمن عندما رأى انفلاق البحر لبني إسرائيل، فنجاه الله من العذاب الآخروي، وعمته النجاة حساً ومعنى، وأنكر على من يقول: إنه من المعذبين قائلا ً: "ليس لديهم نص في هذا المعنى"، مع العلم أن الله يقول عنه: {ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين* إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد* يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود* وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود}

ظهور الطرق الصوفية :

معنى الطريقة الصوفية: الطريقة الصوفية تعني النسبة إلى شيخ يزعم لنفسه الترقي في ميادين التصوف والوصول إلى رتبة الشيخ المربي. ويدعي لنفسه بـ الطبع رتبة صوفية من مراتب الأولياء عند الصوفية كالقطب والغوث والوتد و البدل.. الخ ، ولا بد أن يكون من أهل الكرامات والمكاشفات، ويكون له ذكر خاص به ينفرد به عن سائر الطرق ، يزعم كل واحد منهم أنه تلقاه من الغيب إما من الله رأساً، أو نزل منه سبحانه مكتوباً، أو من الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة أو في المنام، أو من الخضر عليه السلام.. ، ولا بد أن يكون لهذا الذكر الخاص ميزة خاصة وفضل خاص أكبر من الموجود في القرآن والسنة، وأفضل مما عند الطرق الأخرى وهذا بالطبع لجلب الأتباع لهذا الطريق الخاص. ثم لا بد أن يكون لكل طريق مشاعر خاصة فلون العلم والخرقة لون مميز، وطريقة الذكر الصوفي مميزة، ونظام الخلوة مميز، وهكذا؛ والطرق الحديثة غالباً ما يتوارثها الأبناء عن الآ

Modifier avec WPS Office

آباء وذلك أن الطريقة التي تستطيع جلب عدد كبير من المريدين والتابعين والأ نصار تصبح بعد مدة يسيرة إقطاعية دينية عظيمة تفد الوفود إلى رئيسها (شيخها) من كل ناحية، وتأتيه الإتاوات والصدقات والهبات من كل حدب وصوب .

بداية ظهور الطرق : يمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها حيث انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي ، فظهرت الطريقة القادرية المنسوبة لعبدالقادر الجيلاني ، المتوفى سنة 561ه ، وقد رزق بتسعة وأربعين ولداً ، حمل أحد عشر منهم تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي ، ويزعم أتباعه أنه أخذ الخرقة والتصوف عن الحسن البصري عن الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – رغم عدم لقائه بالحسن البصري ، كما نسبوا إليه من الأمور العظيمة فيما لا يقدر عليها إلا الله تعالى من معرفة الغيب ، وإحياء الموتى ، وتصرفه في الكون حياً أو ميتاً ، بالإضافة إلى مجموعة من الأذكار والأوراد والأقوال الشنيعة . ومن هذه الأقوال أنه قال مرة في أحد مجالسه : ((قدمي هذه على رقبة كل ولي لله)) ، وكان يقول : ((من استغاث بي في كربة كشفت عنه ، ومن ناداني في شدة فرجت عنه ، ومن توسل بي في حاجة قضيت له)) ، ولا يخفى ما في هذه الأقوال من الشرك وادعاء الربوبية .

يقول السيد محمد رشيد رضا : ((يُنقل عن الشيخ الجيلاني من الكرامات وخوارق العادات مالم ينقل عن غيره ، والنقاد من أهل الرواية لا يحفلون بهذه النقول إذ لا أسانيد لها يحتج بها)) [دائرة المعارف الإسلامية171/11] .

كما ظهرت الطريقة الرفاعية المنسوبة لأبي العباس أحمد بن الحسين الرفاعي ت 540ه ويطلق عليها البطائحية نسبة إلى مكان ولاية بالقرب من قرى البطائح بالعراق ، وينسج حوله كتاب الصوفية – كدأبهم مع من ينتسبون إليهم – الأساطير والخرافات ، بل ويرفعونه إلى مقام الربوبية . ومن هذه الأقوال : ((كان قطب الأقطاب في الأرض ، ثم انتقل إلى قطبية السماوات ، ثم صارت السماوات السبع في رجله كالخلخال)) [طبقات الشعراني ص141 .

وقد تزوج الرفاعي العديد من النساء ولكنه لم يعقب ، ولذلك خلفه على المشيخة من بعده علي بن عثمان ت584ه ثم خلفه عبد الرحيم بن عثمان ت604ه و لأتباعه أحوال وأمور غريبة ذكرها الحافظ الذهبي ثم قال : ((لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء)) ، و جماعته يستخدمون السيوف ودخول النيران في إثبات الكرامات ، قال عنهم الشيخ الآلوسي في غاية الأماني في الرد على النبهاني : ((وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة : مبتدعة الرفاعية ، فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها ، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله وعبادة مشايخهم . وأعمالهم عبارة عن مسك الحيات)) 370/1 .

Modifier avec WPS Office

ثم ظهرت الطريقة الشاذلية على يد أبي الحسن الشاذلي 593-656ه ‌‌ صاحب ابن عربي مراحل الطلب –طلب العلم – ولكنهما افترقا حيث فضّل أبوالحسن مدرسة الغزالي في الكشف بينما فضل ابن عربي مدرسة الحلاج وذي النون المصري ، وقد أصبح لكلتا المدرستين أنصارهما إلى الآن داخل طرق الصوفية ، مع ما قد تختلط عند بعضهم المفاهيم فيهما ، ومن أشهر تلاميذ مدرسة الشاذلي أبوالعباس ت686ه ، وإبراهيم الدسوقي ، وأحمد البدوي الذي تنسب إليه البدوية ، وكان قد ولد بفاس ، واستقر في طنطا حتى وفاته ، وله فيها ضريح مقصود ، حيث يقام له كغيره من أولياء الصوفية احتفال بمولده سنوياً يمارس فيه الكثير من البدع والانحرافات العقدية من دعاء واستغاثة وتبرك وتوسل مما يؤدي إلى الشرك المخرج من الملة . وأتباع طريقته منتشرون في بعض محافظات مصر ، ويلاحظ على أصحاب هذه المدرسة إلى اليوم كثرة اعتذارها وتأويلها لكلام ابن عربي ومدرسته .

وفي القرن السابع ظهر أيضاً جلال الدين الرومي صاحب الطريقة المولوية بتركيا ت672ه . ،ثم أصبح القرن الثامن والتاسع الهجري ما هو إلا تفريع وشرح لكتب ابن عربي وابن الفارض وغيرهما ، ولم تظهر فيه نظريات جديدة في التصوف . ومن أبرز سمات القرن التاسع هو اختلاط أفكار كلتا المدرستين . وفي هذا القرن ظهر محمد بهاء الدين النقشبندي مؤسس الطريقة النقشبندية ت791ه ، ثم ظهرت التيجانية أتباع أحمد بن محمد بن مختار التيجاني المولود سنة 1150 ه. ومن مفتريات تلك الطريقة ابتداعهم ذكراً مبتدعاً يسمى صلاة الفاتح وجعلهم قراءته أفضل من قراءة القرآن الكريم ستين ألف مرة وهذا الذكر هو: "اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم".

ثم في القرون التالية اختلط الأمر على الصوفية ، وانتشرت الفوضى بينهم ، واختلطت فيهم أفكار كلتا المدرستين وبدأت مرحلة الدراويش .

ومن أهم ماتتميز به القرون المتأخرة : ظهور ألقاب شيخ السجادة ، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية ، والخليفة والبيوت الصوفية التي هي أقسام فرعية من الطرق نفسها مع وجود شيء من الاستقلال الذاتي يمارس بمعرفة الخلفاء ، كما ظهرت فيها التنظيمات والتشريعات المنظمة للطرق تحت مجلس وإدارة واحدة الذي بدأ بفرمان أصدره محمد علي باشا والي مصر يقضي بتعيين محمد البكري خلفاً لوالده شيخاً للسجادة البكرية وتفويضه في الإشراف على جميع الطرق و التكايا والزوايا والمساجد التي بها أضرحة كما له الحق في وضع مناهج التعليم التي تعطى فيها . وذلك كله في محاولة لتقويض سلطة شيخ الأزهر وعلمائه ، وقد تطورت نظمه وتشريعاته ليعزف فيما بعد بالمجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر .

Modifier avec WPS Office

مدارس الصوفية :

1- مدرسة الكشف والمعرفة : وهي تقوم على اعتبار أن المنطق العقلي وحده لا يكفي في تحصيل المعرفة وإدراك حقائق الموجودات ، إذ يتطور المرء بالرياضة النفسية حتى تتكشف عن بصيرته غشاوة الجهل وتبدو له الحقائق منطبقة في نفسه تتراءى فوق مرآة القلب ، وزعيم هذه المدرسة : الإمام أبو حامد الغزالي .

يقول الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين:"فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر، وفاض على صدورهم النور، لا بالتعليم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. فمن كان لله، كان الله له - وزعموا أن الطريق في ذلك، أولا ً بانقطاع علا ئق الدنيا بالكلية، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن، وعن العالم والولاية والجاه، بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود الشيء وعدمه. ثم يخلوا بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب، ولا يفرق فكره بقراءة قرآن، ولا بالتأمل في تفسيره، ولا يكتب حديثاً ولا غيره. بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى. فلا يزال، بعد جلوسه في الخلوة، قائلا ً بلسانه: الله.. الله.. على الدوام، مع حضور القلب، حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه. ثم يصير عليه إلى أن يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة، ويبقي معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه، كأنه لازم له، لا يفارقه، وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد، واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس. وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى. بل هو بما فعله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله، فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة، كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق.

وعند ذلك إذا صدقت إرادته، وصفت همته، وحسنت مواظبته، فلم تجاذبه شهواته، ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا - تلمع لوامع الحق في قلبه، ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف ثم يلبث ثم يعود وقد يتأخر. وإن عاد فقد يثبت، وقد يكون مختطفاً. وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد." أ.هـ

فتأمل قول الغزالي عن الصوفي الذي يريد الوصول إلى الكشف (ويجلس فارغ القلب، مجموع الهم، ولا يفرق فكره بقراءة القرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا يكتب حديثاً ولا غيره.. بل يقول.. الله الله على الدوام..) فهل وجد مثل هذا الأمر في كتاب أو سنة أو أنه عمل مبتدع يريد به صاحبه غاية لا تحصل له، وهي رؤية الله أو أنوار الله، أو الملائكة أو رسول الله؟!

وهل يرى الصوفي من وراء هذا الذكر المبتدع غير طوالع نار الشياطين، وبوارق

Modifier avec WPS Office

كيدهم، ولوائح طلوعهم على من جعل له غاية غير غايات الدين وطريقاً غير طريق المؤمنين الذي سنه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسن لنا الرسول أن يجلس أحدنا في زاوية مظلمة ولا يجعل على خاطره شيئاً غير الله وينتظر أن ينزل عليه الوحي والكشف.. وبالطبع من جعل له غاية غير غايات الكتاب والسنة تلاعبت به الشياطين وظن أن ما تنزل عليه إنما هو من الله وما هو من الله..

والغزالي اكتفى في تقريره الكشف الصوفي بإشراق العلوم في القلب وسماع الصوت أيضاً كما قال: "الخلوة لا تكون إلا في بيت مظلم فإن لم يكن له مكان مظلم فليلق رأسه بجيبه، أو يتدثر بكساء أو إبراز ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال - الحضرة البوبية) (إحياء علوم الدين ج2 ص66).

ولكنه أنكر أن تكون الملائكة تنزل على الأولياء والصوفية كما تنزل على الأنبياء، واكتفى بما ذكره آنفاً أن الأولياء والصوفية تشرق على قلوبهم هذه العلوم التي يقولونها إشراقاً من الغيب فضلا ً من الله لهم ورحمة –في زعمه- ، وعلى الرغم من أنه جارى الصوفية في مزاعمهم هذه، وقرر ما ابتدعوه من الخلوة والظلام ولف الرأس وانتظار العلوم إلا أن إنكاره نزول الملك على الصوفي لم يعجب كبار الصوفية، وأهل الحقيقة منهم، ولذلك عنفوه وجهلوه وجعلوا هذا منه لقلة الذوق وعدم التحقق بنفسه وعدم مقابلته لمن هو أعلى منه مقاماً .

2- <u>مدرسة وحدة الوجود</u> : زعيم هذه المدرسة محيي الدين بن عربي القائل : (وقد ثبت عند المحققين أنه ما في الوجود إلا الله ، ونحن إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به ، فما ظهر من الوجود بالوجود إلا الحق ، فالوجود الحق وهو واحد ، فليس ثم شيء هو له مثل ، لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان أو متماثلان)) .

3- <u>مدرسة الاتحاد والحلول</u> : وزعيمها : الحلاج ، ويظهر في هذه المدرسة التأثر بالتصوف الهندي والنصراني ، حيث يتصور الصوفي عندها أن الله قد حل فيه وأنه قد اتحد هو بالله ، فمن أقوالهم : ((أنا الحق)) و ((ما في الجبة إلا الله)) وما إلى ذلك من الشطحات التي تنطلق على ألسنتهم في لحظات السكر بخمرة الشهود على مايزعمون .

أهم عقائد الصوفية :

أولا ً: مصادر التلقي :

تعد قضية التلقي والاستدلال من أهم القضايا الفارقة بين العقيدة افسلامية ، و العقيدة الصوفية ، ففي حين يقتصر الاستدلال عند اهل السنة على القرآن والسنة وما بني عليهما ،نجد ان الصوفية يعتمدون في التلقي والاستدلال على عدة أمور

Modifier avec WPS Office

منها :

أ)- الكشف : ويعتمد الصوفية الكشف مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف ، بل تحقيق غاية عبادتهم ، ويدخل تحت الكشف الصوفي جملة من الأمور الشرعية والكونية منها :

1- النبي صلى الله عليه وسلم : ويقصدون به الأخذ عنه يقظةً أو مناماً .

2- الخضر : قد كثرت حكايتهم عن لقياه ، والأخذ عنه أحكاماً شرعية وعلوماً دينية ، وكذلك الأوراد ، والأذكار والمناقب .

3- الإلهام : سواء كان من الله تعالى مباشرة ، وبه جعلوا مقام الصوفي فوق مقام النبي حيث يعتقدون أن الولي يأخذ العلم مباشرة عن الله تعالى حيث أخذه الملك الذي يوحي به إلى النبي أو الرسول .

4- الفراسة : والتي تختص بمعرفة خواطر النفوس وأحاديثها .

5- الهواتف : من سماع الخطاب من الله تعالى ، أو من الملائكة ، أو الجن الصالح ، أو من أحد الأولياء ، أو الخضر ، أو إبليس ، سواء كان مناماً أو يقظةً أو في حالة بينهما بواسطة الأذن .

6- الإسراءات والمعاريج : ويقصدون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي ، وجو لاتها هناك ، والاتيان منها بشتى العلوم والأسرار .

7- الكشف الحسي : بالكشف عن حقائق الوجود بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر .

8- الرؤى والمنامات : وتعتبر من أكثر المصادر اعتماداً عليها حيث يزعمون أنهم يتلقون فيها عن الله تعالى ، أو عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أحد شيوخهم لمعرفة الأحكام الشرعية .

ب)- الذوق : وله إطلاقان :

1- الذوق العام الذي ينظم جميع الأحوال والمقامات ، ويرى الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال إمكان السالك أن يتذوق حقيقة النبوة ، وأن يدرك خاصيتها بـ المنازلة .

2- أما الذوق الخاص فتتفاوت درجاته بينهم حيث يبدأ بالذوق ثم الشرب .

ج)- الوجد : وله ثلاث مراتب : التواجد ، الوجد ، الوجود .

Modifier avec WPS Office

ثانياً : عقيدة الصوفية في الله تعالى:

يعتقد المتصوفة في الله عقائد شتى منها "الحلول" الذي يعني ان يكون الصوفي الها وربا يعلم الغيب كله كما يعلمه الله سبحانه وتعالى حيث ان الهدف الصوفي هو الوصول الى مقام النبوة أولا ثم الترقي حتى يصل الفرد منهم في زعمهم الى مقام الألوهية والربوبية ، البسطامي من اعلام القرن الثالث في التصوف ومن أئمة الصوفية يقول: "رفعني مرة فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبايزيد ان خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني انانيتك، وارفعني الى احديتك..." تعالى الله عما يقول علوا كبيرا ، أما الحلاج صاحب مدرسة الاتحاد و الحلول وله أقوال منها :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا　　　نحن روحان حللنا بدن ـا

فإذا أبصرت ـني أبصرت ـه　　　وإذا أبصرت ـه أبص ـرتنا

وقوله :

مزجت روحك في روحي كما　　　تمزج الخمرة في الماء الزلال

فإذا مس ّ ـك شيء مس ـني　　　فإذا أن ـت أنا في كل ح ـال

وقد بالغت طائفة من الصوفية بالثناء عليه حتى قال عنه محمد بن خفيف: "الحسين بن منصور عالم رباني" (طبقات الصوفية ص308) ، وفي القرن الخامس وما يليه ابتدأ المتصوفة يصرحون باسمه، ويذكرون مقالاته، ويشهدون بفضله وسعته، فقد أشاد به أبو حامد الغزالي، وابن عربي، وعبدالغني النابلسي ، وأما في العصر الحديث فقد كتب فيه طه عبدالباقي سرور كتاباً بعنوان: (الحلاج شهيد التصوف الإسلامي) وقد جعله في هذا الكتاب ثائراً على الفساد، ومصلحاً إجتماعياً ، وداعية إسلامياً.

وكان الحلاج أجرأ الناس في إظهار العقيدة الباطنية للفكر الصوفي ، وهذه الجرأة هي التي أدت بعد ذلك إلى القتل والصلب، ولقد كان هناك من المتصوفة من هم على عقيدته ولكنهم كتموا. يقول الشبلي:

"كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر وكتمت" (الحلاج لطه عبدالباقي سرور)، ومن أبرز ما صرح به الحلاج عن المعتقد الباطن للتصوف ما جاء في كتاب الطواسين له ، يقول :"ما صحت الدعاوي لأحد إلا إبليس وأحمد، غير أن إبليس سقط عن العين، وأحمد كشف له عن عين العين، قيل لإبليس: اسجد ، ولأحمد: انظر. هذا ما سجد وأحمد ما نظر، ما التفت يميناً ولا شمالاً ، {ما زاغ البصر وما طغى} أما إبليس فإنه دعا لكنها ما رجع عن حوله، وأحمد ادعى ورجع

Modifier avec WPS Office

عن حوله بقوله: [بك أحول وبك أصول] وبقوله: [يا مقلب القلوب] وقوله: [لا أحصي ثناء عليك].

وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس، حيث إبليس تغير عليه العين، وهجر الألحاظ في السير، وعبد المعبود على التجريد، ولعن حين وصل إلى التفريد، وطلب حين طلب المزيد.

فقال له: (اسجد) قال: "لا غير" قال له: (وإن عليك لعنتي) قال: "لا غير"، مالي إلى غيرك سبيل، وإني محب ذليل، قال له: (استكبرت) قال: لو كان لي معك لحظة لكان يليق بي التكبر والتجبر، وأنا الذي عرفتك في الأزل (أنا خير منه) لأن لي قدمة في الخدمة، وليس في الكونين أعرف مني بك، ولي فيك إرادة، إرادتك في سابقة، إن سجدت لغيرك، فإن لم أسجد لا بد من الرجوع إلى الأصل، لأنك خلقتني من النار، والنار ترجع إلى النار، ولك التقدير والاختيار، تيقنت أن القرب والبعد واحد!!" ثم يستطرد الحلاج قائلا ً:

"التقى موسى وإبليس على عقبة الطور، فقال له: يا إبليس ما منعك عن السجود؟ قال: منعني الدعوة بمعبود واحد، ولو سجدت له لكنت مثلك، فإنك نوديت مرة واحدة.. انظر إلى الجبل.. فنظرت، ونوديت أنا ألف مرة أن أسجد فما سجدت لدعواي بمعناي، فقال: تركت الأمر؟ قال: كان ذلك ابتلاء لا أمراً، فقال له: لا جرم قد غير صورتك. قال: يا موسى ذا وذا تلبيس، والحال لا يعول عليه فإنه يحول، لكن المعرفة صحيحة كما كانت وما تغيرت وإن الشخص قد تغير.

فقال موسى: الآن تذكره؟ فقال: يا موسى الفكرة تذكر، أنا مذكور وهو مذكور، ذكره ذكري، وذكري ذكره، وهل يكون الذاكرون إلا معاً" .

وتأكيد الصوفية على القول بالحلول التي جعلتهم يتشبهون بصفات الله جعلهم يصلون في النهاية الى القول "بوحدة الوجود" التي تعني في العقيدة الصوفية انه ليس هناك موجود إلا الله سبحانه وتعالى فليس غيره في الكون، وما هذه الظواهر التي نراها إلا مظاهر لحقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية. ويؤمن الصوفية بهذه العقيدة حتى يومنا هذا ، فكل ما يعبد من دون الله فهو الحق لأنه ليس ثم إلا الله ، وعلى هذه العقيدة الباطلة أيضاً صحح ابن عربي موقف السامري، وصناعته للعجل الذي فتن به بنو إسرائيل، فعبدوه من دون الله، وخطأ ابن عربي هارون عليه الصلاة والسلام، لأنه ما عرف الحق، وأنكر على بني إسرائيل، وزعم ابن عربي أن موسى عرف الحق وأنكر على السامري أن يحصر الإله في شيء واحد فقط، لأن عين كل شيء هي عين الإله، وهي عين الحق (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

يقول ابن عربي في ذلك: "ثم قال هارون لموسى عليه السلام: (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل) فتجعلني سبباً في تفريقهم، فإن عبادة العجل

Modifier avec WPS Office

فرقت بينهم، فكان منهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليداً له، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه عن ذلك، فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه، فكان موسى أعلم بالأمر من هارون، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه أن الله قضى ألا يعبد إلا إياه.. وما حكم الله بشيء إلا وقع.. فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء" أ.هـ (الفصوص ص192).

فانظر كيف زعم أن موسى علم أن أصحاب العجل ما عبدوا إلا الله، لأن الله قال: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه} ، فجعل هذا القضاء قضاء كونياً قدرياً، وأن الله ما حكم بشيء إلا وقع، ومعنى هذا عنده أن كل معبود في الأرض إنما هو الله، وما عبد الإنسان شيئاً حجراً أو غيره إلا عبد الله، مستدلا ً بالآية السالفة بمعنى حكم وأمر، وهذا الحكم والأمر في الحقيقة حكم شرعي، فمن هداه الله ووفقه إليه امتثله. ومن اتبع سبيل الغواية والشيطان انحرف ومال عنه .

والنار التي أعدها الله للكفار هي دار سعادة عند ابن عربي، لا دار شقاوة وعذاب، فها هو يقول :

"وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد، فالأمر واحد وبينهما عند التجلي تباين

يسمى عذاباً من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صاين"

(الفصوص ص94)

فانظر كيف جعل نعيم النار كنعيم الجنة، لأن الأمر واحد في زعمه، وأن العذاب من العذوبة، وأن النار قشرة تخفي وراءها النعيم المقيم لأهل النار.

وقال في (الفصوص ص76-77): "ومن أسمائه الحسنى العلي، على من.. وما ثم إ لا هو؟ فهو العلي لذاته. أو عن ماذا. وما هو إلا هو؟ فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات "

ثالثاً :عقيدة الصوفية في الرسول صلى الله عليه وسلم:

يعتقد الصوفية في الرسول صلى الله عليه وسلم عقائد شتى فمنهم من يزعم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصل الى مرتبتهم وحالهم، وانه كان جاهلا بعلوم رجال التصوف كما قال البسطامي: "خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله" ومن هذا قول قائلهم :

مقام النبوة في برزخ فويق ارسول ودون الولي

Modifier avec WPS Office

ومنهم من يعظم الرسول صلى الله عليه وسلم الى درجة الوصول الى الألوهية حيث يعتقد البعض من الصوفية ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو قبة الكون وهو الله المستوي على العرش وأن السماوات والارض والعرش والكرسي وكل الكائنات خلقت من نوره وانه اول موجود وهو المستوي على عرش الله وهذه عقيدة ابن عربي ومن جاء بعده.

رابعاً :عقيدة الصوفية في الاولياء:

يرى الصوفية ان الولي هو: "من يتولى الله سبحانه امره فلا يكله الى نفسه لحظة، ومن يتولى عبادة الله وطاعته، فعبارته تجري على التوالي من غير ان يتخللها عصيان" وحقيقة الولي عند الصوفية انه يسلب من جميع الصفات البشرية ويتحلى بالاخلاق الالهية ظاهرا وباطنا ، ويصل الى المساواة مع الله سبحانه وتعالى حيث يعتقد الصوفية في الأولياء بأن لهم القدرة على انزال المطر وشفاء ا لأمراض واحياء الموتى وحفظ العالم من الدمار. ولا شك ان هناك آثارا خطيرة تترتب على هذه العقيدة من اهمها الوقوع في شرك الربوبية والعياذ بالله.

خامساً : عقيدة الصوفية في الجنة والنار:

الصوفية يعتقدون ان طلب الجنة والفرار من النار ليس هدفا ، فالله يعبد لذاته حيث يزعم المتصوفة ان العبادة الحقة هي ما كانت دون طلب العوض من الله وان يشهد فيها فعل الله لا فعل العبد، وان من شاهد فعله في الطاعة فقد جحد. و الصوفية يعتقدون ان طلب الجنة منقصة عظيمة وانه لا يجوز للولي ان يسعى اليها ولا ان يطلبها ومن طلبها فهو ناقص، وانما الطلب عندهم والرغبة في الفناء (المزعوم) في الله، والاطلاع على الغيب والتعريف في الكون.. هذه جنة الصوفي المزعومة. واما النار فإن الصوفية يعتقدون ايضا ان الفرار منها لا يليق بالصوفي الكامل لان الخوف منها طبع العبيد وليس الاحرار،

روى الكلاباذي أنه دخل جماعة على رابعة العدوية يعودونها من شكوى، فقالوا: ما حالك؟ قالت: والله ما أعرف لعلتي سبباً، غير أني عرضت على الجنة فملت بقلبي إليها، فأحسب أن مولاي غار علي، فعاتبني فله العتبى". ومعنى هذا أن مجرد ميل القلب إلى الجنة يعتبره المتصوفة ذنباً يعاقبون عليه.

وقد يظن من لاعلم عنده أن هذه العقيدة في الجنة عقيدة سامية، وهي أن يعبد الإ نسان الله، لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار، ولكنها عقيدة غير صحيحة إذ هي مخالفة لعقيدة الكتاب والسنة ، فقد وصف الله حال الأنبياء في عبادتهم وتقربهم ودعائهم بأنهم كانوا {ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين}، والرغب هو الطمع في جنة الله وفضله، والرهب هو الخوف من عقابه، والأنبياء هم أكمل الناس عقيدة وإيماناً ، وكذلك وصف تبارك وتعالى أكمل المؤمنين إيماناً بقوله تعالى: {إنما

Modifier avec WPS Office

يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكّروا بها خروا سجداً وسبّحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون* تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون* فلا تعلم نفسٌ مّا أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون}. ولما ق ال أحد الأعراب للنبي صلى الله عليه وسلم: والله إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، وإنما أقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار؛ فقال صلى الله عليه وسلم: [حولها ندندن] .

وهذه الحالة التي سعى المتصوفة إلى تحقيقها، أعني عبادة الله مجردة عن الطمع والخوف جرت عليهم البلايا: فقد سعوا إلى غاية أخرى بالعبادة وهي القول بالفناء في الرب، وجرهم هذا إلى الجذب، ثم جرهم هذا إلى الحلول، ثم جرهم هذا في النهاية إلى وحدة الوجود .

سادساً : الشريعة الصوفية في العبادات:

يعتقد الصوفية أن الدين شريعة وحقيقة ، والشريعة هي الظاهر من الدين وأنها الباب الذي يدخل منه الجميع ، والحقيقة هي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفون الأخيار ، ولابد في التصوف من التأثير الروحي الذي لا يأتي إلا بواسطة الشيخ الذي أخذ الطريقة عن شيخه .

ويعتقد غلاتهم ان الصلاة والصوم والحج والزكاة عبادات العوام وأما هم فيسمون انفسهم الخاصة ولذلك فعباداتهم مخصوصة وان تشابهت ظاهرا . واذا كانت العبادات في الاسلام لتزكية النفس وتطهير المجتمع فإن العبادات في التصوف هدفها ربط القلب بالله تعالى للتلقي عنه مباشرة حسب زعمهم والفناء فيه واستمداد الغيب من الرسول صلى الله عليه وسلم والتخلق باخلاق الله حتى يقول الصوفي للشيء كن فيكون ويطلع على اسرار الخلق، ولا يهم في التصوف ان تخالف الشريعة الصوفية ظاهر الشريعة الاسلامية، فالمحرمات واختلاط النساء ب الرجال في الموالد وحلقات الذكر كل ذلك لا يهم لأن للولي شريعته تلقاها من الله مباشرة.

سابعاً : منهج الصوفية في التربية:

لعل اخطر ما في الشريعة الصوفية هو منهجهم في التربية حيث يستحوذون على عقول الناس ويلغونها وذلك بادخالهم في طريق متدرج يبدأ بالتأنيس ثم بالتهويل والتعظيم بشأن التصوف ورجاله ثم بالتلبيس على الشخص ثم الدخول الى علوم التصوف شيئا فشيئا ثم بالربط بالطريقة وسد جميع الطرق بعد ذلك للخروج.

ثامناً :الخضر عليه السلام في الفكر الصوفي:

قصة الخضر عليه السلام التي وردت في القرآن في سورة الكهف، حرف المتصوفة

Modifier avec WPS Office

معانيها واهدافها ومراميها وجعلوها عمودا من اعمدة العقيدة (الصوفية) وجعلوا هذه القصة دليلا على ان هناك ظاهرا شرعيا، وحقيقة صوفية تخالف الظاهر وجعلوا انكار علماء الشريعة على علماء الحقيقة امرا مستغربا، وجعل الصوفية الخضر عليه السلام مصدرا للوحي والالهام والعقائد والتشريع، ونسبوا طائفة كبيرة من علومهم التي ابتدعوها الى الخضر وليس منهم صغير او كبير ممن دخل في طريقهم الا وادعى لقيا الخضر والأخذ عنه.

ومن هنا يتحدث الصوفيون عن العلم اللدني الذي يكون في نظرهم لأهل النبوة و الولاية ، كما كان ذلك للخضر عليه الصلاة والسلام ، حيث أخبر الله تعالى عن ذلك فقال : ((وعلمناه من لدنا علماً)) .

تاسعاً :اذكار الصوفية:

الاذكار الشرعية حظيت بالبيان والتوضيح فلم يترك الرسول مجالا من مجالات الذكر الا وبين الصيغة التي يتعين على المسلم ذكرها، ولكن الصوفية خرقوا كل الضوابط والثوابت الشرعية فشرعوا من عندهم اذكارا وصلوات لم ترد في الشريعة الاسلامية وخير مثال على ذلك افضل ذكر ورد عن النبي "لا اله الا الله" فالصوفية يذكرون اسم الله مفردا بقولهم "الله الله الله" او مضمرا بقولهم "هو، هو، هو" وبعضهم فسر ذلك بقوله اخشى ان تقبض روحي وأنا اقول "لا إله...." ومن الصلوات التي ابتدعها المتصوفة صلاة الفاتح التي تقول: "اللهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق، والخاتم لم سبق، وناصر الحق بالحق...." الى آخره من ابتداع الصوفية، وهناك ورد اطلق عليه المتصوفة جوهرة الكمال وهي من أورادهم اللازمة التي لها حكم الفرض العيني ونصه "اللهم صلي وسلم على عين الرحمة الربانية، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني، ونور الأكوان المتكونة...." الى آخر الخزعبلات التي ليس امام اي مسلم الا أن يحوقل ويسترجع ويتعوذ من المكر .

عاشراً :عبادة الله بالغناء بدعة يهودية:

في المجتمع الصوفي يتفشى ما يسمى بالسماع والتغني بالاشعار مع دق الطبول وهذا يقصد به الصوفية عبادة الله تعالى، ويتضح تأثر الصوفية به الا ان كثيرا من الذين بحثوا في هذا الجانب يؤكدون على ان الصوفية يتأثرون بالسماع من خلال الالحان والاشعار والطبول أكثر من تأثرهم بالقرآن يقول الشعراني: "وكان اذا سمع القرآن لا تقطر له دمعة، واذا سمع شعرا قامت قيامته"..

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية "ولو كان هذا ـ يقصد سماع الاشعار ـ وضرب الدفوف كعبادة ـ مما يؤمر به ويستحب وتصلح به القلوب للمعبود لكان ذلك مما دلت الأدلة الشرعية عليه" ويضيف "انما عبادة المسلمين الركوع والسجود اما العبادة بالرقص

Modifier avec WPS Office

وسماع الاغاني بدعة يهودية تسربت الى المنتسبين الى الاسلام".

حادي عاشر : تقديس الاموات في الفكر الصوفي:

ان من ألوان تقديس الأموات والغلو فيهم ان يعتقد ـ وهذا ما يفعله المتصوفة ـ ان الميت وليا كان ام نبيا لابد ان يرجع الى الدنيا، وانه متى ما اراد ان يعود الى بيته عاد وكلم اهله وذويه، وتفقد اتباعه ومريديه، وربما اعطاهم اورادا الى غير ذلك مما يعبر عن عقيدة موغلة في الجهل بعيدة عن عقيدة الاسلام الصافية.

ومظاهر عقيدة الرجعة عند الصوفية تتمثل في اعتقادهم بامكان مقابلة الرسول بعد موته يقظة وانه صلى الله عليه وسلم يحضر بعض اجتماعات الصوفية وانه مازال يعطي بعض المعارف والتشريعات لمن يشاء من العباد.

ويوغل المتصوفة كثيرا في تقديس الاموات وهذا يتضح من خلال تقديس المشاهد والبناء على القبور وتجصيصها واتخاذها مساجد، وقد تساهل المسلمون في ذلك كثيرا حتى نجد انها عمت كثيرا من بلاد المسلمين دون وعي بنتائج ذلك والتي من اهمها: ان تقديس المشاهد والبناء على القبور صار شائعا وكأنه معلم من معالم الدين الاسلامي، وان تقديسها ذريعة الى الشرك، حيث ادى البناء على القبور وتعليتها وتزيينها الى اتخاذها معابد وشرعت لها مناسك كمناسك الحج، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذرنا من ذلك أشد التحذير فقال : " لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " وقال : "اللهم لاتجعل قبري وثناً يعبد " ،كذلك فان تقديس المشاهد اساءة للاسلام عند من لاعلم به بتعاليمه، فنجد ان وسائل الاعلام الحاقدة على الاسلام تنقل وتقدم هذا التقديس على انه صورة الاسلام!! وبالتالي ما الفرق بين عبدة الأوثان والصليبيين وهؤلاء؟ كما يضاف الى نتائج اتخاذ القبور وتقديس المشاهد هو انتشار البطالة في العالم الاسلا مي بسبب العكوف على القبور واتخاذها مصدرا اقتصاديا.

ثاني عشر : الكرامات عند الصوفية:

إن اول انحراف صوفي يلقاه الباحث عندما يقرأ اي كتاب من كتب التراث الصوفي هو اعتمادهم الكلي على الخوارق، واهتمامهم في مناهجهم على المبالغة في نشر خوارق الشيوخ، وتركيزهم على اختلاق قصص خيالية، واساطير كثيرة بالية ليرفعوا بها ما للشيوخ والأولياء من مكانة ومنزلة في نفوس الاتباع، ويحملوهم على الاذعان لهم وتقديسهم وتعظيمهم لدرجة العبادة فكان من نتائج هذا الاهتمام ان حملوا شيوخهم على طرق كل باب بحثا عن الخوارق لعلمهم ان الصوفي كل ما كان اكثر خوارق واشد اتصافا بالمدهشات كان اعظم عند الناس في باب الولاية و القرب.

Modifier avec WPS Office

ومن الصور الحسية لاهتمام الصوفية بموضوع الكرامات: يقول السراج الطوسي في كتابه اللمع لاثبات الآيات والكرامات: "من زهد في الدنيا اربعين يوما صادقا من قلبه مخلصا في ذلك، ظهرت له الكرامات" ويذكر القشيري في رسالته على خوارق شيوخ الصوفية عندما سرد غرائب احوالهم وقدراتهم على التعرف، و الصوفية يبادرون الى نسبة كل غريب صادر من شخص معروف او مجهول بانه كرامة ولي، ويعترفون انهم يعتمدون على الجن في كثير من خوارقهم حيث نقل عن الجنيد ان الجن كانت تؤنسه وتعينه في اسفاره وغيرها.

وانصار الفكر الصوفي لا يتصورون ولاية دون خوارق فقد ركبوا كل صعب وذلول وطرقوا كل باب مسدود، وذهبوا كل مذهب في سبيل نسج القصص واختلاق الروايات، وجمع الاساطير، ظنا منهم بان ذلك جالب للاحترام وموجب للتقديس عند الخاص والعام.

وفيما يلي بعض كرامات اولياء التصوف المعروفة في كتبهم، وذلك حتى يعلم الى اي مدى وصل الخيال والدجل بهؤلاء، وكيف ان الحرص على الجاه، وكسب تقديس الآخرين يمكن ان يقضي على الحياء والمروءة وكل القيم.

يتحدث الشعراني عن أحد الاولياء اذا شاوره انسان في شيء، قال: امهلني حتى اسأل جبريل، ثم يقول له بعد ساعة: افعل او لا تفعل حسب ما يقول له جبريل بزعمه!.. وعن ولي آخر يدعي ان الله لا يحدث شيئا في العالم الا بعد ان يعلمه بذلك على سبيل الاستئذان!.. وهناك ولي آخر من المجاذيب تبعه جماعة من الصبيان يضحكون عليه فقال: ياعزرائيل ان لم تقبض ارواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة، فأصبحوا موتى أجمعين!.. ومن قصصهم المستغربة التي لا تروج الا على الجهلة والمهووسين أن وليا من أوليائهم كان يختم القرآن 360 ألف ختمة في اليوم والليلة! وهذا الكلام لولا أن العقول قد خدرت فكريا وان النفوس قد مسخت وان القلوب قد طبع عليها بخاتم الجهل وقلة الحياء ما كان ليصدق فيدون في كتب الكرامات، فان اليوم والليلة زمن يمتد 24 ساعة اي 1440 دقيقة فاذن 360 الف ختمة ÷ 1440 دقيقة = 250 ختمة في كل دقيقة!! فأين العقول؟!

ومن أعجب كراماتهم المدونة ما يتعلق بحياتهم الخاصة فنجدهم مثلا يتحدثون عن ولي مكث اربعين سنة لم يأكل ولم يشرب، وآخر ينام سبع عشرة سنة! وآخر يقول لعصاه التي يتوكأ عليها: كوني انسانا، فتكون انسانا فيرسلها تقضي له الحوائج ثم تعود كما كانت! وأن أحد أوليائهم امر الشمس بالوقوف فوقفت، حتى قطع المرحلة الباقية من سفره، ثم امرها بالغروب، فغربت واظلم الليل في الحال!

والقصد من الاستشهاد بتلك الأمثلة للتدليل على المخازي التي ابتليت بها امة الاسلام وغزاها اعداؤها في عقر دارها بهذا الفكر الذي سرعان ما حول تلك العقلية الاسلامية الايجابية المبدعة الى عقلية خرافية خامدة مقهورة، فصار المسلمون

Modifier avec WPS Office

يعيشون في احلك الظلم، الا من هداه الله للتمسك بالسنة وقليل ماهم.

ان من المعروف عند المسلمين ان الكرامة لا تكون معصية لله ولا مخالفة للشريعة ولكن اصحاب الفكر الصوفي لا تنحصر كراماتهم في مجال الطاعات ولا تتقيد بـ الصالحات، فلا مانع عندهم ان تكون الكرامة خارقة لقواعد الشريعة الاسلامية هاتكة لحرمتها وهناك نماذج لذلك من اهمها: كرامة السرقة والتزوير يقول الدباغ: "ان الولي صاحب التصرف يمد يده الى جيب من شاء فيأخذ منه ما شاء من الدراهم، وذو الجيب لا يشعر" وكرامة الرقص مع الأجنبيات وكرامة مباشرة الا جنبيات والاطلاع على العورات، وكرامة التعري امام الناس ويذكر الشعراني في ترجمة شيخ اسمه ابراهيم العريان لأنه كان يطلع المنبر ويخطب عريانا! وكرامة اعـ لان الكفر على المنابر!

وكل هذا بالطبع خلاف الولاية في الإسلام التي تقوم على الدين والتقوى ، وعمل الصالحات ، والعبودية الكاملة لله والفقر إليه ، وأن الولي لا يملك من أمر نفسه شيئاً فضلا ً عن أنه يملك لغيره ، قال تعالى لرسوله : ((قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً)) .

ثالث عشر : عقيدتهم في الفناء :
الفناء عندهم على ثلاث درجات :
فناء عن إرادة السوى : وهو توحيد العامة .
فناء عن شهود السوى : وهو توحيد الخاصة .
فناء عن وجود السوى : وهو توحيد خاصة الخاصة ، حيث يختفي نهائياً عن شعور العبد بذاته ويفنى المشاهد فينسى نفسه وما سوى الله ، ويقول القشيري : الاستهلاك بالكلية يكون ((لمن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الغبار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً)) ، ويعتبر أبويزيد البسطامي أول داعية في الإسلام إلى هذه الفكرة ، حيث الاستهلاك في الله بالكلية .
يقول ابن تيمية : ((الثالث : فناء وجود السوي ، بمعنى أنه يرى الله هو الوجود وأنه لاوجود لسواه ، لابه ولا بغيره ، وهذا القول للاتحادية الزنادقة من المتأخرين كالبلياني والتلمساني والقونوي ونحوهم ، الذين يجعلون الحقيقة أنه غير الموجودات وحقيقة الكائنات ، وأنه لاوجود لغيره ، لا بمعنى أن قيام الأشياء به ووجودها به لكنهم يريدون أنه عين الموجودات ، فهذا كفر وضلال))

ثالث عشر :الاستغاثة بغير الله :

يستخدم الصوفيون لفظ (الغوث والغياث) وقد أفتى ابن تيمية : ((فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله ، فهو غوث المستغيثين ، فلا يجوز لأحد الا ستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل)) .

Modifier avec WPS Office

رابع عشر : ومن شطحاتهم :

- سلك بعضهم طريق تحضير الأرواح معتقداً بأن ذلك من التصوف ، كما سلك آخرون طريق الشعوذة والدجل ، وقد اهتموا ببناء الأضرحة وقبور الأولياء وإنارتها وزيارتها والتمسح بها ، وكل ذلك من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان .

- يقول بعضهم بارتفاع التكاليف – إسقاط التكاليف – عن الولي ، أي أن العبادة تصير لالزوم لها بالنسبة إليه ، لأنه وصل إلى مقام لا يحتاج معه إلى القيام بذلك ، ولأنه لو اشتغل بوظائف الشرع وظواهره انقطع عن حفظ الباطن وتشوش عليه با لالتفات عن أنواع الواردات الباطنية إلى مراعاة الظاهر .

- وينقل عن الغزالي انتقاده لمن غلبه الغرور ، ويعدد فرقهم :

1- فرقة اغتروا بالزي والهيئة والمنطق .

2- وفرقة ادعت علم المعرفة ، ومشاهدة الحق ، ومجاوزة المقامات والأحوال .

3- وفرقة وقعت في الإباحة ، وطووا بساط الشرع ، ورفضوا الأحوال ، وسووا بين الحلال والحرام .

4 -وبعضهم يقول : الأعمال بالجوارح لاوزن لها وإنما النظر إلى القلوب ، وقلوبنا و الهة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله ، وإنما نخوض في الدنيا بأيدينا ، وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية ، فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب - لقد أجمعت كل طرق الصوفية على ضرورة الذكر ، وهو عند النقشبندية لفظ الله مفرداً ، وعند الشاذلية لا إله إلا الله ، وعند غيرهم مثل ذلك مع الاستغفار والصلاة على النبي ، وبعضهم يقول عند اشتداد الذكر : هو هو ، بلفظ الضمير . وفي ذلك يقول ابن تيمية : ((وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له ، فضلا ً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين ، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع و الضلالات ، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الا تحاد)) .

ويقول أيضاً : ((من قال : ياهو ياهو ، أو هو هو ، ونحو ذلك ، لم يكن الضمير عائداً إلا إلى مايصوره القلب ، والقلب قد يهتدي وقد يضل)) .

- قد يأتي بعض المنتسبين إلى التصوف بأعمال عجيبة وخوارق ، وفي ذلك يقول ابن تيمية : ((وأما كشف الرؤوس ، وتفتيل الشعر ، وحمل الحيات ، فليس هذا من شعار أحد من الصالحين ، ولامن الصحابة ، ولا من التابعين ، ولا شيوخ المسلمين ، ولا من المتقدمين ، ولا من المتأخرين ، ولا الشيخ أحمد بن الرفاعي ، وإنما ابتدع هذا بعد موت الشيخ بمدة طويلة)) .

Modifier avec WPS Office

- ويقول أيضاً : ((وأما النذر للموتى من الأنبياء والمشايخ وغيرهم أو لقبورهم أو المقيمين عند قبورهم فهو نذر شرك ومعصية لله تعالى)) .

- ويقول أيضاً : ((وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشايخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه))

- ويقول أيضاً : ((وأما مؤاخاة الرجال والنساء الجانب وخلوتهم بهن ، ونظرهم إلى الزينة الباطنة ، فهذا حرام باتفاق المسلمين ، ومن جعل ذلك من الدين فهو من إخوان الشياطين))

خامس عشر : التنفير من الطريق الشرعي للهداية

لما كان الدخول في الطريق الصوفي لا يشترط له التوجه إلى الكتاب والسنة، بل إن التوفيق له يأتي أحياناً عن طريق الهاتف ، فإن القوم منذ نشأتهم رأوا أن علمهم الذي يحصلون عليه -في زعمهم- أفضل من علم الكتاب والسنة، بل رأوا أن علم الكتاب والسنة مشغلة عن طريقهم ومسلكهم، وهذه بعض عباراتهم :

أ- قال أبو يزيد البسطامي ناعياً على علماء الشريعة مفاخراً لهم: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان وأين هو؟ قالوا: مات" (الفتوحات المكية ج1-ص365).

ب- وهذا الجنيد يقول: "ما أخذنا التصوف عن القيل والقال" (طبقات السلمي 158).

ج- ويقول أيضاً: "أحب للمبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث، وإلا تغيرت حاله: التكسب وطلب الحديث والتزوج، وأحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه" (قوت القلوب:135/3).

د- وقال أبو سليمان الداراني: "إذا طلب الرجل الحديث، أو سافر في طلب المعاش، أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا" (الفتوحات المكية 37/1).

وهذه أقوال قليلة مما نسب إلى القوم في وجوب ترك علم الشريعة، والانصراف إلى طريقهم الخاص في التلقي والكشف ، ولا يخفى على أي منصف يتقي الله تبارك وتعالى، ويقول كلمة الحق أن هذه الأقوال كافية في هدم الشريعة الإسلامية ، بل في هدم العمران كله، لأن الحضارة الإنسانية حتى المادية منها لا تقوم إلا على هذه الثلاث: العلم، وطلب الكسب والمعاش، والزواج. وحضارة الإسلام خاصة تقوم على هذه الثلاث، وتأمر بطلب علم الآخرة وهو علم الكتاب والسنة، وكذلك علم الدنيا وهو كل علم نافع لحياة الإنسان ورقيه في هذه الأرض.

Modifier avec WPS Office

ولم يكتف أهل هذا المنهج من المتصوفة بالتنفير من علم الشريعة والحديث بل جعلوا كشفهم، وما حاكماً على إسناد الحديث فيصححون ما شاؤوا من الأحاديث ، وإن كانت ضعيفة عند علماء الحديث والسنة، ويضعفون ما شاؤوا منها، وإن كانت ثابتة صحيحة حسب الموازين العلمية الدقيقة

يقول ابن عربي في رسائله: "وربما قالوا (أي علماء الشريعة) إذا عاينوهم (أي عاينوا علماء الصوفية) يتكلمون بمواجيدهم مع أصحابهم: دين مكتوم، دين مشوم ، وما عرفوا جهات الدين. وهؤلاء ما تكتموا بالدين فقط، وإنما تكتموا بنتائجه، وما وهبهم الحق تعالى في طاعته حين أطاعوه، وبما صح عندهم من أحاديث الأحكام ما اتفق على ضعفه، وتجريح نقلته، وهم أخذوه عن الكشف ، عن قائله صحيحاً، فتعبدوا به أنفسهم على غير ما تقرر عند علماء الرسوم، فينسبونهم إلى الخروج عن الدين، وما أنصفوا فإن للحق وجوهاً يوصل إليه منها هذا أحدها، ورب حديث قد صححوه واتفقوا عليه، وليس بصحيح عندهم من طريق الكشف، ويتركون العمل به مثل ذلك سواء" (رسائل ابن عربي:ص4).

ومعنى هذا كله أن للمتصوفة حكمهم الخاص على إسناد الحديث، فعن طريق الكشف يتصلون رأساً بالنبي ويصححون الحديث أو يضعفونه .

سادس عشر :الحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي :

يزعم الصةفية أن "الحقيقة المحمدية" أول الموجودات وهي التي استوت على العرش الإلهي. فيجعلون ما حدثنا الله سبحانه وتعالى به عن نفسه من أنه خالق الخلق، وأنه المستوي على العرش.. يلوي المتصوفة كل ذلك وينقلون كلام الفلا سفة الملحدين في أسلوب جديد بغطاء إسلامي وآيات قرآنية فيقولون إن ذات محمد هي أول ذات تكونت من الهباء وهي التي استوت على العرش الإلهي. ومن نور هذه الذات خلق الله الخلق جميعاً بعد ذلك فالملائكة والسماوات والأرض كل ذلك قد خلق من نور الذات الأولى وهي الذات المحمدية عند ابن عربي، وهي نظير قول القلاسفة في العقل الفعال ، وهكذا استطاع المتصوفة أن ينقلوا ترهات الفلا سفة وتخيلاتهم المريضة إلى دنيا المسلمين وعقائدهم .

يقول أحمد بن مبارك السلجماسي في كتابه الأبريز : " أن أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملا ئكتها ثم خلق اللوح ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش والأرواح والجنة والبرزخ أما العرش فإنه خلقه تعالى من نور وخلق ذلك النور من النور المكرم نور نبينا ومو لانا محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه أي العرش ياقوتة عظيمة لا يقاس قدرها وعظمها وخلق في وسط هذه الياقوتة جوهرة فصار مجموع الياقوتة والجوهرة كبيضة بياضها هو الياقوتة وصفارها هو الجوهرة ثم إن الله تعالى أمد تلك الجوهرة وسقاها بنوره صلى الله عليه وسلم فجعل يخرق الياقوتة ويسقي

Modifier avec WPS Office

الجوهرة فسقاها مرة ثم مرة ثم مرة إلى أن انتهى إلى سبع مرات فسالت الجوهرة بإذن الله تعالى فرجعت ماء ونزلت إلى أسفل الياقوتة التي هي العرش ثم إن النور المكرم الذي خلق العرش إلى الجوهرة التي سالت ماء لم يرجع فخلق الله منه ملا ئكة ثمانية وهم حملة العرش فخلقهم من صفائه وخلق من ثقله الريح ... فخلق الله منه الأرضين السبع ودخل الماء بينها والبحور .. ثم إن الله تعالى خلق ملائكة ا لأرضين من نوره صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يعبدوه عليها وخلق ملائكة السماوات من نوره صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يعبدوه عليها، وأما الأرواح و الجنة إلا مواضع منها فإنها أيضاً خلقت من نور وخلق ذلك النور من نوره صلى الله عليه وسلم، وأما البرزخ فنصفه الأعلى من نوره صلى الله عليه وسلم فخرج من هذا أن القلم واللوح ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملا ئكة السماوات والأرضين كلها خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم بلا وساطة وأن العرش والماء والجنة والأرواح خلقت من نور خلق من نوره صلى الله عليه وسلم ثم بعد هذا فلهذه المخلوقات أيضاً سقي من نوره صلى الله عليه وسلم أما القلم فإنه سقي سبع مرات سقياً عظيماً وهو أعظم المخلوقات بحيث إنه لو كشف نوره لجرم الأرض لتدكدكت وصارت رميماً وكذا الماء فإنه سقي سبع مرات ولكن ليس كسقي القلم وأما العرش فإنه سقي مرتين مرة في بدء خلقه ومرة عند تمام خلقه لتستمسك ذاته وكذا الجنة فإنها سقيت مرتين مرة في بدء خلقها ومرة بعد تمام خلقها لتستمسك ذاتها وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا سائر المؤمنين من ا لأمم السابقة ومن هذه الأمة فإنهم سقوا ثماني مرات بنوره صلى الله عليه وسلم ...الخ تلك الترهات. (الأبريز ص224،225) ، وهذا الهذيان الكامل، شرح لعقيدة الصوفية فيما يسمونه بالحقيقة المحمدية، وأنها الذات الأولى التي انطلقت منها بعد ذلك كل الذوات والكائنات والموجودات.

وإلى هذه العقيدة يشير البوصيري في بردته التي سارت بها الركبان بقوله:

وإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وقوله:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم

وهذا البيت يعبر عن معتقد الصوفية في أن علم الرسل كله من الرسول محمد مأخوذ من ذاته الأولى قبل أن تخلق ذاته الترابية كما يقولون. والبيت الأول يجعل الدنيا والآخرة نفحة من نفحات الرسول، وما سطره القلم ووعاه اللوح المحفوظ جزء وبعض من علوم الرسول صلى الله عليه وسلم..

وأين هذا من قوله صلى الله عليه وسلم [لن يدخل أحدكم الجنة بعمله] قالوا ولا أنت يا رسول الله. قال [ولا أنا ما لم يتغمدني الله برحمة منه وفضل] وقوله تعالى

Modifier avec WPS Office

{ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً} وقوله تعالى: {ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً}

سابع عشر : الغيب في الفكر الصوفي :

من أصول الدين أن تعتقد أن الغيب علمه لله تعالى وحده سبحانه وتعالى وأنه يطلع وسبحانه تعالى على ما شاء من الغيب من شاء من أنبيائه ورسله فقط وأن ا لأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله إياه كما قال سبحانه وتعالى لرسوله: {قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} وقال جل وعلا: {ع الم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً* إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً* ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً}.وأمر رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه ليس ملكاً ولا يملك خزائن الله ولا يعلم الغيب قال تعالى: {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي} .

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله].

فهذه الآيات والأحاديث ومثلها كثير جداً قاطع بأنه لا يعلم أحد في السماوات والأ رض الغيب إلا الله لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وأنه لا يعلم أحد من هؤلاء الغيب إلا ما أطلعه الله سبحانه عليه

ولكن الصوفية عمدوا إلى هذا الأصل الأصيل من أصول الدين فهدموا بل اقتلعوا جذوره من قلوب من يسير في طريقهم وينتهج منهجهم هذا الأصل ، فأقاموا شيئاً سموه (الكشف الصوفي) وهو يعني عندهم رفع الحجب أمام قلب الصوفي وبصره ليعلم ما في السماوات جميعاً، وما في الأرض جميعاً، فلا تسقط ورقة إلا بنظره ولا تقع قطرة ماء من السماء إلا بعلمه ولا يولد مولود، أو يعقد معقود، أو يتحرك ساكن أو يسكن متحرك إلا بعلم الصوفي

لقد ترقى المتصوفة في قضية الكشف عندهم فزعموا أولا ً أن الصوفي يكشف له معان في القرآن والحديث لا يعلمها علماء الشريعة الذين سموهم بعلماء الظاهر والقراطيس والآثار التي ينقلونها عن الموتى..، وأما هم فيلتقون بالرسول صلى

Modifier avec WPS Office

الله عليه وسلم يقظة أحياناً، ومناماً أحياناً ويسألونه ويستفيدون منه هذه العلوم ثم ترقوا فقالوا إن لنا علوماً ليست في الكتاب والسنة نأخذها عن الخضر الذي هو على شريعة الباطن وهو الذي يمد الأولياء بهذه الشريعة، فموسى ومحمد والأنبياء على شريعة ظاهرة، وأما الخضر فهو على شريعة باطنة يجوز فيها ما لا يجوز في الظاهر، فقد قتل الغلام بغير ذنب، وكسر السفينة لمن حملهم بغير نوال، وبنى الجدار إحساناً منه لمن أساء إليهم.. ومثل هذا ينكره أهل الظاهر كما أنكره موسى، ونحن في الباطن على شريعة الخضر وهو يلتقي بنا ونتعلم منه علوماً خاصة ينكرها أهل الظاهر لجهلهم

ولقد وسع المتصوفة دائرة كشفهم هذه فزعموا أنهم يعلمون أسرار الحروف المقطعة من القرآن بطريق الكشف، وقصص الأنبياء يروونها على حقيقتها ويجتمعون بالأنبياء ويسألونهم عن تفاصيل قصصهم وما كان منهم.. فيفيدون فوائد كثيرة دونها كثيراً ما هو موجود فعلا ً في القرآن، وأما الجنة والنار، فهم وإياها دائماً رأي العين، بل هي ساقطة أصلا ً من عيونهم لأن النار وما النار، لو بصق أحدهم عليها لأطفأها كما قال أبو يزيد وغيره منهم.. وأما الجنة فالنظر إليها شرك وكفر لأنهم ينظرون إلى الله فقط..

ولذلك قال قائلهم معيباً على الصحابة عندما قرأ {منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة} قال.. أف.. أليس منكم أحد يريد الله..

ثامن عشر : قواعد التربية في المنهج الصوفي :

وضع المتصوفة لهم قواعد خاصة للتربية حسب منهجهم الصوفي فحددوا أهدافاً خاصة للتربية ووضعوا شروطاً في المريد (وهو اسم أطلقوه على الطالب أو المبتدئ) وشروطاً خاصة بشيخ الطريق، ومنازل يسير فيها السالك في دربهم

وأول ما يجب على مريد الطريق الصوفي أن يتخذ شيخاً له ليدله على الطريق .

يقسم القشيري – احد أئمتهم - علماء الإسلام إلى ثلاثة أقسام: علماء النقل والأثر، وهم حملة القرآن والحديث والسير وعمل الصحابة والقسم الثاني من سماهم بأرباب العقل والفكر ويعني بهم الفلاسفة والمتكلمين كالمعتزلة والأشاعرة ونحوهم والفريق الثالث المتصوفة ومدح هؤلاء ويقول إن حججهم أظهر وقواعدهم أقوى وأن ما هو غيب عند الآخرين هو شهادة عند المتصوفة يعني أن المتصوفة يشاهدون الله والجنة والنار عياناً ولا يحتاجون إلى الاستدلال بالقرآن والسنة كما هو شأن علماء الأثر، ولا بالأدلة العقلية كما هو حال علماء الكلام والمنطق والجدل.

ولقد كان الشأن في أول التصوف هو إلحاق المريد بركب المتصوفة أياً كانوا وكيفما كانوا، ولكن في العصور الحديثة أصبح التصوف دولا ً، وإمارات خاصة،

Modifier avec WPS Office

وإقطاعات دينية مستقلة، فالطريقة تدر على أصحابها وأربابها أرباحاً وفيرة ولذلك فلا بد من الاستحواذ على المريدين، وإدخالهم في سلك الطريقة الخاصة وعدم السماح لواحد منهم بتاتاً أن ينفلت من القيد الذي يوضع في رجليه والمقود الذي يوضع في رأسه وإلا ارتد عن دينه وعوقب بسوء الخاتمة. فالشيخ في الطريقة الصوفية ليس هو بتاتاً ما يعنيه الكتاب والسنة من اتخاذ المرشد والهادي والداعي إلى الله، وإنما هو التزام أبدي بطريقة خاصة ورجل خاص يقدسه حياً وميتاً. فشتان بين اتخاذ شيخ وإمام في دين الإسلام الصحيح واتخاذ شيخ صوفي ليكون رائداً للطريقة .

وليس كل شيخ يصلح أن يكون شيخاً في الطريق الصوفي بل لا بد أن يمر بمراحل الطريق من أولها إلى نهايتها، أو على الأقل أن يكون قد أخذ العهد من شيخ سابق أو والد له وقد أذن له الشيخ أو الأب بتسليك المريدين، وإدخالهم في الطريق وتلقينهم الأذكار الخاصة..، الخ.

وحتى تكون المشيخة الصوفية مشيخة معتبرة فقد اخترع المتصوفة قديماً شيئاً سموه السلسلة الصوفية وهذه السلسلة المزعومة هي عبارة عن سند مزعوم يتناقله الخلف عن أسلافهم زاعمين أن هذه السلسلة تنتهي (بالجنيد) الذي يسمونه سيد الطائفة .

وقد وضع المتصوفة آداباً أوجبوها على المريد والسالك في الطريق الصوفي منها :

- أن لا تخالف الشيخ مطلقاً فيما يأمرك به هذا هو المبدأ الأول للمريد، وأن تكون موافقة الشيخ بالقلب والجوارح فلا إنكار ولا مخالفة لشيء مما يقوله مطلقاً ولا اعتراض عليه بلسان أو بقلب وشعارهم دائماً: "كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي الغاسل"!!

يقول القشيري في بيان ما يجب على المريد: "ومن شروطه أن لا يكون بقلبه اعتراض على شيخه" (القشيرية ص182).

- ولا يجوز الإنكار على شيوخ التصوف أبداً ولو مع المنكر دليل. يقول أحمد بن مبارك السلجماسي : واعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق و الصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب. ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين!! ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه لأنه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه وحينئذ فكيف يسوغ الإنكار على من هذه صفته ويقال إنه خ الف مذهب فلان في كذا، إذا سمعت هذا فمن أراد أن ينكر على الولي المفتوح عليه لا يخلو إما أن يكون جاهلا ً بالشريعة كما هو الواقع غالباً من أهل الإنكار

Modifier avec WPS Office

وهذا لا يليق به الإنكار والأعمى لا ينكر على البصير أبداً" (الإبريز ص192).

- ولم يقتصر الأمر على طاعة الشيخ فيما لا فائدة منه ولا معقولية له بل تعدى الأمر ذلك إلى الاعتقاد أن للشيخ شريعته الخاصة، ودينه المستقل فله أن يشرب الخمر، أو يزني وليس لمريده أن يسأل عن شيء من ذلك. يقول السلجماسي أيضاً:

"قال محيي الدين العربي (رضي الله عنه) ومن شروط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه ونبيه منه ولا يزن أحواله بمسيرته أنه فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة يجب التسليم وكم من رجل كأس خمر بيده ورفعه إلى فيه وقلبه الله في فيه عسلا ً و الناظر يراه شرب خمراً وهو ما شرب إلا عسلا ً ومثل هذا " أ.هـ (الإبريز ص 202).

وهذا هو ما عليه عامة الصوفية بعد ابن عربي الذين يعتقدون أن للشيخ الصوفي (الكامل) أن يفعل ما يشاء من المعاصي ولا حرج عليه ولا يجوز أن يظن المريد خلاف الخير لأن الخمر التي يراها المريد خمراً تنقلب عينها في الشيخ فتكون له لبناً أو عسلا ً. أو أن الشيخ يشكل نفسه على النحو الذي يظهر منه الفسق والخروج على الشريعة ليؤدب المريدين ويعلمهم أن يثقوا بشيخهم ولو رأوه يفعل منكراً.

- وحتى يتم تذليل المريد تذليلا ً كاملا ً فإن شيخه يأمره بأوامر في غاية الغرابة بل فيها المعصية الواضحة والكفر الصريح أحياناً امتحاناً لطاعته، فإن تلكأ علم أنه غير صادق .

- ومن آداب المريد الصوفي مع شيخه أنه لا يجوز له أن يتحرك أو يسكن، أو يتصرف في نفسه أو ماله أو زوجته، أو سفره أو إقامته إلا بإذن شيخه، وأنه لا يجوز أن يجلس في مجلسه إلا بإذنه وأن يظهر قدمه أمام شيخه، أو يرفع صوته، أو يسأله من عند نفسه لأن الشيخ أعلم بما في نفس مريده فلا يجوز أن يبدأ بالسؤال، أو يستفسر عن إشكال وإنما ينتظر في كل ذلك ما يجود به شيخه.. لأنه في زعمهم هو أعلم بحاله ، وأن لا يحجب شيئاً من أسراره عن شيخه سواء كانت هذه الأسرار معاصي ارتكبها فإن الشيخ يتحملها عنه إذا أفضى بها إليه .

يقول القشيري (القشيرية ص186):"يجب عليه حفظ سره حتى عن زره إلا عن شيخه ولو كتم نفساً من أنفاسه عن شيخ فقد خانه في حق صحبته ولو وقع له مخالفة فيما أشار عليه شيخه فيجب أن يقر بذلك بين يديه في الوقت ثم يستسلم لما يحكم عليه شيخه عقوبة له على جنايته ومخالفته إما بسفر يكلفه أو أمر يراه"

وهذا أحمد بن المبارك صاحب كتاب الإبريز يصف حاله مع حال شيخه عبدالعزيز الدباغ فيقول: "وقد سمعت الشيخ (رضي الله عنه) يقول: الشيخ للمريد في درجة

Modifier avec WPS Office

لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإيمانه متعلق به، وسائر أموره الدنيوية والدينية وأرباب البصائر يشاهدون ذلك عياناً وكنت أخرج معه كثيراً رضي الله عنه وأنا لا أعرف درجته فكان يقول لي: مثلك مثل من يظل يمشي على عالي أسوار المدينة وشرفاتها مع ضيق المحل الذي تجعل فيه رجلك وبعد محل السقوط فلم أفهم معنى هذا الكلام إلا بعد حين فكان بعد ذلك إذا جرى هذا الكلام على خاطري يحصل لي منه روع عظيم وخوف شديد وقلت له ذات يوم: إني أخاف من الله تعالى من أمور فعلتها فقال لي: ما هي؟ فذكرت له ما حصل. فقال لي (رضي الله عنه): لا تخف من هذه الأشياء ولكن أكبر الكبائر في حقك أن تمر عليك ساعة ولا أكون في خاطرك فهذه هي المعصية التي تضرك في دينك ودنياك!! وقلت له ذات مرة: يا سيدي إني بعيد من الخير. فقال رضي الله عنه: اطرح عنك هذا وانظر إلى منزلتك عندي فعليها تحمل وكنا معه رضي الله عنه على حالة قل أن يسمع بمثلها لا ينزل أمر مهم أو غير مهم إلا ذكرناه له فيتحمله عنا عياناً ويريح خاطرنا منه بمجرد ذكره"

- وحتى يقفل مشايخ التصوف الطريق نهائياً أمام المريد حتى لا يحاول النكال من ربقته؛ فقد جعلوا الخروج من عهد الشيخ خروجاً من الإسلام. والعهد الصوفي يؤخذ على المبتدئ والمريد في أول الطريق بأن يلتزم بالدين ويتوب مما كان عليه ويقول: تبت إلى الله على يد الشيخ فلان، وعاهدت الله أن ألتزم طريقته وأن لا أبوح بسره إلا بإذن من الشيخ ، يقول القشيري :"ومن شأن المريد حفظ حدوده مع الله تعالى فإن نقض العهد في طريق الإشادة كالردة عن الدين لأهل الظاهر" أ.هـ (القشيرية ص186).

تاسع عشر : الولاية في الفكر الصوفي :

بين الله في كتابه في آيات كثيرة أن ولايته سبحانه وتعالى لكل مؤمن صالح متق لله ، قال تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون* الذين آمنوا وكانوا يتقون} .

ولكن في التصوف فإن الولاية لها معنى آخر ، فولي الله عند الصوفية من اختاره الله وجذبه إليه، وليس من شرط ذلك أن يكون عند هذا والمجذوب أية مواصفات للصلاح والتقوى إذ الولاية عندهم نوع من الوهب الإلهي دون سبب، وبغير حكمة، ويجعلون الولاية الكسبية هي ولاية العوام والولاية الحقيقية عندهم هي الولاية الوهبية،ولهذا جعلوا من بعض الفسقة والملاحدة من أهل وحدة الوجود، أولياء لله بمجرد أن ظهر على أيديهم بعض خوارق العادات ، ويستدلون لذلك بمثل قوله تعالى: {يختص برحمته من يشاء} فيقولون: الولاية اختصاص وليست كسباً ، وهذا تلبيس منهم لأن اختصاص الله من يشاء برحمته لا يكون إلا لحكمة وأسباب اقتضت ذلك كما قال سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون} .

Modifier avec WPS Office

ولم يقتصر الأمر على تعريف الولاية بل قالوا إن الولي يتصرف في الأكوان ، وكل ولي عندهم قد وكله الله بتصريف جانب من جوانب الخلق فأربعة أولياء يمسكون العالم من جوانبه الأربعة، ويسمون الأقطاب، وسبعة أولياء آخرون كل منهم في قارة من قارات الأرض السبع ويسمون البدلاء. وعدد آخر من الأولياء في كل إقليم ، وكل واحد من هؤلاء قد أوكل إليه التصريف في شيء ما ، وفوق هؤلاء الأولياء جميعاً ولي واحد يسمى القطب الأكبر أو الغوث وهو الذي يدبر شأن الملك كله سمواته وأرضه والأولياء جميعاً في بقاع الأرض تحت أمره.

المقامات والأحوال :

لبعض الأئمة المنسوبين إلى التصوف _ وهم في الحقيقة براء منه _ كلام حسن في المقامات والأحوال ، ومن أحسن تلك العبارات ما ضمنه اسماعيل الأنصاري كتابه منازل السائرين ، وشرحه مدارج السالكين لابن القيم .

والمقامات : ((هي المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله فيقف فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى ينتقل إلى المنزل الثاني)) ولابد للانتقال من جهاد وتزكية . وجعلوا الحاجز بين المريد وبين الحق سبحانه وتعالى أربعة أشياء هي : المال ، والجاه ، والتقليد ، والمعصية .

والأحوال : ((هي النسمات التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة ثم تمر تاركة عطراً تتشوق الروح للعودة إلى تنسُّم أريجه)) . قال الجنيد : ((الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم)) .

والأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب ، ويعبرون عن ذلك بقولهم : ((الأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود)) .

فمن المنازل :

- الزهد : وهو يعني أن تكون الدنيا على ظاهر يده ، وقلبه معلق بما في يد الله . يقول أحدهم عن زاهد : ((صدق فلان ، قد غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده على ظاهره)) . قد يكون الإنسان غنياً وزاهداً في ذات الوقت إذ أن الزهد لا يعني الفقر ، فليس كل فقير زاهداً ، وليس كل زاهد فقيراً، والزهد على ثلاث درجات :

1- ترك الحرام ، وهو زهد العوام .

2- ترك الفضول من الحلال ، وهو زهد الخواص .

3- ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى ، وهو زهد العارفين .

Modifier avec WPS Office

- التوكل : يقولون : التوكل بداية ، والتسليم واسطة ، والتفويض نهاية إن كان للثقة في الله نهاية ، ويقول سهل التستري:((التوكل : الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد)) .

- المحبة : يقول الحسن البصري ت110ه ؟: ((فعلامة المحبة الموافقة للمحبوب والتجاري مع طرقاته في كل الأمور ، والتقرب إليه بكل صلة ، والهرب من كل ما لا يعينه على مذهبه)) .

- الرضا : يقول أحدهم :((الرضا بالله الأعظم ، هو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل)) ويقول آخر : ((الرضا آخر المقامات ، ثم يقتفي من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب ، ومطالعة الغيوب ، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال)) .

الجذور العقائدية للفكر الصوفي :

لاشك أن ما يدعو إليه الصوفية من الزهد ، والورع والتوبة والرضا ... إنما هي أمور من الإسلام ، وأن الإسلام يحث على التمسك بها والعمل من أجلها ، ولكن الصوفية في ذلك يخالفون ما دعا إليه الإسلام حيث ابتدعوا مفاهيم وسلوكيات لهذه المصطلحات مخالفة لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته .

لكن الذي وصل إليه بعضهم من الحلول والاتحاد والفناء ، وسلوك طريق المجاهدات الصعبة ، إنما انحدرت هذه الأمور إليهم من مصادر دخيلة على الإسلام كالهندوسية والجينية والبوذية والأفلاطونية والزرادشتية والمسيحية . وقد عبر عن ذلك كثير من الدارسين للتصوف منهم : المستشرق ميركس ، الذي يرى أن التصوف إنما جاء من رهبانية الشام ، والمستشرق جونس الذي يرده إلى فيدا الهنود ، و نيكولسون ، الذي يقول بأنه وليد لاتحاد الفكر اليوناني والديانات الشرقية ، .

ويلاحظ أن السقوط في دائرة العدمية بإسقاط التكاليف وتجاوز الأمور الشرعية إنما هو أمر عرفته البرهمية حيث يقول البرهمي : ((حيث أكون متحداً مع برهما لا أكون مكلفاً بعمل أو فريضة)) ، كما أن قول الحلاج في الحلول،وقول ابن عربي في الإنسان الكامل يوافق مذهب النصارى في عيسى عليه السلام .

الصلة بين التصوف والتشيع :

المطلع على حقيقة الصوفية، وعلى حقيقة التشيع يجد أن المذهبين ينبعان من أصل واحد تقريباً ويهدفان في النهاية إلى غاية واحدة ويشتركان في كثير من العقائد ، وفيما يلي أهم نقاط الاتفاق بينهما :

Modifier avec WPS Office

أ-ادعاء العلوم الخاصة
ب- الإمامة الشيعية والولاية الصوفية
ج- القول بأن للدين ظاهراً وباطناً
د- تقديس القبور وزيارة المشاهد

أثر التصوف :

لقد فتح التصوف المنحرف باباً واسعاً دخلت منه كثير من الشرور على المسلمين مثل التواكل ، والسلبية ، وإلغاء شخصية الإنسان ، وتعظيم شخصية الشيخ فضلا ً عن كثير من الضلالات والبدع التي تخرج صاحبها من الإسلام ، ويلاحظ اهتمام الغربيين في العصور المتأخرة بالتصوف ، على أن اهتمام الغربيين ومراكز ا لاستشراق في الجامعات الغربية والشرقية بالتصوف يدعو إلى الريبة ، فبالإضافة إلى انجذاب الغربيين إلى روحانية التصوف وإعجابهم بالمادة الغزيرة التي كتبت عن التصوف شرحاً وتنظيراً ، فإن هناك أسباباً أخرى لاهتمام المستشرقين و المؤسسات الأكاديمية والغربيين بصفة عامة بالتصوف ، من هذه الأسباب :

1- إبراز الجانب السلبي الاستسلامي الموجود في التصوف وتصويره على اعتبار أنه الإسلام.

2- موافقة التصوف للرهبانية المسيحية واعتباره امتداداً لهذا التوجه .

3- ميل منحرفي المتصوفة إلى قبول الأديان جميعاً ، واعتبارها وسيلة للتربية الروحية ، وقد وجد في الغرب من يعتبر نفسه متصوفاً ، ويستعمل المصطلحات وبعض السلوكيات الإسلامية دون أن يكون مسلماً ، وذلك من بين أتباع اليهودية و المسيحية والبوذية وغيرها من الأديان .

فهذا أحد رموز المتصوفة المعاصرين وهو عبدالكريم الجيلي يقول في كتابه "الإ نسان الكامل " بعد أن ذكر طوائف الناس ومللهم : "فكل هذه الطوائف عابدون لله تعالى كما ينبغي أن يعبد لأنه خلقهم لنفسه لا لهم فهم له كما يستحق ثم إنه سبحانه وتعالى أظهر في هذه الملل حقائق أسمائه وصفاته فتجلى في جميعها بذاته فعبدته جميع الطوائف" (ص122).

وأظن أنه ليس ثم عبارة أصرح وأوضح من هذه العبارات تبين المقصود والمآل الذي يرمي المتصوفة والوصول إليه.

ويستطرد الجيلي مبيناً عقائد الناس وأنهم جميعاً على حق ، فيقول عن اليهود : "وأما اليهود فإنهم يتعبدون بتوحيد الله تعالى ثم بالصلاة في كل يوم مرتين.. ويتعبدون بالاعتكاف يوم السبت، وشرط الاعتكاف عندهم أن لا يدخل في بيته شيئاً مما يتمول به، ولا مما يؤكل، ولا يخرج منه شيئاً، ولا يحدث فيه نكاحاً ولا

Modifier avec WPS Office

بيعاً ولا عقداً، وأن يتفرغ لعبادة الله تعالى لقوله تعالى في التوراة: (أنت وعبدك وأمتك لله تعالى في يوم السبت)، فلأجل هذا حرم عليهم أن يحدثوا في يوم السبت شيئاً مما يتعلق بأمر دنياهم، ويكون مأكوله مما جمعه يوم الجمعة، وأول عندهم إذا غربت الشمس من يوم الجمعة، وآخره الاصفرار من يوم السبت.

وهذه حكمة جليلة؛ فإن الحق تعالى خلق السماوات والأرضين في ستة أيام، وابتدأها في يوم الأحد ثم استوى على العرش في اليوم السابع وهو يوم السبت، فهو يوم الفراغ، فلأجل هذا عبد الله اليهود بهذه العبادة في هذا اليوم إشارة إلى ا لاستواء الرحماني وحصوله في هذا اليوم فافهم" (ص127).

ثم يقول مادحاً النصارى كذلك فيقول:"وأما النصارى فإنهم أقرب من جميع الأمم الماضية إلى الحق تعالى، فهم دون المحمديين، سببه أنهم طلبوا الله تعالى فعبدوه في عيسى ومريم وروح القدس، ثم قالوا بعدم التجزئة، ثم قالوا بمقدمه على وجوده في محدث عيسى وكل هذا تنزيه في تشبيه لائق بالجناب الإلهي".

أي أن فعل النصارى هذا من تشبيه الله بخلقه ومن عبادة الثلاث ومن اتخاذ أرباب مع الله كل ذلك لائق في عقيدة عبدالكريم الجيلي ولكنه يراهم أيضاً مقصرون لأ نهم حصروا الله في ثلاث نقط، والله عنده لا ينحصر في ثلاثة لأن كل موجود هو الله.

4- تجسيم الصراع بين فقهاء الإسلام ومنحرفي المتصوفة على أنها هي السمة الغالبة في العقيدة والفقه الإسلاميين .

وفي الآونة الأخيرة تراجعت الصوفية وذلك ابتداءً من نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ولم يعد لها ذلك السلطان الذي كان لها فيما قبل ، وذلك بـ الرغم من دعم بعض الدول الإسلامية للتصوف كعامل مُثبّط لتطلعات المسلمين في تطبيق الإسلام الشمولي .

<u>بعض الشطحات لدى أشهر طريقتين صوفيتين منتشرتين في العالم اليوم</u>

1-الرفاعية

تنسب إلى أحمد الرفاعي ، ويصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى علي بن أبي طالب. ولد أحمد الرفاعي في قرية (حسن) بالعراق 512هـ وتوفي سنة 578هـ .

ما نسب من كرامات للرفاعي:

- أشهر ما يعرف عنه زعم أتباعه أنه لما حج عام 555هـ ووقف أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، قال هذين البيتين:

Modifier avec WPS Office

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

ويزعم أتباعه أن النبي خرج من قبره ومد له يده من بين حديد شباك القبر فقبلها الرفاعي..

- وينسبون من كراماته أيضاً أنه إذا كان ألقى الدرس سمعه الأصم والسميع، و القريب والبعيد، وأن الله أحيا له الميت، وأقام له المقعدين، وقلب له الأعيان، وصرفه في الخلق

- وكان يقول : وعدني رسول كرمه أن يأخذ بيد مريدي وحُبي ومن تمسك بي وبذريتي وخلفائي في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة عند انقطاع الحيل، بهذا جرت بيعة الروح لا يخلف الله وعده، لا تصح المكالمة لمخلوق مع الخالق بعد النبيين والمرسلين الذين كلمهم سبحانه وحياً أو من وراء حجاب، وإنما وعد إحسانه ينجلي إلى قلوب أوليائه وأحبابه بالرؤيا المنامية، والواسطة المحمدية والإ لهام الصحيح الذي لا يخالف ظاهر الشريعة الأحمدية بحال من الأحوال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" أ.هـ (البرهان المؤيد ص82،83).

- من المشاعر الخاصة بالطريقة الرفاعية الخلوة الأسبوعية السنوية وتبدأ عندهم في اليوم الحادي عشر من المحرم كل عام، ومن شروطها أن لا يأكل المريد طعاماً أخذ من ذي روح، ويذكر المريد في اليوم الأول لا إله إلا الله بعدد معلوم واليوم الثاني الله الله، والثالث وهاب وهاب، والرابع حي حي والخامس مجيد مجيد.. و السادس معطي معطي.. والسابع قدوس قدوس، وكل ذلك بعدد معلوم، وكذلك أن يقول المريد بعد كل صلاة من صلوات هذا الأسبوع (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وسلم) يقول ذلك مائة مرة،وزعموا أن لهذه الخلوة فتوحات محمدية، وعنايات أحمدية لا تحصى وأن من فعلها شاهد من البراهين العظيمة وكأن له شأن عظيم (الطريقة الرفاعية ص115).

- من مشاعرهم ما يسمى بالاستفاضة وهي ربط قلب المريد بقلب الشيخ طلباً لإ فاضة العلم الباطني إليه، وهذه بدعة صوفية معلومة. ففي التربية الصوفية يطلب من المريد أن يستحضر روح شيخه عند الذكر ويتمثله أمامه ويطلب من شيخه أن يربط روحه بروح الرسول الذي يزعمون أنه يفيض العلوم والأسرار على قلوب شيوخ الصوفية. والحق أن هذه العملية عملية شيطانية لأن المريد الذي يغيب عقله بالذكر المبتدع الذي يذكره آلاف المرات وعشرات الآلاف حتى يكل عقله ودماغه وهو في كل ذلك يحاول استحضار صورة شيخه أمامه، وقد يكون هذا في ظلام دامس فإن هذا هو الوقت المناسب ليدخل الشيطان إليه زاعماً أنه هو شيخه وأنه يراه الآن، وأنه يربط الآن قلبه بقلب الرسول ليفيض عليه العلوم والأسرار الإ لهية .

2- الطريقة التجانية

Modifier avec WPS Office

- تنسب إلى أحمد بن محمد بن المختار التجاني المولود سنة 1150هـ ونسبته إلى بلدة تسمى (بني توجين) قرية من قرى البربر في المغرب، وينسب نفسه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما عادة كل من أسس طريقة صوفية.

من عقائدهم :

- إيمانهم بوحدة الوجود وأن كل الأديان حق:قال أحمد بن حرازم، مؤلف جواهر المعاني، وهو أشهر كتاب عندهم ".. فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر فما عبد ولا سجد إلا لله تعالى لأنه هو المتجلي في تلك الألباس، وتلك المعبودات كلها تسجد لله تعالى وتعبده وتسبحه خائفة من سطوة جلاله سبحانه وتعالى .
- تفضيلهم ما يسمونه بصلاة الفاتح على القرآن الكريم .
- ادعاؤهم أن أتباعه يدخلون الجنة مهما عصوا ، قال صاحب الرماح:".. وليس لأ حد من الرجال أن يدخل أصحابه كافة الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي، ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم صلى الله عليه وسلم أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في ا لآخرة.." (رماح حزب الرحيم ص143 ج2) أ.هـ.
- الاستغاثة بالمشايخ ودعوتهم من دون الله والالتجاء بهم إلى الله والاعتقاد أن الله لا يقبلهم إلا عن طريق هؤلاء بزعم أن هؤلاء المشايخ هم أبواب الله، ولا دخول على الله إلا من طريقهم، ولا قبول لتوبة تائب إلا برضاهم، قال مؤلف رماح حزب الرحيم: "وأما كيفية التوسل به رضي الله عنه وبجده صلى الله عليه وسلم فهي أنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلا ة الفاتح لما أغلق مائة، واهد ثوابها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء الحاجة التي تريدها ثم تقول: يا رب توسلت إليك بجاه القطب الكامل سيدنا أحمد بن محمد التجاني وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا، وتسمي حاجتك بعينها عشراً" أ.هـ (الرماح مج1 ص165).

خاتمة في معالم منهج أهل السنة والجماعة
وموقفهم من الفرق المخالفة

فمن المعالم العامة لمنهج أهل السنة :

أولاً : أن مصادر التلقي عندهم هي الكتاب والسنة وما تفرع عنهما :

فكل ما وافق الكتاب والسنة أثبتوه وما خالفهما نفوه ، **يقول ابن تيمية** : مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 157 "ثم من طريقة أهل السنة والجماعة إتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا وإتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين و الانصار واتباع وصية رسول الله حيث قال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلا م أصناف الناس ويقدمون هدى محمد على هدى كل احد وبهذا سموا اهل الكتاب

Modifier avec WPS Office

والسنة وسموا اهل الجماعة لأن الجماعة هى الإجتماع وضدها الفرقة وإن كان لفظ الجماعة قد صار إسما لنفس القوم المجتمعين والاجماع هو الاصل الثالث الذى يعتمد عليه فى العلم والدين وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين والإجماع الذى ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الإختلاف وانتشرت الامة ".

وهذا بخلاف غيرهم من الفرق الذين يعتمدون على مصادر أخرى في الاستدلال سوى الكتاب والسنة :

فالصوفية عندهم الكشف ، والذوق وغيرها من مصادر التلقي ،

والشيعة عندهم التلقي عن الأئمة المعصومين ، والذين يملكون السلطة التشريعية ،

والمعتزلة يحتكمون إلى العقل ،

والعصرانيون إلى المصلحة ،

والفلاسفة إلى المنطق ....وهكذا سائر الفرق المنحرفة .

ثانياً : لامعصوم عندهم إلا الرسول صلى الله عليه وسلم :

يقول ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 346 فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة .

ثالثاً : لايعارضون القرآن أو السنة برأي أو عقل أو قياس :

وفي هذا يقول ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 27 من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم باحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وان القرآن يهدى للتى هى أقوم فكان القرآن هو الامام الذى يقتدى به ولهذا لا يوجد فى كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة ولا قال قط قد تعارض فى هذا العقل والنقل ولا فيهم من يقول ان له ذوقا أو وجدا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث فضلا عن أن يدعى أحدهم أنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسول وأنه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد وا لانبياء كلهم يأخذون عن مشكاته .اهـ

رابعاً : أنهم يجمعون الدين علماً وعملا ً، ظاهراً وباطناً :

يقول ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 159 : وطريقتهم – يعني أهل السنة - هى دين الإسلام الذى بعث الله به محمدا لكن لما اخبر النبى أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة وهى الجماعة وفى حديث عنه أنه قال هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون .

خامساً : أهل السنة ، هم الجماعة ، وهم الفرقة الناجية ، وهم الطائفة المنصورة :

أما كونهم أهل السنة : فلأنهم ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله وهم

Modifier avec WPS Office

أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعا لها تصديقا وعملا وحبا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها الذين يروون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب و الحكمة فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو ا لأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات و القدر والوعيد والأسماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف فما كان من معانيها موافقا للكتاب والسنة أثبتوه وما كان منها مخالفا للكتاب والسنة نفوه .

وأما كونهم أهل الجماعة : فلأنهم مجتمعون على الحق ، كما أنهم يجمعون الدين كله ، **يقول ابن تيمية** : مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 17 إن سبب الإجتماع والألفة جمع الدين والعمل به كله و هوعبادة الله وحده لا شريك له كما أمر به باطنا وظاهرا وسبب الفرقة ترك حظ مما أمر العبد به والبغى بينهم ونتيجة الجماعة رحمة الله ورضوانه وصلواته وسعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه ونتيجة الفرقة عذاب الله ولعنته وسواد الوجوه وبراءة الرسول منهم وهذا أحد الأ دلة على أن الإجماع حجة قاطعة فإنهم اذا اجتمعوا كانوا مطيعين لله بذلك مرحومين فلا تكون طاعة لله ورحمته بفعل لم يأمر الله به من إعتقاد أو قول أو عمل فلو كان القول أو العمل الذى إجتمعوا عليه لم يأمر الله به لم يكن ذلك طاعة لله ولا سببا لرحمته .

وأما كونهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم **" لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة " فلأن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله معهم وهو الذي وعد الله بظهوره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .**

الأصول التي اتفق عليها أهل السنة والتي تميزهم عن غيرهم من أهل البدع:

من أهم الأصول التي اتفق عليها أهل السنة :

1- إفراد الله بالعبادة ، وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره .

2-عقيدتهم في الصفات : إثبات بلا تكييف ، وتنزيه بلا تعطيل .

3- عقيدتهم في القرآن : أنه منزل غير مخلوق .

4- هم متفقون على رؤية المؤمنين لربهم بالأبصار في الجنة .

5-يؤمنو بكل ماثبت في القرآن والسنة مما يكون بعد الموت : فيؤمنون بنعيم البرزخ وعذابه ، والنفخ ، والحشر ، والحوض ، والشفاعة ، والميزان ، والصراط ، و الجنة ، والنار ، وعلامات الساعة الكبرى والصغرى ، كالدجال ، والمهدي ، والدابة ، وطلوع الشم من مغربها ، وغيرذلك .

6- يؤمنون بالملائكة ، والجن ، وصفاتهم .

7- يؤمنون بالقدر بجميع مراتبه الأربع : العلم ، والكتابة ، والمشيئة ، والخلق ، وأن الله يخلق أفعال العباد .

Modifier avec WPS Office

8- أن الإيمان قول وعمل ويزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية .
9- لايكفرون أحداً من أهل القبلة بمطلق المعاصي ، ويرون أن مرتكب الكبيرة غير الشرك ، لايخلد في النار وهو تحت المشيئة والإرادة ، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه .
10- يحبون ويتولون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعهم ، ولا يسبونهم ، كما لايدعون العصمة لأي منهم ، ويمسكون عما شجر بينهم من خلاف ، ويرون أن أفضلهم : أبوبكر ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي .
12- يصدقون بكرامات الأولياء ، وما يجري الله عليهم من خوارق العادات ، ويعتقدون أن إظهار الله خارقاً من الخوارق على يد رجل ليس دليلا ً على أنه ولي ، فقد يكون من تلبيس الشيطان ، كما يجري الله الخوارق على يد الدجال ، بل العبرة ، بتقوى الرجل وصلاحه .
مسائل يقبل فيها الخلاف عند أهل السنة :
1- الخلاف في عثمان وعلي أيهما أفضل .
2- الخلاف في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه .
3- الخلاف في تكفير تارك الصلاة .
4- الخلاف في كثير من مسائل الفرائض والعبادات والمعاملات .
حكم المخالفين لأهل السنة :
المخالفون لأهل السنة ليسوا على درجة واحدة ، فمنهم المجتهد المخطئ ، و الجاهل المعذور ، والمتعدي الظالم ، والمنافق الزنديق ، والمشرك الضال ، وفيما يلي تفصيل كل منهم :
1- المجتهد المخطئ :
يقول ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 179 ليس كل من خالف فى شىء من اعتقاد الفرقة الناجية يجب أن يكون هالكا فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه وقد لا يكون بلغه فى ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته واذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لايجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا فى هذا الا عتقاد ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا وقد لا يكون ناجيا كما يقال من صمت نجا .
واستدل رحمه الله على أن المجتهد المخطئ في المسائل الاعتقادية معفو عنه بعدة أدلة :
الدليل الأول : أنه ثبت بالكتاب المفسر بالسنة أن الله قد غفر لهذه الأمةالخطأ و النسيان فهذا عام عموما محفوظا وليس في الدلالة الشرعية ما يوجب ان الله يعذب من هذه الأمة مخطئا على خطئه .
الدليل الثاني : ما ثبت فى الصحيح من حديث أبى هريرة ان رسول الله قال إن رجلا لم يعمل خيرا قط فقال لأهله إذا مات فأحرقوه ثم اذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين

Modifier avec WPS Office

فلما مات الرجل فعلوا به كما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه فاذا هو قائم بين يديه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يارب وأنت أعلم فغفر الله له وهذا الحديث متواتر عن النبى رواه أصحاب الحديث والأ سانيد .

فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل فى قدرة الله تعالى على إعادة إبن آدم بعد ما أحرق وذرى وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك وهذان أصلان عظيمان :

أحدهما : متعلق بالله تعالى وهو الايمان بأنه على كل شىء قدير

والثانى : متعلق باليوم الآخر وهو الايمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله

ومع هذا فلما كان مؤمنا بالله فى الجملة ومؤمنا باليوم الآخر فى الجملة وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت وقد عمل عملا صالحا وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه غفر الله له بما كان منه من الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح .

الدليل الثالث : ماثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان وفى رواية من خير .

وهذا وأمثاله من النصوص المستفيضة عن النبى يدل انه لا يخلد فى النار من معه شىء من الايمان والخير وان كان قليلا وان الايمان مما يتبعض ويتجزأ ومعلوم قطعا ان كثيرا من هؤلاء المخطئين معهم مقدار ما من الايمان بالله ورسوله اذ الك لام فيمن يكون كذلك .

الدليل الرابع : ان السلف اخطأ كثير منهم فى كثير من هذه المسائل واتفقوا على عدم التكفير بذلك مثل ما أنكر بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحى ، وأنكر بعضهم ان يكون المعراج يقظة ، وأنكر بعضهم رؤية محمد ربه ، ولبعضهم فى الخلافة والتفضيل كلام معروف ، وكذلك لبعضهم فى قتال بعض ولعن بعض واطلاق تكفير بعض أقوال معروفة ، وكان القاضى شريح ينكر قراءة من قرأ بل عجبت ويقول إن الله لا يعجب فبلغ ذلك إبراهيم النخعى فقال إنما شريح شاعر يعجبه علمه كان عبدالله أفقه منه فكان يقول بل عجبت فهذا قد أنكر قراءة ثابتة وأنكر صفة دل عليها الكتاب والسنة واتفقت الأمة على انه إمام من الأئمة ، وكذلك بعض السلف أنكر بعضهم حروف القرآن مثل إنكار بعضهم قوله أفلم ييأس الذين آمنوا وقال انما هى أو لم يتبين الذين آمنوا وهذا خطأ معلوم بالاجماع و النقل المتواتر ومع هذا فلما لم يكن قد تواتر النقل عندهم بذلك لم يكفروا وان كان يكفر بذلك من قامت عليه الحجة بالنقل المتواتر .

الدليل الخامس : إن الكتاب والسنة قد دل على ان الله لا يعذب أحدا إلا بعد إبلاغ الرسالة فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأسا ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية وذلك مثل قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا .. فمن كان قدم آمن بالله ورسوله ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول فلم يؤمن به تفصيلا اما أنه لم يسمعه أو سمعه من طريق

Modifier avec WPS Office

لا يجب التصديق بها أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذى يعذر به فهذا قد جعل فيه من الايمان بالله وبرسوله ما يوجب أن يثيبه الله عليه وما لم يؤمن به فلم تقم عليه به الحجة التى يكفر مخالفها

الدليل السادس : أنه ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ان من الخطأ في الدين ما لا يكفر مخالفه بل ولا يفسق بل ولا يأثم مثل الخطأ في الفروع العملية كما ثبت في الصحاح من حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة عن النبي أنه قال إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران وإذا اجتهد فأخطا فله أجر .

ومع ذلك فلم يقل أحد بتكفير المجتهدين المتنازعين فيها ومع ذلك فبعض هذه المسائل قد ثبت خطأ المنازع فيها بالنصوص والاجماع القديم مثل استحلال بعض السلف والخلف لبعض أنواع الربا واستحلال آخرين لبعض أنواع الخمر واستحلال آخرين للقتال في الفتنة .

ثانياً الجاهل المعذور :

فهذا يعذر لجهله ، حيث لم تقم عليه الحجة .

يقول ابن تيمية : إن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والسنة ...فلما طال الزمان خفى على كثير من الناس ما كان ظاهرا لهم ودق على كثير من الناس ما كان جليا لهم فكثر من المتأخرين مخالفة الكتاب والسنة ما لم يكن مثل هذا فى السلف وإن كانوا مع هذا مجتهدين معذورين يغفر الله لهم خطاياهم ويثبتهم على اجتهادهم وقد يكون لهم من الحسنات ما يكون للعامل منهم أجر خمسين رجلا يعملها فى ذلك الزمان لأنهم كانوا يجدون من يعينهم على ذلك وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يعينهم على ذلك لكن تضعيف الاجر لهم فى أمور لم يضعف للصحابة لا يلزم أن يكونوا أفضل من الصحابة فان الذى سبق اليه الصحابة من الايمان والجهاد ومعاداة أهل الأرض فى موالاة الرسول وتصديقه وطاعته فيما يخبر به ويوجبه قبل أن تنتشر دعوته وتظهر كلمته وتكثر أعوانه وأنصاره وتنتشر دلائل نبوته بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين والمنافقين وانفاق المؤمنين أموالهم فى سبيل الله ابتغاء وجهه فى مثل تلك الحال أمر ما بقى يحصل مثله لأحد .

ويقول أيضاً : ولا ريب أن الخطأ فى دقيق العلم مغفور للأمة وإن كان ذلك فى المسائل العلمية ولولا ذلك لهلك اكثر فضلاء الأمةوإذا كان الله يغفرلمن جهل تحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل مع كونة لم يطلب العلم فالفاضل المجتهد فى طلب العلم بحسب ما أدركه فى زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه هو أحق بأن يتقبل الله حسناته ويثيبه على اجتهاداته ولا يؤاخذه بما أخطأ تحقيقا لقوله ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا . مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 166

ثالثاً : المتعدي الظالم :

وهو من يأثم ببدعته ، ولايصل به الأمر إلى الكفر ،

وضابط هؤلاء كما يقول ابن تيمية : أن من كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والإيمان مثلا أو لتعديه حدود الله بسلوك السبل التي نهى عنها أو لاتباع هواه بغير هدى من الله فهوالظالم لنفسه وهو من أهل الوعيد بخلاف

Modifier avec WPS Office

المجتهد في طاعة الله ورسوله باطنا وظاهرا الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله فهذا مغفور له خطؤه .
ويقول أيضاً : ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطنا وظاهرا لكن فيه جهل وظلم مجموع الفتاوى حتى أخطأ ما أخطأ من السنة فهذا ليس بكافر ولا منافق ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقا أو عاصيا وقد يكون مخطئا متأولا مغفورا له خطأه وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولا ية الله بقدر إيمانه وتقواه . ج: 3 ص: 354

رابعاً : المنافق الزنديق :

كحال كثير من الجهمية والرافضة ، **يقول ابن تيمية** : أهل البدع فيهم المنافق الزنديق فهذا كافر ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية فإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة وأول من ابتدع الرفض كان منافقا وكذلك التجهم فإن أصله زندقة ونفاق ولهذا كان الزنادقة المنافقون من القرامطة الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون إلى الرافضة والجهمية لقربهم منهم .

خامساً : المشرك الضال :

ومن هؤلاء الدرزية واالنصيرية ، والاسماعيلية ، وغلاة المتصوفة الذين يغلون في مشايخهم ويرفعونهم فوق مقام النبوة ، أويضفون عليهم خصائص الألوهية ، أو الذين يقولون بوحدة الوجود أو بالحلول والاتحاد ، فكل هؤلاء مشركون كفار .

يقول ابن تيمية : هؤلاء الدرزية و النصيرية كفار باتفاق المسلمين لا يحل اكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم بل ولا يقرون بالجزية فانهم مرتدون عن دين ا لاسلام ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى لايقرون بوجوب الصلوات الخمس ولا وجوب صوم رمضان ولا وجوب الحج ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة و الخمر وغيرهما وان اظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين .
اهـ مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 162

ويقول أيضاً : فكل من غلا في حي أو في رجل صالح كمثل علي رضي الله عنه أو في من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر ونحوهم وجعل فيه نوعا من الإليهة مثل أن يقول كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده أو يقول إذا ذبح شاة باسم سيدي أو يعبده بالسجود له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي أو أنا في حسبك أو نحو هذه ا لأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال .

موقف أهل السنة من أهل البدع :

يتبين موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة من خلال المبادئ الآتية :

1- يفرق أهل السنة والجماعة بين الحكم المطلق والحكم على شخص معين :

فهم يفرقون بين الحكم المطلق على أصحاب البدع بالمعصية أو الفسق أو الكفر ، وبين الحكم على شخص معين ، ممن ثبت إسلامه بيقين ، ثم صدرت منه هذه البدع فلا يحكمون عليه بأنه فاسق أو عاص اوكافر حتى تقوم عليه الحجة ،

Modifier avec WPS Office

وتزول عنه الشبهة ، كما يفرقون بين نصوص الوعيد المطلقة وبين استحقاق شخص بعينه لهذا الوعيد في أحكام الآخرة .

يقول ابن تيمية : نصوص القرآن فى الوعيد مطلقة كقوله إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية وكذلك سائر ما ورد من فعل كذا فله كذا فإن هذه مطلقة عامة وهى بمنزلة قول من قال من السلف من قال كذا فهو كذا ثم الشخص المعين يلتغى حكم الوعيد فيه بتوبة أو حسنات ماحية أو مصائب مكفرة أوشفاعة مقبولة والتكفير هو من الوعيد فانه وان كان القول تكذيبا لما قاله الرسول لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وفي الحديث الذى فى الصحيحين في الرجل الذى قال إذا أنا مت فأحرقونى ثم اسحقونى ثم ذرونى فى اليم فوالله لإن قدر الله على ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا من العالمين ففعلوا به ذلك فقال الله له ما حملك على ما فعلت قال خشيتك فغفر له فهذا رجل شك فى قدرة الله وفى اعادته اذا ذرى بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا . اهـ

2- وأهل السنة والجماعة يبذلون النصيحة الواجبة عليهم تجاه اهل البدع ببيان حـ الهم ، وتحذير الأمة منهم ، وكل ذلك في إطار الانضباط بالعدل ، والاحتكام للكتاب والسنة :

ويرون أن الشخص الواحد قد يجتمع فيه خير وشر وسنة وبدعة ، فيوالى بقدر ما فيه من الخير ، ويعادى بقدر ما فيه من الشر .

يقول ابن تيمية : وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وان ظلمك واعتدى عليك والكافر تجب معاداته وان أعطاك وأحسن اليك فان الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه ، واذا اجتمع فى الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة و الثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعادات والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع فى الشخص الواحد موجبات الأكرام والأهانة فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته هذا هو الأصل الذى اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه فلم يجعلوا الناس لا مستحقا للثواب فقط ولا مستحقا للعقاب فقط .

3- وأهل السنة والجماعة لايعاملون المستتر ببدعته كما يعاملون المظهر لها ، او الداعي إليها :

فالمظهر لبدعته أو الداعي إليها يتعدى ضرره إلى غيره فيجب كفه ، والإنكار عليه ومعاقبته بما يردعه من هجر ونحوه ،وأما المستتر فينكر عليه سرا[1] ويستر عليه وغايته أن يكون بمنزلة المنافقين الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علا

Modifier avec WPS Office

انيتهم ويكل سرائرهم إلى الله .
4- وأهل السنة والجماعة يدعون لأهل البدع بالهداية والرحمة ،مالم يعلم كفرهم :
وقد كان الإمام أحمد رحمه الله يدعو للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه ، واستغفر لهم ، وحللهم مما فعلوا به ، مع انهم كانوا يدعونه إلى خلق القرآن ونفي الصفات عن الله ، وامتحنوه وسائر علماء وقته .
5- وتشرع هجرة أهل البدع ، ولكن بشرطين : الأول : أن يكون ذلك إخلاصاً لله تعالى وموافقة لأمره لا أن يكون ذلك لهوى النفس أو استيفاء من أحد أو لعداوة دنيوية ، والثاني : أن يتحقق بذلك المصلحة الشرعية ، اما إذا كان يترتب على الهجر ضرر أكبر فإنه يكون غير مشروع :
ويشير ابن تيمية إلى الشرط الأول مبيناً الفرق بين الهجر لحظ النفس والهجر لحق الله فيقول : واذا عرف هذا فالهجرة الشرعية هى من الاعمال التى أمر الله بها ورسوله فالطاعة لابد أن تكون خالصه لله أن تكون موافقة لامره فتكون خالصة لله صوابا فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجرا غير مأمور به كان خارجا عن هذا وما اكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله .
والهجر لأجل حظ الانسان لا يجوز اكثر من ثلاث كما جاء فى الصحيحين عن النبى انه قال لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام فلم يرخص فى هذا الهجر اكثر من ثلاث ، وفى الصحيحين عنه أنه قال تفتح أبواب الجنة كل أثنين وخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا فهذا الهجر لحق الانسان حرام وانما رخص فى بعضه كما رخص للزوج ان يهجر امرأته فى المضجع اذا نشزت وكما رخص فى هجر الثلاث فينبغى ان يفرق بين الهجر لحق الله وبين الهجر لحق نفسه فالأول مأمور به والثانى منهى عنه لأن المؤمن أخوة وقد قال النبى فى الحديث الصحيح لاتقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله أخوانا المسلم أخو المسلم وهذا لأن الهجر من باب العقوبات الشرعية فهو من جنس الجهاد فى سبيل الله وهذا يفعل لأن تكون كلمة الله هى العليا ويكون الدين كله لله والمؤمن عليه أن يعادى فى الله ويوالى فى الله فان كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وان ظلمه فان الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية قال تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب القسطين انما المؤمنون أخوة فجعلهم أخوة مع وجود البغي .
كما يشير إلى الشرط الثاني بقوله رحمه الله : وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين فى قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم فان المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله فان كان المصلحة فى ذلك راجحة بحيث يفضى هجره الى ضعف الشر وخفيته كان مشروعا وان كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر والهجر

Modifier avec WPS Office

لبعض الناس أنفع من التأليف ولهذا كان النبى يتألف قوما (المؤلفة قلوبهم) ويهجر آخرين كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيرا من اكثر المؤلفة قلوبهم ، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعون فى عشائرهم فكانت المصلحة الدينية فى تأليف قلوبهم وهؤلاء كانوا مؤمنين والمؤمنون سواهم كثير فكان فى هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم وهذا كما أن المشروع فى العدو القتال تارة والمهادنه تارة وأخذ الجزية تارة كل ذلك بحسب الاحوال والمصالح

Modifier avec WPS Office